الجامعة الإسلامية – غــزة

عمــادة الدراســات العليــا

كليـــة أصـــول الـــديــن

قسم التفسير وعلوم القرآن

عوامل فلاح الأمة الإسلامية في ضوءِ القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إعداد

الطالب/ علي محمد البغدادي

إشراف

الدكتور/ زهدي محمد أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1432 هـ - 2011 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران: 104]

صدق الله العلي العظيم

إهـــداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى روح والدي ووالدتي اللذان لقيا الله وهم مشتاقان لرؤية أحد أبنائهم طالب علم شرعي

وزوجتي الغالية الصابرة وإلى أبنائي الأعزاء لكي يسيروا على درب أبيهم

إلى الشباب المسلم المخلصين المشتاقين للوصول إلى ذروة سنام الفلاح

إلى الشباب التائهين بين الرايات يتلمسون الطريق الصحيح

إلى من يبحث عن الحقيقة

إلى أخواني وأحبائي من أبناء الإسلام الذين أحرص عليهم من أبواق الباطل

وإلى روح شيوخي الشيخ المجاهد أحمد ياسين، والدكتور إبراهيم المقادمة، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي، والقائد صلاح شحادة، الذين بحثوا عن العزة والكرامة والذين رفعوا راية الجهاد لنصل إلى الفلاح

وإلى كل المسلمين المخلصين الحريصين على رفعة الإسلام وأهله. إلى كل من ساهم وساعد في هذه الرسالة لتكون أقرب إلى الكمال ولا كمال إلا لله ولكتابه، والبشر يتفاوتون في قدراتهم ولن يبلغوا الكمال، ولا ندعي برسالتنا

الكمال فنحن نحوم حول الحقيقة، ونضع شمعة مضيئة في الطريق،

وأسأل الله أن يكون هذا الجهد في ميزان حسناتي

وكل من ساعدني ولو بكلمة واحدة.

شكر وتقدير

عملاً بقوله تعالى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:**19**] فإني أتوجه بالحمد والشكر لله تعالى أن منّ عليّ بكرمه وفضله وإحسانه وأعانني على فهم آياته، ووفقني لإنجاز هذا البحث المتواضع.

وانطلاقاً من حديث النبي ﷺ **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**(1) فإني أتوجه بالشكر والتقدير إلى والدي الحبيبين رحمهما الله أن شجعاني على طلب العلم منذ صغري، فأسأل الله أن يتغمدهما بواسع رحمته.

كما أتوجه بالشكر لرفيقة دربي وأولادي الذين عملوا ما بوسعهم لمساعدتي ومساندتي وتوفير الجو المناسب لطلب العلم.

والشكر موصول لمشرفي الدكتور الفاضل/ زهدي محمد أبو نعمة الذي لم يدخر وسعاً في مساعدتي بتوجيهاته السديدة حتى خرجت الرسالة بصورتها البهية.

كما أوجه عظيم الشكر والتقدير إلى أستاذيّ الكريمين، عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور / عبد السميع خميس العرابيد مناقشاً خارجياً. حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ محمود هاشم عنبر مناقشاً داخلياً. حفظه الله

حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة لإثرائها بملاحظاتهما القيّمة وتصويب ما بها من زلل وتقصير.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى القائمين على الجامعة الإسلامية الغراء منارة العلم الصادق ممثلة بمجلس أمنائها، ورئيسها وموظفيها أكاديميين وإداريين الذين لم يدخروا جهدا من أجل رفعة الجامعة وطلابها.

والشكر أيضاً إلى كلية أصول الدين ممثلة بعميدها وطاقمها الأكاديمي والإداري لجهودهم الطيبة والحثيثة التي يبذلونها من أجل التيسير على الطلبة، ونشر العلم الشرعي.

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب البر والفضيلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (1954)، ص 445، وقال الترمذي حسن صحيح.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص تقديري وجزيل شكري إلى القائمين على المكتبة المركزية والعاملين فيها على ما يقدمونه من جهد متواصل لخدمة الطلبة وأخص بالذكر الأستاذ/ إبراهيم الكرد الذي ساعدني بتقديم خدمة جليلة في تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة.

كما وأتقدم بشكري العظيم لكل من قدّم لي يد العون والمساعدة في تذليل الصعاب في أثناء البحث والدراسة، ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث، ولو بدعوة في ظهر الغيب، فجزاهم الله خير الجزاء.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين، أما بعد..

فمن فضل الله ﷻ على البشرية أن أرسل الأنبياء مبشرين ومنذرين، ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وخص الأمة الإسلامية بمحمد الأمين ﷺ الذي جاءنا بالمنهج الرباني القويم لتربية النفوس والأجيال ليكونوا من المفلحين الفائزين .

فالقرآن الكريم كتاب الله من أخذ به وعمل بمقتضى أحكامه فقد فاز، ومن تركه جانبا واتخذ مناهج وضعية بشرية فقد خاب وخسر، فيه قصص وأمثال، ومواعظ وأحكام، كانت سبباً في نقل العرب من رعاة غنم إلى رعاة أمم، فسادوا العالم وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها، ففازوا في السيادة على الأمم في الدنيا ونالوا رضا الله في الآخرة.

ولما كانت آيات الفلاح قد وردت في الكثير من آيات القرآن الكريم، وتاريخ الأمة يدل على الفلاح للمؤمنين، كان لا بد من جمع هذه الآيات وتقسيمها إلى موضوعات لنتعرف على عوامل فلاح الأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم فكان هذا البحث بعنوان :

عوامل فلاح الأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

فإن أصبت فمن الله وأن أخطأت فمن نفسي، فاللهَ أسألُ أن يجعل التوفيق والسداد دربي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: أهمية الموضوع :

1- حاجة المجتمع الإسلامي المعاصر لمعرفة عوامل الفلاح للأخذ بها والسير على طريقها.

2- ضرورة وقوف المسلمين على عوامل فلاح الأمة كمنقذ للمجتمع الإسلامي مما هو فيه.

في عصرنا الحاضر تكثر الرايات وتتزاحم الأفكار ويتيه العامة بين هذه الأسماء والمسميات فيختلط عندهم الحابل بالنابل [1]، ولكنني أردت في هذا البحث المتواضع أن ألتمس الطريق الصحيح على منهج القرآن العظيم وسنة نبينا الكريم، ولا أدعي لنفسي الكمال فالكمال لله ولكتابه، وأما نحن البشر فنحوم حول الحقيقة لعلنا نتلمسها.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع :

1- اغترار بعض الناس بالأفكار الغربية الواردة من علمانية، وشيوعية ورأسمالية وغيرها ظانين أن الفلاح فيها.

2- خدمة كتاب الله ــ تعالى ــ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

3- واقع الأمة الإسلامية التائهة في العصر الحديث يستدعي العلماء وطلبة العلم بيان عوامل الفلاح لهم.

4- قضية الفلاح والخسارة والخير والشر قد شغلت واقع المسلمين وفكرهم قديما وحديثا لما له من قيمة علمية بالغة، فأحببت أن أضع أقدامهم على عوامل الفلاح كما وضحها القرآن الكريم.

5- بيان أن طريق الفلاح ينطلق من الالتزام بكتاب الله ــ تعالى ــ وأن الخسارة والضياع من الابتعاد عنه.

6- تشجيع بعض الأساتذة والإخوة الذين استشرتُهم للخوض في هذا الموضوع.

7- واقع المسلمين في العالم الإسلامي بحاجة ماسة للبحث في عوامل الفلاح لها في الدنيا والآخرة للعمل بمقتضاها .

8- افتقار المكتبة الإسلامية إلى رسالة علمية محكمة تتحدث عن عوامل فلاح الأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم.

ثالثا :أهداف البحث

1- إبراز عوامل الفلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

2- ابتغاء مرضاة الله ــ تعالى ــ ورضوانه من خلال البحث في موضوع قرآني يخدم واقع الأمة الإسلامية.

---

(1) وقد يقال هذا هذا مثلاً للقوم تتقلب أحوالهم ويثور بعضهم على بعض بعد السكون والرخاء. (لسان العرب ج3/ ص31).

3- التطبيق العملي لأحد ألوان التفسير الموضوعي يبحث في عوامل الفلاح في القرآن الكريم
4- ربط الموضوع بواقع الأمة الإسلامية في هذا العصر.

إضافة إلى ما تقدم فقد رأينا بعض شباب المسلمين المندفعين أرادوا أن يقيموا الخلافة بمهرجان إعلامي كأنها فكرة عابرة أو نشوة غامرة، وكأنها زوبعةٌ في فنجان يصفق لها الصبيان، وكأن الخلافة تقام في ساعةٍ من نهار ثم تنجلي آخره، إن التاريخ الإسلامي الحافل يبين أن الخلافة قامت على أشلاء ودماء وبذلٍ من الغالي والنفيس سنوات طويلة، فالتمكين لا بد أن يسبقه ابتلاء، وما جاء في ساعة ذهب في ساعة، ولذلك كان هذا البحث المتواضع لعله يعين أبناء الإسلام على فهم الحقيقة وكشف مكنوناتها والوقوف على إيجابياتها والبعد عن سلبياتها غير مفرطين ولا متشددين، بل على الوسطية منهج الصحابة والتابعين والسلف الصالح إلى يوم الدين.

رابعا: منهجي في البحث :

1- استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الفلاح وعوامل تحقيقه في القرآن الكريم .
2- تقسيم هذه الآيات إلى عناوين تخدم موضوع البحث، ثم تقسيم البحث إلى فصول ومباحث ومطالب.
3- تفسير الآيات القرآنية تفسيراً موضوعيا، وكذلك الاستعانة بالتفسير التحليلي والإجمالي والاشاري ومفهوم المخالفة ما أمكن بالرجوع إلى كتب التفسير المتنوعة مع مراعاة الأمانة العلمية في رد الأقوال إلى أصحابها.
4- الاستدلال بالأحاديث النبوية ووضعها بين قوسين واضحين وبخط متميز ثم تخريجها تخريجا علميا حسب قواعد التخريج المعتمدة مع بيان حكم العلماء على الأحاديث عليها.
5- الاستعانة بالمصادر والمراجع والكتب الإسلامية التي تخدم الموضوع سواء أكانت في اللغة أم الفقه أم الأدب والأخلاق وغيرها.
6- ترجمة الأعلام المغمورين الواردة في البحث غير الصحابة والمحدثين.
7- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني حسب مصحف النور أو القرآن المساعد ووضعها بين قوسين مزهرين وبخط متميز، ثم عزو الآيات إلى سورها خلف الآية مباشرة رحمة بالحاشية.
8- توثيق المقتبس من المراجع إذا كان حرفيا بوضعه بين شاولتين، وإذا كان بالمعني أقول أنظر.
9- عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث كفهرس الآيات والأحاديث، والأعلام والمراجع والموضوعات.

خامساً: الدراسات السابقة :

بعد الدراسة والبحث والتواصل مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تبين للباحث عدم وجود دراسة قرآنية تبحث في عوامل فلاح الأمة في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)، علما بأن مفردات الموضوع متناثرة في بطون الكتب، من هذه الكتب رسالة ماجستير بعنوان

1. عوامل ارتقاء الأمم وانحدارها في ضوء القرآن الكريم، للباحث عودة سليمان أبو مصطفى إشراف الدكتور/ عبد الكريم الدهشان في كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن، ولكن مفردات بحثه تختلف عما تناولته في بحثي هذا.
2. مبشرات من النصر والتمكين تأليف سيد العفاني ولكن هذا الكتاب اختص في أسباب النصر فقط ولم يشمل كل جوانب الحياة.
3. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم تأليف الدكتور/ على محمد الصلابي. ولكن مفردات الموضوع لا تتقاطع بشكل مباشر.
4. صفات المفلحين في القرآن الكريم/ علي بن نايف الشحود.
5. المفلحون في القرآن الكريم/ بدر بن ناصر.

سادساً: خطة البحث :

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

أما المقدمة فقد اشتملت على:

أولاً: أهمية الموضوع

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

ثالثاً: أهداف البحث

رابعاً: منهج البحث

خامساً: الدراسات السابقة

سادساً: خطة البحث

التمهيد

(وقفات لغوية وإسلامية حول لفظي الفلاح والأمة)

الفـــصـــل الأول

عـــوامـــل فـــلاح الفرد والأسرة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عوامل فلاح الفرد، ويشتمل على اثني عشر مطلباً:

المطلب الأول: الإيمان وإتباع الرسل

المطلب الثاني: المحافظة على الإيمان والإخلاص في العمل

المطلب الثالث :إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

المطلب الرابع: تحقيق الخشوع والخشية من الله.

المطلب الخامس: الإعراض عن اللغو والبعد عن الجدال العقيم.

المطلب السادس: تزكية النفس من الموبقات.

المطلب السابع: تحري الصدق واجتناب الكذب.

المطلب الثامن: التوبة والأكثار من فعل الخيرات.

المطلب التاسع: الحفاظ على العفة وستر العورة.

المطلب العاشر: الوفاء بالعهود وأداء الأمانات.

المطلب الحادي عشر: العفو والصفح.

المطلب الثاني عشر: تحقيق الإيمان الوعي الديني والفكر النقي عند الفرد المسلم.

المبحث الثاني: عوامل فلاح الأسرة، ويشتمل على ستة مطالب

المطلب الأول: القيام بالحقوق والواجبات، وبر الوالدين

المطلب الثاني: حسن اختيار الزوجة

المطلب الثالث: تحقيق القوامة للرجل.

المطلب الرابع: المودة والألفة بين الزوجين.

المطلب الخامس: التكافؤ الاجتماعي والعقدي.

المطلب السادس: تربية الأولاد تربية إسلامية حسنة.

الفصل الثاني

عوامل فلاح المجتمع ومبطلاته

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: عوامل فلاح المجتمع، ويشتمل على أحد عشر مطلباً مطالب:

المطلب الأول: رفع راية الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثاني: الإقرار بنعم الله.

المطلب الثالث: الصبر والإيثار في سبيل الله.

المطلب الرابع: الإنفاق في سبيل الله

المطلب الخامس: تطبيق منهج الله في الأرض

المطلب السادس: الولاء والبراء والتحرر من التبعية للكافرين.

المطلب السابع : إعطاء الحقوق ورد الأمانات.

المطلب الثامن: التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب التاسع: الألفة والتراحم والتكافل بين أفراد المجتمع.

المطلب العاشر: الإيمان بالبعث والزهد في الحياة الدنيا.

المطلب الحادي عشر: تطبيق مبدأ الشورى.

المبحث الثاني: معوقات الفلاح في المجتمع الإسلامي، ويشتمل على عشرة مطالب.

المطلب الأول: انتشار مظاهر الكفر والشرك في المجتمع.

المطلب الثاني: انتشار البدع والمنكرات والسحر والشعوذة.

المطلب الثالث: التعلق بالدنيا والانغماس في الشهوات.

المطلب الرابع: انتشار الظلم والجور في المجتمع.

المطلب الخامس: التفرق والتنازع واختلاف القلوب.

المطلب السادس: انتشار الربا والاحتكار في المجتمع.

المطلب السابع: الصد عن دين الله ومحاربته.

المطلب الثامن: التضييق على العلماء والدعاة إلى الله.

المطلب التاسع :الانغماس في الترف والإسراف.

المطلب العاشر:ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثالث

مبشرات من القرآن والسنة ومبشرات تاريخية وواقعية

وينقسم إلى مبحثين.

المبحث الأول: مبشرات من القرآن.

وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: ما جاء به القرآن وتحقق في عهد رسول الله ﷺ .

المطلب الثاني: آيات تحققت في عهد الصحابة.

المطلب الثالث: ما كان مشتركاً في كل الأزمنة.

المطلب الرابع: مبشرات من سورة الإسراء.

المبحث الثاني: مبشرات تاريخية وواقعية.

وينقسم إلى قسمين

القسم الأول: المبشرات التاريخية، ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: في عهد النبوة .(1هـ/9هـ)

المطلب الثاني: عهد الخلفاء الراشدين.(10هـ/40هـ)

المطلب الثالث: الخلافة الأموية.(40هـ/132هـ)

المطلب الرابع: الخلافة العباسية. (132هـ/656هـ)

المطلب الخامس: الخلافة العثمانية.(699هـ/1280هـ)

القسم الثاني: المبشرات الواقعية، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: سقوط الشيوعية وفشل الرأسمالية.

المطلب الثاني: الصحوة الإسلامية.

المطلب الثالث: الوحدة العربية والإسلامية.

المطلب الرابع: الثورات الشعبية (الشبابية العربية)

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المراجع.

فهرس المحتويات.

التمـــهـــيـــد

(وقفات لغوية وإسلامية حول لفظي الفلاح والأمة)

ويشمل ما يأتي :

أولا: تعريف الفلاح لغة واصطلاحاً.

1 تعريف الفلاح لغة:

أ. " فلاح: الفلح والفلاح الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير، وفي حـــديث أبـــي الدحـــداح بشرك الله بخير وفلحٍ أي بقاء وفوز وهو مقصور من الفلاح". [1] قال أبو ذرﷺ... قال فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قيل وما الفلاح قال السُحُورُ قال: قم لم يقم بنا شيئاً من بقيـــة الشهر، والفلاح لغة: الظفر وإدراك بغية :

دنيوي" العز، السعادة.

الأخروي: ﴿حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:20]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى :14].

ب. " الفلاحُ اصطلاحاً: في الآخرة أي الناجون. يعني أن الله تعالى أكرمهم في الدنيا بالبيان، وفي الآخرة بالنجاة وقد قيل: الفلاح هو البقاء في النعمة . وقل قيل: الفلاح إذا بلغ الإنسان نهاية ما يأمل . ويقال: معناه قد وجدوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا. وكل ما في القرآن المفلحون فتفسيره هكذا.[2]

ج. " وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:1] أي أصيروا إلى الفلاح، وإنما قيل لأهل الجنة مفلحون لفوزهم ببقاء الأبد، وقال أبو إسحق[3] في قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157] يقال لكل من أصاب خيراً.[4]

2- تعريف الفلاح اصطلاحاً

تعريف الفلاح إصطلاحاً بأنه الفوز بخير الدنيا والآخرة.[5]

---

(1) لسان العرب (ج10/ ص 316).

(2) تفسير السمرقندي (ج1/ص90)

(3) أبو إسحاق: محمد عطاء الله بن شريف أبو إسحاق زاده، من فقهاء الدولة العثمانية، له فتاوى، الأعلام للزركلي، (ج7 / ص 269).

(4) لسان العرب(ج10/ ص 316)

(5) تعريف الباحث.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

مما تقدم يتبين أن هناك علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي المعنى الاصطلاحي جزء من المعاني اللغوية حيث إن المعاني اللغوية أعم وأشمل، وأن المعنى الاصطلاحي يشمل الفوز بالدنيا والآخرة، والفوز لا يكون تاماً إلا إذا شمل الدنيا والآخرة أما إذا كان فوزاً في الدنيا بدون الآخرة فهذا ليس فوزاً، إنما يكون استدراجاً في حق الكافر وأما المؤمن فيكون فوز الدنيا ليس معناه أن يحصل الإنسان على الدينار والدرهم والمتاع، بل يوفق في طاعة الله ورضوانه.

ثانيا: تعريف الأمة لغة واصطلاحاً .

أ. الإِمةُ: الحالة، والإِمةُ والأُمةٌ: الشرعة والدين. قال الفراء[1]:قرئ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾، وهي مثل السنة، وقرئ على إمة، وهي الطريقة من أممت.يقال: ما أحسن إمتهُ.

ب. والأمة والإمة: الطريقة والدين. قال أبو إسحق في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة:213] أي كانوا على دين واحد، قال أبو إسحق: وقال بعضهم معنى الآية: كان الناس فيما بين آدم ونوح كفاراً فبعث الله النبيين يبشرون من أطاع بالجنة وينذرون من عصى بالنار، وقال آخرون: كان جميع من مع نوح في السفينة مؤمناً ثم تفرقوا من بعد عن كفر فبعث الله النبيين.

ج. والإمة الهيئة؛ عن اللحياني[2]، والإمةُ أيضاً: الحال والشأن وقال ابن الأعرابي[3]: الإمة غضارة العيش والنعمة.[4]

تعريف الأمة اصطلاحاً:

الأمة الإسلامية: جماعات من الناس تجمعهم عقيدة الإسلام.

---

(1) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، كان هو والأحمر أشهر أصحاب الكسائي، وكانا أعلم الكوفيين بالنحو من بعده ، ت 207هـ، معاني القرآن (ج1/ ص10).

(2) اللحياني: زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص اللحياني الهنتاني. ت سنة 725هـ الأعلام للزركلي ، (ج3 / ص 45).

(3) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، ابو عبد الله، علامة باللغة، من أهل الكوفة. الأعلام للزركلي (ج3 / ص131).

(4) انظر: لسان العرب (ج10/ ص213).

الأمة هي: جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثة، ومصالح وأماني واحدة، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان. يقال الأمة المصرية، والأمة العراقية. و- الجيل. و- الدين.[1]

ثالثاً: العلو والهبوط في حياة الأمة الإسلامية:

منذ أن صدع الرسول ﷺ بدعوة الحق ورفرفت راية الإسلام خفاقة في ربوع الجزيرة العربية، ثم انتشر إلى سائر أنحاء العالم، والإسلام قد ارتقى في عهد الخلافة الراشدة إلى ذروة الفلاح، ومن حينها والإسلام في صعود وهبوط، كلما أخذ بالأسباب ارتقى إلى العلو، وعندما تراخى في الأخذ بالأسباب ضعف وتكالبت عليه الأمم، وكان آخر هذه الخلافات الخلافة العثمانية والتي عمَّرت ما يزيد على أربعة قرون، وبين هذه وتلك مر الإسلام بظروف صعبة ضعف فيها أحيانا وقوي فيها أحيانا، ولكنه لم يمت، ولن يموت لأنه دين الله الذي ارتضاه لعباده، ولأن هذا الدين يحمل في ثناياه عوامل الفلاح كالبذرة الصالحة، حيثما وجدت تربة خصبة وظروف مناسبة أنبتت واشتد سوقها، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [ابراهيم :25]، ولأن هذا الدين منهج حياة كامل، يتوافق مع الفطرة البشرية، ولا يكلفها أكثر مما تطيق، وهذا الدين جاء ليكون شريعة حاكمة للبشرية جمعاء، " ويقول سيد قطب: "إذا أريد للإسلام أن يعمل، فلا بد للإسلام أن يحكم، فما جاء هذا الدين لينزوي في الصوامع والمعابد، أو يستكن في القلوب والضمائر. إنما جاء ليحكم الحياة ويصرفها، ويصوغ المجتمع وفق فكرته الكاملة عن الحياة، لا بالوعظ والإرشاد، بل كذلك بالتشريع والتنظيم" [2]

وقد دفع المسلمون ثمن العلو والفلاح دماءً وأشلاءً، وجهداً ومالاً، وتخطيطاً وآمالاً، فلم يصل المسلمون في أي فترة سابقة إلى الرفعة والفلاح إلا بثمن باهظ، ولن يصلوا إلى العزة والفلاح في وقتنا الحاضر إلا بنفس الثمن، لأنها سنة ربانية ويقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:251].

وسؤال يطرح نفسُه؟ ما دمنا على الحق وأن هذا الدين دين الله، فلماذا لا يأتي الله ﷻ للمسلمين بالعزة والفلاح بأقصر الطرق وأقل التكاليف؟!

---

(1) المعجم الوسيط (ج1/ص27).

(2) معركة الإسلام والرأسمالية/ ص 55/ سيد قطب.

والجواب: أن الله ﷻ أراد أن يختبر المسلمين ويبتليهم من ينصر دينه؟!ومن يقدم من أجل نصرة دينه؟، فالنفس وهبها الله لنا بدون مقابل وأموالنا رزق من عند الله أعطانا إياها، فعندما نقدمها لنصرة دين الله ما أخذنا بدون ثمن فإن الله سيعطينا مقابلها الفلاح في الدنيا، والفوز بالآخرة برضوانه وجنته التي هي أغلى بكثير مما قدمنا، وحتى يأجرنا في الآخرة درجات في الجنان على قدر ما قدمنا لنصرة هذا الدين، ويقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت2-3]، ويقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت :69]، ويقول الأستاذ سيد قطب "والآن يقول قائل: إذا كان الإسلام، وهو من الله للحياة البشرية، لا يتحقق في الأرض وفي دنيا الناس، إلا بالجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية وفي البيئات المختلفة. فما ميزته: إذن على المناهج البشرية، التي يضعها البشر لأنفسهم، ويلغون؟ منا ما يبلغه جهدهم، في حدود طاقتهم وواقعهم، ولماذا يجب أن نحاول تحقيق ذلك المنهج، وهو يحتاج إلى الجهد البشري ككل منهج؟ فلا يتحقق منه شيء بمعجزة خارقة، ولا بقهر: إلهي ملزم؟ وهو يتحقق في حياة الناس، في حدود فطرتهم البشرية، وطاقتهم العادية، وأحوالهم الواقعية؟!وإن أعداء الإسلام لا يروق لهم أن يروا الإسلام ينمو ويترعرع"[(1)] ولكنهم يبذلون كل ما في وسعهم من أجل محاربة الإسلام بأنهم يعلموا، أن في علو الإسلام كشف عورتهم، وسقوط فكرتهم، وزوال دولتهم، ولذلك لن يدخروا جهداً في الصد عن دين الله يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال :36]، والباطل عندما يواجه الإسلام يواجهه متوحداً، وقد أخذ بالأسباب وأعد العدة؛ فإذا أردنا أن نهزم الباطل فلابد أن نكون موحدين تحت راية واحدة وقد أخذنا بكل أسباب القوة والإعداد، وللإنطلاق من أجل الوصول إلى العزة والفلاح وحرية البشر يجب أن يتحرر البشر من كل قيود الأرض ومن الشهوات لكي يصلوا إلى مبتغاهم.

سقوط الخلافة العثمانية

وقد حرص أعداء الإسلام على هدم الخلافة العثمانية الصرح الإسلامي العظيم الذي كان يحمي بيضة المسلمين، ويوحد كلمتهم لأنهم علموا أنهم لا يمكن أن يصلوا إلى فلسطين قلب العالم الإسلامي، أو يسيطروا على المسلمين في ظل وجود الخلافة حتى وإن كانت قد وصلت إلى

(1) هذا الدين/ ص15/ سيد قطب.

شيخوختها وقد تآمر الغرب الصليبي والشيوعية الحاقدة مع اليهودية الصهيونية من أجل إسقاط الخلافة تمهيداً لقيام الكيان المسخ على أرض فلسطين.

" لم يكن هذا الحادث يخص العرب وحدهم، ولا يخص الشعوب والأمم التي دانت بالإسلام. فضلاً عن الأسر والبيوتات التي خسرت دولتها وبلادها، بل هي مأساة إنسانية عامة لم يشهد التاريخ أتعس منها ولا أعم منها، فلو عرف العالم حقيقة هذه الكارثة، ولو عرف مقدار خسارته ورزيته، وانكشف عنه غطاء العصبية، لاتخذ هذا اليوم النحس- الذي وقعت فيه - يوم عزاء ورثاء، ونياحة وبكاء، ولتبادلت شعوب العالم وأممه التعازي، ولبست الدنيا ثوب الحداد. "[(1)]

ومنذ أن هدمت الخلافة العثمانية وأصبح المسلمون في حيصَ بيصَ[(2)] هب بعض المخلصين من أبناء الإسلام على أثر الصدمة الكبرى من سقوط الخلافة، وحاولوا تشخيص الداء وإيجاد الدواء لاستنهاض الأمة لكي تخرج من كبوتها، وكانت محاولات كثيرة منها من اقترب من الصواب، ومنها ما جانبه، ولعل بعض الناس يتساءل لماذا لم تقم للمسلمين قائمة منذ ما يقرب مائة عام؟! لأن الله ﷻ خالق هذا الكون أوجد منهج الأسباب والمسببات فمن أخذ بالأسباب الربانية وصل إلى مبتغاه، ومن حاد عن الأسباب الربانية لم يصل إلى مبتغاه، وقد عجت الساحة الإسلامية بحركات وجماعات كثيرة فما كان منها قريباً من الصواب كتب له البقاء، ولقد اندثر كثير من هذه المسميات لضعف فكرتها وعدم صبر أبنائها على مواصلة الطريق وصمودهم أمام المعوقات من أعداء الإسلام لأن الحق لابد له من قوة تحميه وصبر على تحمل مشاق الطريق يقول تعالى: **﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** [العصر:3].

والمسلمون مطالبون بالأخذ بالأسباب من أجل بلوغ المهمة المرجوة التي أرادها الله لهم وهي حاكمية العالم تحت راية الإسلام، ولن يكون فلاح للأمة إلا بالوصول لهذه الغاية، يقول الدكتور محمد اقبال في مقدمة كتاب ماذا خسرا العالم بانحطاط المسلمين: "إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية، ويفرض على البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته، لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين.

ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه. فليس مقامه مقام التقليد والإتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ومقام الإرشاد والتوجيه. ومقام الآمر الناهي. وإذا تنكر له الزمان، وعصاه

---

(1) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين/ ص 26

(2) حيصَ بيصَ :اختلاط من أمرٍ ولا مخرج لهم ولا محيص منه.(لسان العرب)

المجتمع وانحرف عن الجادة، لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسالم الهر، بل عليه أن يثور عليه ويناله. ويظل في صراع معه وعراك، حتى يقضي الله في أمره." [1]

وإن منهج الإسلام الكامل المتكامل الذي يربي أبناءه على المبادرة والأخذ بالأسباب والعزيمة وعدم التقاعس لأنه مطالب بالعمل لقوله تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة :105]، وأمام هذه الحوافز لم يبقَ أمام الإنسان المسلم إلى السعي لبلوغ الغاية ويقول أبو الحسن الندوي: "إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور الاطمئنان في غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السوي، وإخراجها من الظلمات إلى النور".[2]

---

(1) مقدمة كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)- المؤلف أبو الحسن الندوي/ ص 9.

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / ص12.

المبحث الأول

عـوامـل فـلاح الفــرد

ويشتمل على اثنا عشر مطلباً:

المطلب الأول: الإيمان بالله واتباع الرسل.

المطلب الثاني: المحافظة على الإيمان والإخلاص في العمل.

المطلب الثالث:إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

المطلب الرابع: تحقيق الخشوع والخشية من الله.

المطلب الخامس: الإعراض عن اللغو والبعد عن الجدال العقيم.

المطلب السادس: تزكية النفس من الموبقات.

المطلب السابع: تحري الصدق واجتناب الكذب.

المطلب الثامن: الإكثار من فعل الخيرات واجتناب المنهيات.

المطلب التاسع: الحفاظ على العفة وستر العورة.

المطلب العاشر: .الوفاء بالعهود وأداء الأمانات.

المطلب الحادي عشر: العفو والصفح.

المطلب الثاني عشر: تحقيق الوعي الديني والفكر النقي عند الفرد المسلم.

المبحث الأول

عوامل فلاح الفرد في الدنيا والآخرة

يعدُّ الفرد اللبنة الأساسية في المجتمع، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع، وإذا فسد الفرد فسد المجتمع، ولذلك عَنِيَت الشريعة الإسلامية عنايةً كبيرةً به لكونه النواة الصلبة في المجتمع، والتي يُلقى على عاتقه أعباء كبيرة، وإن نجاح هذه المهمة يترتب عليها الفلاح في الدنيا والآخرة، ولذا وجدنا أن جيل الصحابة الذي تربى في مدرسة النبوة كان خير القرون حيث قامت على أكتافهِ الدولة الإسلامية الأولى، وقام بها كأحسن ما يكون.

وقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول ﷺ: **(قال خير الناس قرني)** (1)

أما في عصرنا الحاضر فقد أقامت بعض الدول حضارتها على المادية، وقد أهملت بناء الفرد والمجتمع فقامت في مظهرها الزائف ولكن سرعان ما انهارت على رؤوس أصحابها امتثالا لقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [التوبة:109]، ولذا فإن الله ﷻ جعل من سننه الكونية الأخذ بالأسباب، في خطوات متكاملة متوازنة متناسقة بين الفرد والأسرة والمجتمع، ولذا فإن الفرد الصالح يعدّ هو الكنز الثمين عند الأمة الناجية. وإن العهود تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: بين الإنسان وربه بتوحيد الربوبية وهو ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف172].

القسم الثاني: بين الإنسان وغيره من الناس وهي تتعلق بالكليات الخمس وهي الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل.

والقسم الثالث: بين الإنسان ونفسه، أن يحفظ على نفسه عقله لا يجعل فيه إلا خيراً، وبطنه لا يدخل فيه إلا حلالاً، ولسانه لا يذكر فيه إلا خيرا، وعينه لا ينظر فيها إلا بحق، وأن يبقى ذاكراً نعم الله ويذكر الآخرة.

---

(1) صحيح البخاري– كتاب الشهادات –باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد–حديث رقم(2652) (ج3 ص171).

وسأقتصر على عوامل فلاح الفرد في هذا المبحث على ما يأتي:-

المطلب الأول: الإيمان بالله واتباع الرسل.

قال ﷺ: **(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث).**(1)

إن الإيمان هو الركن الأساس في حياة الإنسان المؤمن فهو الأساس الذي يرتكز عليه كل أفعال الخير، والجزاء والثواب في الآخرة مبني على حقيقة الإيمان وصحته، فإن صح الإيمان صح كل شيء ونال الأجر وإن فسد الإيمان فسد كل شيء وخسر الأجر، وإن الناس لا يوزنون يوم القيامة بأجسادهم وأنسابهم بل التقوى ميزان رب العزة، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: 13]

إن المتقين يبتغون دائماً مرضات الله في الدنيا والآخرة ويكون هذا هدفهم الرئيس ويُسَخِرُون كل جهدهم في الدنيا، من أجل الوصول إلى هذه الغاية، وهي غاية سامية يحق للمؤمنين التنافس عليها، وهي الفلاح في الدنيا والآخرة، وحتى إن ملكوا من الدنيا الشيء الكثير فهو لا يقاس بجانب نعيم الآخرة، ولذا يجب على المؤمن أن يحرص على فعل الخيرات المترتبة عن الإيمان الصحيح لإثقال الموازين، والإيمان لابد له من تقوى، فالإيمان والتقوى متلازمان، وقد جاءت آيات كثيرة من القرآن تُبين ذلك.

1-﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ *أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:3-5]

﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ إن الإيمان بالغيب له أثره على نفس الإنسان المسلم وإن الإيمان الحقيقي الكامل يدفع صاحبه إلى فعل الطاعات لأن الإيمان بالغيب يعني الإيمان بما جاء به محمدﷺ بالأمر بالطاعات والنهى عن الموبقات والإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار، فالذي لا يؤمن بالغيب لا يفعل الخير والطاعات ولذلك فإن الإيمان بالغيب له أثر كبير على أفعال العبد المؤمن ولأهمية هذا الإيمان وتعلق ما بعده به جاءت به صدر سورة البقرة، ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا**

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (ج1/ص19) حديث رقم: 50.

أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة :4] والإيمان لا يكتمل إلا بالإيمان بكل الرسل ورسالاتهم يقول تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ **[البقرة285]**(1).

2- ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:157]

هذه الآية تدعو أهل الكتاب من اليهـود والنصارى باتباع الإسلام كم قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:85] لأن الفلاح لا يكون إلا في اتباع الإسلام وتأييد رسوله بالغيب واتباع منهجه بكل الوسائل المتاحة المسلم ولا يجوز أن يقصر في ذلك فالرسول محمد ﷺ إنما جاء رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:107] وكما قال ﷺ: **(ثلاثاً يؤتون أجورهم مرتين رجل آمن بنبيه وآمن بي، وعبد مملوك أعطه حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطأها فأدبها وعلمها ثم أعتقها وتزوجها)**(2) ومما تقدم يتبين أن الفلاح في الدنيا والآخرة يكون باتباع الإسلام وهدي محمد ﷺ.(3)

---

(1)انظر: جامع البيان للطبري(ج1/ص188)، بحر العلوم(ج1/ص90)، فتح القدير (ج1/ص62).

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:ولد في مدينة آمُل في طبرستان، وولد عام (224هـ/839) عاش الطبري أعزب ولم يتزوج، أول من جمع كتاب تفسير على الأرجح كان عالم بالقرءات واللغة ت310هـ (الأعلام للزركلي ج6/ص69)

السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبو الليث الملقب بإمام الهدى، علامة من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين ت 373هـ. (الأعلام للزركلي (ج3/ص27)،

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسني، والده القاضي الشوكاني، بصنعاء، ت 1250هـ ، فتح القدير ، ج1/ ص22).

(2) صحيح البخاري كتاب العلم باب تعليم الرجل أمته وأهله (ج1/ص31 ح97).

(3) التحرير والتوير (ج4 / ص136)، صفوة التفاسير(ج1 / ص441).

3- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[البقرة:189]

كان من عادة العرب في الجاهلية إذا خرجوا للسفر وأرادوا أن يعودوا يدخلوا البيت أو الخباء من خلفه، وكانوا يتشاءمون دخول البيت من بابه فنزلت هذه الآية تدعو المسلمين بالتخلي عن هذه العادة، وفي هذه الآية دعوة من الله بالتخلي عن كل عادات الجاهلية فالتحلي بأخلاق الإسلام التي فيها سعادة البشر فإذا تخلوا عن عادات الجاهلية وتحلوا بعادات الإسلام فأن الله سيكافئهم بلذة التجلي الإيماني، والذي فيه فلاح الفرد في الدنيا والآخرة .[1]

4- قال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 114]

وهذه الآية أيضا توضح للمسلمين طريق الصلاح بالإيمان الكامل بالله واليوم الآخر، وقد بينت هذه الآية أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ تقدمت على فعل الخير وكأن الآية تريد أن توصل للمسلمين مفهوماً أنه لا قيمة لفعل الخير ما لم يسبقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسد باب الشيطان ويجعل لفعل الخير ثمرة.

أما إذا لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو كمن يغزل أول النهار وينكثه آخره، حيث إن أهل الخير يبنون والشيطان وأعوانه يهدمون وقد بينت الآية أن الإنسان يجب أن يسارع إلى فعل الخير ولا يتوانى لأنه لا يدري متى سيموت.[2]

5- قال تعالى :﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 57].

يبين الله ﷻ في هذه الآية الجزاء العظيم للمؤمنين والمتقين في الآخرة وإن عِظم الجـزاء من عظيم العمل والله ﷻ يحث المؤمنين لتحقيق التقوى لنيل أعظم الدرجات والآية تبين أنه قد ينال نتيجة الإيمان رزقاً وفيراً من رب العالمين ولكن ما ادخر الله للمؤمنين في الآخرة أعظـم وأكبـر بكثير مما أتاهم في الدنيا[3].

---

(1)انظر:جامع البيان للطبري (ج2/ص173)،تفسيرابن كثير(ج1/ص226)، معاني القرآن (ج1/ص84).

(2) انظر: في ظلال القرآن(ج1/ص450)، تفسير السمرقندي(ج1/ص292)، صفوة التفاسـير(ج1/ص204)، التحرير والتنوير(ج2/ص58).

(3) انظر: تفسير ابن كثير (ج3/ ص254)، المحرر الوجيز- (ج3/ ص 256)، الجامع لإحكام القـرآن (ج5 / ص 198).

ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى. المصدر السابق (ج3/ص 32.0) ت774هـ

6- يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]

هذه الآية نداء من رب العالمين للمؤمنين لتحقيق التقوى الكاملة في كل جوانب الحياة في العبادات والمعاملات والمعتقدات وفي كل أركان الإسلام والإنسان المسلم مطالب بتحقيق التقوى في كل لحظة من بداية حياته ولا يؤخر ولا يسوّف لأنه لا يعلم متى يلقى الله فلا بد أن يكون مستعداً دائما للقاء ربه، وبالتقوى الكاملة حتى ينال رضا الله، والله ﷻ يأمر الناس بأن يموتوا على دين الإسلام الدين الحنيف وهي دعوة إلى كل الأمم بأن نسلم بحياتها قبل مماتها وأن الإسلام هو الدين المقبول عند رب العالمين (1).

وهكذا نرى أهمية التقوى في الإسلام من كثرة الآيات التي جاءت تخاطب المسلمين بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ...﴾ ليستثير في النفوس المؤمنة كمال الإيمان والتقوى، وكذلك يتودد رب العزة للفئة المؤمنة بهذا النداء من باب حرصه على بلوغ هذه السمة، واعلم أخي المسلم أن الإيمان قطعة من البلور إن مسها شيء غير الحرير تخدش، فيجب أن يحافظ على الإيمان من أي خدش وأن يبقى ناصعاً نقياً سليماً كقطعة الماس في جوف المؤمن.

المطلب الثاني: المحافظة على الإيمان والإخلاص في العمل.

إن أي عمل لا بد له من إخلاص النية لله حتى يقبل، وإن هذه السمة كالروح التي تسري في الجسد، وأي عمل يتجرد منه الإخلاص يصبح كالجسد بلا روح لا قيمة له،والإيمان الحقيقي الكامل يؤدي إلى الإخلاص ونقص الإيمان يؤدي إلى خصلة من خصال النفاق ولذا قد اعتنى العلماء بهذا الجانب واعتبروا أن الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ﵁ عن رسول الله ﷺ **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى فمن كانت هِجرتهُ إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)**(2) وإن هذه السمة تعدُّ المدخل النقي الذي يجب أن تمرَ من خلاله الأعمال، ولذا فان الله يحاسب الناس على إخلاصهم في نياتهم أكثر مما يحاسب على العمل نفسه،

---

(1) انظر: روح المعاني (ج4/ ص17)، التحرير والتنوير (ج2/ ص30)، ظلال القرآن (ج1/ ص442).
الألوسي: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث ، أديب من أهل بغداد، ت 1270هـ ، الأعلام للزركلي (ج3 / ص 178).

(2) صحيح البخاري – كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (ج 3/ص 178)

فأن الإخلاص شرط قبول العمل، وأن قبول العمل أحد عوامل الفلاح في الدنيا والأخرة وقد ورد ذلك في كثير من الآيات منها:

1- يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:5]

يأمر رب العزة بإخلاص النية لله لأن هذا الأمر يحتاج إلى علم ومجاهدة، وقد يقع فيه كثير من العوام سواء بقصد أو بغير قصد، ولذا أمر الشارع بالحفاظ على سلامة النية من الشرك الخفي والشرك الظاهر لكي يبقوا دائما على الصراط المستقيم وقد رأينا كيف أن إخلاص النية في الثلاثة نفر الذين أغلق عليهم الغار كان سبب نجاتهم وتفريج كربهم وأن الله ﷻ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه وأي عمل فيه شرك يرد على صاحبه، وأن العمل المقبول عند الله لابد أن يتحقق به شرطان، الأول: إخلاص النية، والثاني: أن يكون موافقاً للشرع.[1]

2- قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14]

إن من أهم العبادات القلبية هو الدعاء، وكما قال الرسول ﷺ: (الدعاء هو العبادة)[2] والدعاء هو العبادة المخلصة لله، والشيطان وأعوانه يسعون جاهدين لحرف المسلمين عن أصل هذه العبادة وإن التوسل إلى غير الله من الأصنام البشرية والحجرية شرك، وقد نجح الشيطان في بعض البلدان الإسلامية في هذا الجانب بسبب جهل المسلمين وبعدهم عن الإيمان الصحيح ولن يرضى الكافرون من المؤمنين أن يخلصوا دينهم لله،وأن يدعوه وحده دون سواه، ولا أمل في أن يرضوا عن هذا مهما لاطفهم المؤمنون أو هادنوهم أو تلمسوا رضاهم بشتى الأساليب، فليمضِ المؤمنون في وجهتهم يدعون ربهم وحده، ويخلصون له عقيدتهم ويصغون له قلوبهم ولا عليهم رضيّ الكافرون أم سخطوا وما هم يوما براضين[3].

---

(1) انظر:- الجامع لأحكام القرآن (ج10/ ص379)، تفسير السمرقندي (ج3/ ص499)، الأساس في التفسير - (ج 11/ ص6623).

(2) سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- كتاب الصلاة- باب الدُّعَاءِ- حديث رقم(1481)- 551/1- دار الكتاب العربي ــ بيروت. قال الألباني: صحيح (صحيح الترغيب والترهيب 127/2).

(3) انظر: التحرير والتنوير (ج9/ص105)، فتح القدير- للشوكاني- (ج4/ص 576)، مختصر تفسير ابن كثير- (ج 3/ ص238). في ظلال القران (ج5/3073).

3- ويقول تعالى:﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر :65]

إن هذه الآية بدأت بذكر صفات رب العالمين ثم بذكر توحيد الألوهية فمن كان كاملاً في صفاته متفرداً بالألوهية فإنه يستحق العبادة الخالصة دون غيره، ومعنى الدين هنا العبادة وأن نحمده ﷻ على نعمة الهداية الكاملة والحمد لا يكون إلى بما أنعم الله به على العباد[1]:

إن على الإنسان المؤمن أن يخلص العمل لله ويجتهد في العمل مبتغيا الأجر من الله، ولا يهمه النتائج إذ إن الأجر مرهون بالعمل وإخلاص النية وليست بالنتيجة والإخلاص يتحقق من الخشية الحقيقية والعلم بأسماء الله وصفاته وابتغاء مرضاته والتذلل له والتوسل إليه بما هو أهل له.

المطلب الثالث:إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

إن فريضة الصلاة والزكاة من أهم أركان الإسلام فالصلاة حق لله والزكاة حق من أموال الأغنياء للفقراء، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[المعارج24: **25]** وقد اكتسبت الزكاة هذه المكانة باقترانها بالصلاة حيث ذكر تعالى في مواطن كثيرة (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإن الصلاة زكاة للجسد والزكاة تزكية ونماء للمال والأمر بآدائها تعبدي، لأن الله يعلم أن المال محبب للنفس وأن الإنسان المؤمن ينخلع من ما أحب إلى من أحب ابتغاء مرضات من أحب، والزكاة تزيد من الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، ولعل دعوة في ظهر الغيب من فقير لغني تكون سبباً في دفع البلاء عنه وتوفر له من المال أضعاف ما قدمه للفقراء، إن في ترك الصلاة ضياع لحقوق الله وفي ترك الزكاة ضياع لحقوق العباد، والصلاة صلة بين العبد وربه ومن قطع صلة الله ليس فيه خير للبشر وعن عثمان بن عفان رضي الله عنهقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها، وركوعها وإلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله)** [2] وفي هذا المعنى:-

(1) انظر:- فتح القدير (ج4/ ص594)، التحرير والتنوير (ج9/ ص191- 192)، تفسير كلام المنان (ج6/ ص547).

(2) صحيح مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (205/1) حديث رقم 228.

1- ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ *أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[البقرة:3-5]

بعد الإيمان بالغيب جاءت فريضة الصلاة والزكاة والترتيب هنا للأهمية وأن من واجبات الإيمان أداء الفرائض وأولها أداء الصلاة وهي أن يؤدي المسلم الصلاة في أوقاتها محافظاً على أركانها مداوماً عليها بكل شروطها، وأداء واجب الزكاة وصدقة التطوع والأنفاق على من يعيل والأنفاق على الفقراء والمساكين وهذه الآية

قد اشتملت على أركان الإيمان وعلى أهم فريضتين في الإسلام ولأهميتها وقد جاءت في مقدمة القرآن ﴿أُولَئِكَ ﴾أي الذين هذه صفتهم ﴿ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ أي على رشاد، من ربهم وقيل على استقامة ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة.(1)

2-يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [المؤمنون: 4]

قد ذكر الله في سورة المؤمنين بعد صفات الفلاح منها الزكاة، ولكنه في هذه الآية جاء في صيغة المبالغة أي الإكثار في فعل الزكاة والمداومة عليها أي ليست لمرة واحدة في العمر، بل هي في كل سنة حتى يبقى المسلم على صلة دائمة برضوان الله.(2)

3- قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة:43]

الزكاة في الأصل النماء والطهارة وتطهر المال من الخبث والنفس من البخل وتزيد بركة المال وتفيد النفس فضيلة الكرم.

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، وهما فريضتان واجبتان ليس لأحد فيهما رخصة، فأداؤهما إلى الله (ﷻ)، وجعل الله للزكاة مصارفها الخاصة بها، ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: 60] "(3)

(1)انظر:تفسير ابن كثير(ج1/ص43)، في ظلال القرآن (ج1/ص40)، تفسير الخازن(ج1/ص25).

(2) انظر: صفوة التفاسير- (ج2/ ص277)، التحرير والتنوير- (ج8/ ص12).

(3) انظر: روح المعاني (ج2/ ص 274)، المحرر الوجيز (ج1/ ص136)، تفسير السمرقندي (ج1 / ص 149)، التحرير والتنوير (ج1/ ص 672).

4- قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 110]

بينت هذه الآية الكثير من الآيات التي قرنت الصلاة والزكاة لتبين أهمية وإبراز هاتين الصفتين عند المسلم ولا يكون المسلم مسلماً إلا بإبراز هاتين الصفتين، فالصلاة حق الله والزكاة حق الفقراء ويجب إخراجها تشجيعاً لضعفاء النفوس واقتداءً لهم بغيرهم من أجل إظهار ظاهرة التكافل الاجتماعي وجب على الإنسان المسلم أن يدخر من دنياه لآخرته، لأن كل درهم يتصدق به يكون ذخراً له في ميزان حسناته يوم القيامة، وقد جاءت فاصلة الآية (إن الله بما تعملون بصير) لتبين أن الله ﷻ مطلع على أفعال العباد، ويعلم هل وجبت الزكاة على العبد أم لا بحلول النصاب وهل أدى الزكاة كاملة أم لا فجاءت الفاصلة مناسبة مع معنى الآية، بعلم الله على أفعال العباد.(1)

إن الزكاة طهارة للجسد ودفع للبلاء وهي تقوي الروابط الاجتماعية في المجتمع وتمنع المحتاجين من الوقوع في الرذائل وتعفهم وتكرمهم وتجعلهم أفراداً صالحين، ويظهر المجتمع بمظهر سليم ليكون مثالاً للمجتمعات الكافرة في الدخول في الإسلام.

المطلب الرابع: تحقيق الخشوع والخشية من الله.

الخشوع: صفة القلب والجوارح، الدالة علي تأثر القلب بجلال الله، واستشعار هيبته وتقواه . (2)

إن الخشية هي العبادة القلبية الصادقة التي تبرهن صدق العبد عند ربه إذا كان يطيعه بصدق ورضى بعيدا عن مظاهر النفاق وهذه العبادة يُمتَحنُ بها العبد بحبه وطاعته لله في **السر** والعلن، والخشية تحتاج علماً بتوحيد صفات الله وأسمائه الحسنى، والإيمان بالجزاء في الآخرة، والفرق بين الخوف والخشية فالخوف أمر فطري في الإنسان، وقد يخاف الإنسان من شئ لا يستحق الخوف منه ولكن الخشية أن تخاف من من يستحق الخوف منه، وهذا هو الفرق بين الخوف والخشية وقد وردت كثير من الآيات تشير إلى هذا المعنى منها:

---

(1)انظر:صفوة التفاسير(ج2/ص76) تفسير السمرقندي- (ج1/ ص194)، التحرير والتنوير- (ج1/ 672)، كلام المنان- (ج1- 124).

(2) في ظلال القرآن- سيد قطب- (ج 5/ ص2863).

1- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:77]

وذكرت الآية أنواع العبادات البدنية وحتى لا يغتر الناس بصلاتهم إذا أدوها، وهم يعتقدون أنهم قد أقاموا الإسلام بالصلاة فيذكرهم الله أن قسماً كبيراً من فعل الخير لابد أن يفعل، وهي سائر العبادات في الإسلام من زكاة وصيام وحجٍ وجهاد، وخصال الخير، وحسن الخلق حتى يكتمل عندهم الإيمان ويحوز على الجنان، والرجاء المستفاد من ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ مستعمل في معنى تقريب الفلاح لهم إذا بلغوا بأعمالهم الحد الموجب للفلاح.(1)

2- قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:1-2]

إن الصلاة موطن من مواطن اختبار الخشوع عند المسلم، وذكر وتعلق الخشوع بالصلاة؛ لأن المسلم يجب أن يشعر أنه واقف بين يدي الله وأن الله ناظر إليه فهل استشعر المسلم عظمة الخالق الذي يقف بين يديه، فإن لم يشعر بالخشية فهو جاهل في عظمة الله وقدرته وقوته، فلابد أن يتحسس إيمانه، ويقوم قلبه من الانشغال بغير الله، والمطلوب ليس أداء الصلاة بحركات مطلوبة بل الامتثال لأمر الله بأداء الصلاة وتحققها بأركانها وحقيقتها ولمَّا كانت همة المؤمنين منصرفة إلى تمكين الإيمان والعمل الصالح من نفوسهم كان ذلك إعلاماً بأنهم نجحوا فيما تعلقت به هممهم من خير الآخرة وللحق من خير الدنيا، ويتضمن بشارة برضى الله عنهم ووعدا بأن الله مكمل لهم ما يتطلبونه من خير.(2)

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك:12]

هذه الآيات تذكر الإنسان المؤمن بحقيقة الإيمان التي لابد منها وهي أن نؤمن بالله غيباً ولو أننا لم نره – فالإيمان به واجب بكامل الصفات والأسماء التي أخبرنا عنها في كتابه وسنة نبيه، والخشية بالغيب هي أن لا يأتي الإنسان المنكر في الخلوة ظاناً أنه لا يراه أحد- وأجر الخشية عظيم عند الله لأنها تبرز المعرفة الحقيقية بالله.(3)

---

(1) انظر: تفسير الخازن- (ج3/ ص265)- التحرير والتنوير(ج346/7)، في ظلال القرآن (ج4/ص2445) .

(2) انظر: تفسير ابن كثير(ج 3/ص239)،جامع البيان للطبري (ج8/ص258)، في ظلال القرآن (ج4/ ص4454).

(3) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية- (ج5/ ص340)، التحرير والتنوير (ج12/ ص 21)، تفسير السمرقندي (ج 3/ص387)، تفسير الخازن (ج4/ص320)، فتح القدير (ج5/ص312).

4- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57]

إن المؤمن الذي يخشى الله إنما هي علامة صحة إيمانه، والمؤمن الذي يخشى الله يجب أن لا يخشى غيره مهما كان له من سلطان، والفرق بين الخوف والخشية أن الخوف قد يكون فطريا في الإنسان أو أن الإنسان يخاف مما لا يستحق الخوف منه، بينما الخشية هو أن تخاف مما يستحق الخوف منه بقوته وعظمته وجبروته ووعيده، وهنا يكون الخوف وقد وصل إلى درجة الخشية المطلوبة للإنسان المؤمن، والخشية هي عبادة قلبية وليست مقصورة على الصلاة بل إنها إذا ملكت القلب تبعتها الجوارح، فيخشع لسانه ويده وقدمه وسمعه وبصره لله ﷻ، والخشية هي مرتبة أعلى من الإيمان مرتبطة ومترتبة عليه.(1)

إن الإنسان المؤمن يجب أن يسعى من أجل تحقيق الخشية الحقيقية وأن يأخذ بالأسباب في تحصيلها بالعلم ومصاحبة الصالحين والعاملين والخشية قرينة بالإخلاص في العبادة فهنا أمران متلازمان، فالإخلاص يعتمد على توحيد الإلوهية الخالص والخشية تعتمد على المعرفة بالأسماء والصفات.

المطلب الخامس: الإعراض عن اللغو والبعد عن الجدال العقيم.

إن اللغو من الأمراض التي تصيب الأمم والأفراد ولا تأتي بخير بل تفرق القلوب والجماعات، وقد نهى الإسلام عن الخوض في اللغو، لأنه لا فائدة فيه ناهيك عن الوقوع في أعراض الناس وغيبتهم واللغو يشغل الأفراد والأمة عن أمهات الأمور ويشغلهم بالصغائر ويضيع جهد الأفراد والأمة في غير مكانه، ولذا فقد عدّه الله ﷻ من الأمور المنهي عنها لما لها من عواقب سيئة على الأفراد والمجتمع وأمرهم أن يشغلوا أنفسهم بما هو خير ونافع للأمة، وقد ذكر المولى العديد من الآيات تشير إلى هذا المعنى منها:

1- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3]

تشير هذه الآية والآيات السابقة إلى صفات المؤمنين، ومنها أنهم معرضون عن اللغو، إن اللغو يشغل القلب عن الأمور الإيمانية والذكر، ويبقى الإنسان مشغولاً في الصلاة بوساوس الشيطان المتعلقة بقول اللغو الذي سبق الصلاة، فيدخل الإنسان لصلاته ثم يخرج منها ولم يدرك منها شيئاً، وقد يكون هذا الأمر وهو أحد أسباب الحكمة الربانية الذي جاء بذكر اللغو بعد الخشوع في الصلاة، وكأن الشارع يريد أن يقول لنا إذا أردتم الخشوع فعليكم الابتعاد عن اللغو الذي يتعب

(1) انظر: فتح القدير (3ج/ص606)، في ظلال القرآن (ج4/ص2472)، الجامع لأحكام القرآن ج 4 /ص 439).

اللسان ويذهب بالقلب بغير مكانه لأهمية هذا الأمر جاء ذكر آية اللغو في صدر سورة المؤمنين بعد الخشوع وقبل الصفات الأخرى مثل فعل الزكاة وحفظ الفروج وحفظ الأمانات وأداء الصلوات.(1)

2- قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: 55]

والإسلام لم يكتف بأن يكف المسلم عن اللغو بل طلب منه اعتزال تلك المجالس والبعد عنها وإن كان المسلم في حالة ضعف وسمع من الإيذاء ما يسوء فعليه أن لا يرد هذه الإساءة بل يحتسبها عند الله، ولكن إذا كان المسلم في وضع قوة فعليه أن يغلق أفواه المنافقين الذين ينالون من الإسلام والمسلمين.(2)

3- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72]

تبين هذه الآية أن من صفات المؤمنين أنهم لا يشهدون الزور ولا يقولون اللغو، لأن أوقاتهم أثمن من أن يشغلوها باللغو وأنهم إن مروا على مجالس اللغو ومجالس النفاق لا يشاركونهم تحقيراً لهم وعدم تكثير سوداهم والبعد عن الخوض في الآثام، وأعداء الإسلام والمنافقون يكثرون من مجالس السوء للتشويش على مجالس الخير عند المسلمين، وحتى يمنعوا الناس من سماع كلمة الحق ويجب على الإنسان المسلم ألا يقر بأقوال المنافقين وأن يقول الحق وأن يظهر كلمة الحق ويعرّي الباطل، وقد يستعين الباطل بأبواق وأدوات كثيرة فعلى الإنسان المؤمن أن يتسلح بالحقائق والإيمان لصد أكاذيب الباطل.(3)

وإن أعداء الإسلام يحرصون على إشغال الأمة بالملهيات وسفاسف الأمور وتلهيهم عن الأمور الجادة التي تحفظ الإنسان في دينه وماله، ولذا نجد أعداء الإسلام ينشطون في مواسم الخير من أجل إفساد تلك المواسم على المسلمين، فمثلا تكثر المسلسلات الهدامة والأفلام الماجنة في شهر رمضان لإشغال الناس عن ذكر الله، فيجب على المسلمين أن يحرصوا على أنفسهم من الانزلاق في اللهو واللغو في مثل هذه المواسم، ويعلمون أن الشيطان وأعوانه يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر ليمنعوهم من السجود لله، ونجد أن الدول الصليبية ومن خلفها الماسونية العالمية قد أوجدت

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (ج8/ص11)، جامع البيان للطبري(ج8/ص269).

(2) انظر: تفسير السمرقندي (ج2/ص821)، في ظلال القرآن، (ج5/ص 2701) .

(3) انظر:تفسير التحرير والتنوير (ج7/ ص79)، المحرر الوجير (ج4/ ص22)، فتح القدير (ج4/ ص109)، في ظلال القرآن (ج5/ ص580) .

مباريات كأس العالم والاولمبياد من أجل إشغال الناس فيما لا ينفع حيث أنفقت بعض الدول من الأموال على الرياضة ما يدفع عنهم الفقر.

المطلب السادس: تزكية النفس من الموبقات.

تزكية النفس: اختصار تطهيرها من الشرك وما يتفرع عنه، وتحقيقها بالتوحيد وما يتفرع عنه، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة لله بالتحرر من دعوى الربوبية، وكل ذلك من خلال الاقتداء برسول الله ﷺ.(1)

إن النفس الإنسانية التي وهبها الله للإنسان أمانة عنده، ولابد أن يحافظ عليها نقية خالصة من الرذائل والموبقات، لكي يسلمها إلى خالقها كما استلمها نقية على الفطرة، وأن الإنسان يقع في بين أمور تتجاذبه العقل والقلب والنفس ، وكلها مرتبطة بعضها ببعض، فإذا سلم العقل صح القلب زكت النفس، والإنسان خلق من جسد وروح، وقد خلق الله في هذا الجسد شهوات فإذا تبع الإنسان شهواته أصبح حيوانياً، وإذا ترفع عن الشهوات وأقبل على الطاعات زكت نفسه فارتقت إلى درجات الملائكية، وقد ذكر المولى العديد من الآيات التي تبين المعنى منها:

1- قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: 14-15]

قد أفلح أي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه، [من تزكى] أي تطهر من الشرك بذكره اتعاظه بالذكرى...، (تزكى) أي أكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء، وقد جمعت أنواع الخير في قوله {قد أفلح} فإن الفلاح نجاح المرء فيما يطمح إليه فهو يجمع معنيي الفوز والنفع، وهو الظفر بالمبتغى من الخير.(2)

2- قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [الشمس:9]

إن من عدل الله ﷻ للإنسان أن جعل له حرية الاختيار كما قال تعالى {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } [البلد:10} حتى يكون الإنسان مسئولاً عن أفعاله وأقواله، وإن الله ﷻ لا يظلم أحداً وهذا من عدله المطلق، ومن هذا المنطلق أثنى على من أحسن الاختيار بقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:9-10]

---

(1) المستخلص في تزكية الأنفس / ص175.

(2) انظر:جامع البيان للطبري (ج11/ص513)، التحرير والتنوير (ج12/ص 287)، روح المعانى(ج154/ ص109).

وذم من أساء الاختيار بقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:10] وإن حسن الاختيار من الفطرة السليمة وسوء الاختيار من النفس الخبيثة التي تحكمت فيها الشهوات، ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ هذا هو جواب القسم، أي لقد فاز من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من دنس المعاصي والآثام.(1)

إن النفس جوهرة غالية أودعها الله في الإنسان فاحرص أخي الحبيب على أن تبقى هذه الجوهرة في حصن حصين من مكائد الشيطان، واعلم أن فلاحك في الدنيا والآخرة مرهون بصلاح هذه النفس وتطهيرها من الآثام وتزكيتها بالعمل الصالح.

المطلب السابع: تحري الصدق واجتناب الكذب.

الصدق: هو الصفة التي يخرج من لا يتصف بها من صفوف الأمة المسلمة.(2)

إن الصدق من الصفات التي مدح الله بها النبيين، وهي من أبرز صفات الإيمان وهي معيار لوجود الإيمان، أو عدمه، وإن الصدق مطلوب في العبادة مع الله والمعاملة مع الناس ومع النفس، وإن الصدق يكون سبباً في قبول العمل أو رده، وإن الصدق يكون سبباً في دفع البلاء عن الإنسان، وإنه يرفع الإنسان درجات حتى يكتب عند الله صديقاً كما قالﷺ (**إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عن الله كذابا)** (3) والصدق يكون مع الله بالإيمان بكتبه وإتباع رسله ومع النفس بالإخلاص والبعد عن الشرك والرياء ومع الناس بحسن المعاملة، وهذا من شأنه أن يرتقي بالمسلم إلى مرتبة الفالح في الدنيا والآخرة، وقد بين الله ذلك في كثير من الآيات منها:

1- يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس: 69]

إن الذين يستغلون الكذب لقضاء حوائجهم الدنيوية قد ينجحوا في ذلك لفترة قصيرة لكن سرعان ما ينكشف كذبهم في الدنيا والآخرة وتظهر حقيقتهم ويبوؤوا بالخسران وأي نعيم ينالوه في

---

(1) انظر: أضواء البيان- للشنقيطي (ج246/9)، صفوة التفاسير (ج3/ص 539)، في ظلال القرآن (ج6/ 39186).

(2) في ظلال القرآن- سيد قطب- (ج 5/ ص2863).

(3) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} وما ينهى عن الكذب (ج25/8) حديث رقم 6094.

الدنيا نتيجة الكذب، فإنه لا شيء بالنسبة لنعيم الآخرة وأن الشقاء الذي سينالونه في الآخرة نتيجة الكذب سينسيهم نعيم الدنيا كله، وإذا أردنا الفلاح في الدنيا فعلينا أن نتحرى الصدق في أفعالنا وأقوالنا ومع أنفسنا ومع الناس ومع الله، ولا يستهين أحد بأن هذه كذبه صغيرة لا تؤثر لأنها ستجر إلى ما هو أكبر حتى يتصف الإنسان بالكذب ويكذب الدعوات والرسل، وهذا ما يريده الشيطان. (1)

2- قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: 116]

ومن أنواع الكذب، الكذب على الله بتحليل ما حرمه وتحريم ما حلله بحجج واهية دنيوية، مثل أن بعض الدول الإسلامية تقوم ببيع الخمور بحجة أنها تجلب السياحة والعملات الصعبة لإنعاش اقتصاد البلاد، وكذلك يكذب أصحاب الديانات السابقة بأن ديانتهم الحق وأن غيرهم باطل، قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ [المائدة: 18] } ويزعمون أن لهم الجنة في الآخرة دون غيرهم من الأمم.(2)

3- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119]

هذه الآية هي أمر من الله تعالى إلى المؤمنين بالحفاظ على ثلاث خصال هي من أهم صفات الإيمان وهي الإيمان والتقوى والصدق وكأنه تعالى يخبر أن التقوى والإيمان لا تكتمل إلا بالصدق، وأن الصدق صفة من صفات المؤمنين ولنا في قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك وهم (هلال ابن أمية ومرارة ابن الربيع وكعب بن مالك) (3) دليلٌ على أثر الصدق في بقاء المؤمن في دائرة الإيمان، وإن كان الصدق يوصل صاحبه إلى رضا الله في الدنيا فإنه ينال الأجر العظيم في الآخرة، ويكون مع النبيين بقوله تعالى ﴿ **مَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً**﴾ [النساء: 69]. والصدق يجب أن يكون في كل شيء في الجد والهزل، والصدق يجب أن يكون في القول والعمل

---

(1)انظر: جامع البيان للطبري (ج6/ص265)، معاني القرآن(ج1/ص317)،تفسيرابن كثير(ج2/ص425).
(2) انظر: أضواء البيان (ج3/ص 267)، المحرر الوجيز(ج3/ص429)، تفسير السمرقندي (ج2/ 254).
(3) تهذيب سيرة ابن هشام، (ص287).

والنية وقد يراد من الآية التهكم من رب العزة إلى المنافقين بأنهم مهما فعلوا لن يصلوا إلى مرتبة الإيمان التقوى والصدق بكذبهم.(1)

4- قال تعالى: ﴿ وقَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة:119]

هذه الآية تبين الفضل الكبير لهذا الخُلق عند الله ﷻ حيث يقول كلمة الفصل على رؤوس الأشهاد يبين فيها مكانة الصادقين في الآخرة، وأنهم استحقوا هذه المكانة بسبب صدقهم وقد يراد بهذه الآية عيسى عليه السلام من خلال السياق ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد تكون الآية عامة في جميع الأنبياء بصدقهم في تبليغ دعواتهم.(2)

طالما أن الصدق هو صفة النبيين وهو سبب رضا الله عنهم، وبلوغ المنزلة في الآخرة فيجب على الدعاة أن يقتدوا بهم في صدق دعوتهم إلى الله حتى ينالوا صحبة النبيين.

إن الصدق كنز المؤمن في الدنيا والآخرة، وليس هناك أفضل من أن يكنز المؤمن صدقاً وتقوى، فهما من مفرجات الكروب ومزيلات النقم، وجالبات للنعم في الدنيا، ورضوان الله في الآخرة.

المطلب الثامن: التوبة والإكثار من فعل الخيرات.

إن المؤمن الفطن الذي يتزود من دنياه لآخرته ويعلم أن الدنيا دار ممر والآخرة دار مستقر، وأن الآخرة هي المآل والمستقر، وإنها هي الحياة الحقيقية للمؤمن، ولا يمكن أن نبلغ الآخرة إلا برضوان الله ﷻ ورضوان الله لا يُنال إلا بكثرة الطاعات بعد الصدق والإيمان، وإن كثرة الطاعات تُخلِف في قلب المؤمن الطمأنينة والسعادة في الدنيا ودرجات العلا في الآخرة، فكلنا يدخل الجنة بفضل الله ونتفاوت فيها بأعمالنا وفي الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل وعلا: **(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقدمه التي يمشي**

(1) انظر: جامع البيان للطبري(ج6/ص 170)،التحرير والتنوير(ج3/ ص118)،المحرر الوجيز(ج3/ ص95)، تهذيب سيرة ابن هشام (ص219).

(2) انظر: التحرير والتنوير(ج3 / ص 118)، روح المعاني(ج7/ ص72)، في ظلال القرآن (ج2/ص1002).

بها ولئن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه)[1] (ولا بد للإنسان المسلم أن يجدد التوبة، وللتوبة شروط إذا كانت في حق الله (أ): أن يشعر بالندم .(ب)أن تكون توبته صادقة إلى الله.(ج) أن يعزم على أن لا يعود، أما إذا كانت في حق العبد فيضاف إليها شرط رابع وهو: أن يعيد الحقوق إلى أصحابها) [2]. ومن هذه الآيات.

1- قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]

إن هذه الآية جمعت بين العبادات العملية والقلبية وأبرزت قيمة الركوع والسجود اللذان هما من أركان الصلاة وقد تميزت بهما الشريعة الإسلامية عن سائر الديانات الأخرى فليست في صلاة اليهود والنصارى ركوع أو سجود، فلهذا أثنى الله ﷻعلى هذه العبادات التي تميزت بها هذه الأمة، وفي قوله (اعبدوا ربكم) أي احرصوا على العبادة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة بعيداً عن الشرك والبدع نقية كما جاءت من عند الله، وقد ذكر الخيرات بعمومها دون حصر حتى يبقى المجال مفتوحاً أمام من يريد فعل الخير بأي شكل من أشكاله الكثيرة وتعظيم شعائر الإسلام لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة، وهذه الآية حجة على من يُصلون ويعتقدون أنهم بصلاتهم قد جمعوا الإسلام، وفي الحقيقة أنهم أقاموا أحد أركان الإسلام، وهي دعوة لمن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة أن يجمع بين العبادات العملية والقلبية، وأن الإسلام كاملٌ متكامل لا يتجزأ، ويجب أن يؤخذ كله أو يترك جُله. وقد بين الله ﷻ أن هذه الأمور هي أحد أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة.[3]

2- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص:67]

هذه الآية تبين أن من دواعي الفلاح من الدنيا والآخرة التوبة والإكثار من فعل الخيرات وتجديد التوبة دائماً كل ما شعر المسلم أنه بحاجة إليها أو إذا وقوع في الآثام لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:114][4]

---

(1) صحيح البخاري- كتاب الرقائق- باب التواضع- حديث رقم(6502)- (105/8).

(2) صحيح البخاري- كتاب الرقائق- باب التواضع- حديث رقم(6502)- (105/8).

(3) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى (ص373).

(4)انظر: تفسير السمرقندي (ج2/ص524)،تفسير الخازن (ج3/ص369)، تفسير ابن كثير(ج3/ص398).

3- قال تعالى:﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:8]

هذه الآية تظهر أحد مشاهد يوم القيامة ،وهو وزن الأعمال وعدل الله هو الصفة البارزة ذلك اليوم، ولذ يجب على الإنسان المسلم أن يكثر من أفعال الخير حتى تثقل موازينه ويكون من المفلحين الفائزين في ذلك اليوم.(1)

4- قال تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة: 10]

هذه الآية تبين وجوب الموازنة بين أمور الدنيا والآخرة بحيث لا يطغى أحد على الأخر فالآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[الجمعة:9] فصلاة الجمعة واجبة عند الأئمة الأربعة(2) ويحرم العمل في ذلك الوقت ولكن الله ﷻ أراد أن يختبر الإنسان في مدى طاعته حيث سمح اه بالعمل طيلة الأسبوع ما عدا ساعة واحدة وهذا يعني أنه يجب على الإنسان المسلم أن يعطي الله حقه في العابدة ثم يتفرغ لأمور الدنيا.(3)

5- قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة 148]

هذه الآية أمرٌ من الله للأمة الإسلامية بالإكثار من فعل الخير والعمل حتى تتميز عن سائر الأمم بالأفعال لا بالأقوال وأن الأمة التي تحسن فعل الخيرات وتترك الموبقات لهي أمة تستحق أن تكون خير الأمم كما قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [آل عمران: 110]

---

(1) معاني القرآن(ج1/ص251)،جامع البيان للطبري(ج5/ص268)، فتح القدير (ج2/ص243).

(2) فقه السنة / سيد سابق (ج1/ص254)

(3)انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور (ج6/ ص 243)، الفتوحات الألهية (ج8/ص9)، أضواء البيان (ج8/ص305).

وفعل الخير لا ينحصر في مكان معين في ديار الإسلام مثلاً، ففعل الخير في ديار الكفر قد يكون أحد وسائل الدعوة للإسلام وهذه الآية فيها بشارة على أن الإسلام سينتشر في كل بقاع الأرض، وفي الآية حثٌ على ترتيب أمور المسلم من الفاضل إلى المفضول حسب الأولويات، وهي متمثلة في كلمة استبقوا لأن الشيطان يلبس على الإنسان ترتيب الأولويات وانشغاله بالصغائر دون الفضائل والإسراع بالتوبة قبل فوات الأوان قبل أن يفاجئه الموت.(1)

يقول سيد قطب: "وبهذا يصرف الله المسلمين عن الانشغال بما يبثه أهل الكتاب من دسائس وفتن وتأويلات وأقاويل.. يصرفهم إلي العمل والاستباق إلي الخيرات، مع تذكر أن مرجعهم إلي الله، وأن الله قدير علي كل شي، لا يعجزه أمر، ولا يفوته شيء."(2)

وكما رأينا أن أبواب الخير كثيرة لا تكاد تحصى من أجل أن يجعل الله ﷻ متسعا لأصحاب الهمم الضعيفة والقوية، ولا يبقى عذر لأحد أن يتقاعس عن فعل الخيرات بحجة أنها صعبة المنال.

وفي فعل الخير مجال للرجل والمرأة، والحر، والعبد والصغير والكبير كما قال ﷺ: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)** (3) **وعن أبي ضر جندب بن جنادة ﷺقال: قلت يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: (الإيمان بالله، والجهاد في سبيله) قُلُتُ: أي الرقاب أفضل، قال: (أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً) قلت: فإن لم أفعل؟ قال: (تُعينُ صانعاً أو تصنع لأخرق) قُلُتُ: يا رسول الله أرأيت إن ضعف عن بعض العمل؟ قال (تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك)**(4)

المطلب التاسع: الحفاظ على العفة وستر العورة.

حفظ الفرج: وما فيه من تطهر، وضبط لأعنف ميل وأعمقه في تركيب كيان الإنسان، وسيطرة على الدفعة التي لا يسيطر عليها إلا تقي يدركه عون الله، وتنظيم للعلاقات.(5)

إنما جعل التشريع الإسلامي لصالح البشر ولرعاية مصالحهم في الدنيا والآخرة، وإن اللباس الشرعي الذي أراده الله يعطي الإنسان المسلم العفة والستر والطهارة، ولهذا فإن أمر هذا الكون لا يصلح إلا بما أراده خالقه، وإذا انجرف الإنسان خلف شهواته فإنه سينحرف عن المسار الطبيعي الذي أراده الله له، ستختل موازين الكون عنده وتضطرب الحياة عنده، ولن ينال ما يريد،

---

(1) انظر: تفسير السمرقندي (ج1/ ص166)، تفسير الخازن (ج1/ ص90)، التحرير والتنوير (ج1/ ص44).
(2) في ظلال القرآن(ج1 / ص136).
(3) صحيح البخاري- كتاب الزكاة- باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة {ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم الآية وإلى قوله من كل الثمرات}- حديث رقم(1415)- (ج2/ص109).
(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (ج89/1) حديث رقم84.
(5) في ظلال القرآن- سيد قطب- (ج 5/ ص2863).

ولكن ينال الشقاء في الدنيا والخسران في الآخرة،" والزنى يقطع الأرحام، ويضيع الأنساب، ويحل الوشائج، ويفك الروابط بين أفراد المجتمع.

ذلك لأن الأسرة التي تعتبر اللبنة الأولى في بناء المجتمع وترابط وتماسكه، تتصدع وينفرط عقدها وتتهدم، ونجد غالبيتهم كما تدل الأحصاءات يعشقون الإثم، ويهوون الجريمة، لأنهم من نتاج الإثم ويقاسي المجتمع من آثامهم وجرائمهم ما يقاسي" [1] فإذا أردنا الفلاح في الدنيا والآخرة فعلينا اتباع منهج الله الذي فيه سعادة البشر التي ارتضاها لعباده، ومن هذه الآيات.

1- قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ **[النور:30-31]**

إن الله ﷻ يأمر المؤمنين والمؤمنات بستر العورة، ومن مفهوم المخالفة أن الذي يكشف عورته أولا يكون في صف المؤمنين، وإذا كان الأمر قد شمله ما هو كبير " حفظ الفروج " فإن ما دون ذلك يكون داخلاً في معيته وستر العورة يجب أن يكون للرجل والمرأة على السواء، وستر العورات يجب أن يكون في السر والعلن أي في خارج البيت وفي داخل البيت بسبب التطور في إنشاء البيوت العالية والتي قد تسبب انكشاف العورات عن بعد، ومع وجود وسائل تصوير عن بُعد فيجب على من يحرص على الإيمان أن يحرص على ستر عورته.

ومن الأماكن التي يجب أن يكون فيها ستر العورة الحمامات العامة حتى وإن كانت لأحد الجنسين فهي أماكن عامة قد يرتادها البر والفاجر، ولما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ لأن النظر يريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يُحترس منه.[2]

---

(1) خطر التبرج والاختلاط/ ص 100.

(2) انظر: المحرر الوجيز(ج4/ ص 178)، صفوة التفاسير (ج2/ ص 306) في ظلال القرآن (ج5/ص2880)، أيسر التفاسير: (ج4/ ص223)، المحرر الوجيز:(ج4 / ص 399).

2- يقول تعالى: ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ **[يوسف:23]**

تبين هذه الآية أنه من أراد العفة والطهارة وأخذ بأسبابها فإن الله سييسر له ذلك، ويعينه، وإن من لم يأخذ بأسباب العفة والطهارة فإن الشيطان سيسيطر عليه، ويسخره لخدمة أهدافه، وقد أخذ يوسف بالأسباب الإيمانية الثلاث مقابل أسباب الغواية الثلاثة وهي:-

الدعوة الصريحة، والتهيئة، وإغلاق الأبواب.

أما الأسباب الإيمانية الثلاثة التي استعان بها يوسف فهي:

1- حفظ شكره لربه قوله ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ﴾

2- الاستعاذة بالله في قوله (**مَعَاذَ اللَّهِ**).

3- قوله: ﴿ **إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ واعتبر الزنا من ظلم الإنسان لنفسه.(1)

3- يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ **[الأحزاب: 59]**

وأن المرأة التي تلتزم الزي الشرعي قد أخذت بالأسباب حتى لا تتعرض لإيذاء السفهاء وقد جعلت من مظهرها حصناً يحميها من الشيطان وأعوانه، وقد كانت عادة في بداية الإسلام أن الحرائر والإيماء يلبسن نفس الثياب فأراد الشارع الإسلامي أن يفرق بين الحرة والأمة حتى تبقى حرة بعيدة عن إيذاء السفهاء، وفي فاصلة الآية ﴿ **فإن اللَّهُ غَفُور رَحِيم** ﴾ إبقاء باب التوبة مفتوحاً أمام اللواتي أسرفن على أنفسهن بالتبرج، وأن الله يعفو عن ذلك إذا عادت المرأة إلى الزي الشرعي امتثالا لأمر الله. (2)

كما أن الآيات السابقة طالبت النساء بالستر على العموم فهذه الآية تطالب الرجال بحفظ الفروج على العموم، وأن من صفات المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها لحفظهم لفروجهم: أي من اللواط والزنا، وأن الله ﷻ طالب المؤمنين بعفة اللسان والبدن وعفة اللسان تساعد على عفة البدن، والإسلام يطالبنا بنشر الفضيلة في المجتمع وأنه يساعد على العفة وحفظ

---

(1) انظر:تفسير السمرقندي(ج2/ ص157)، تفسير الخازن (ج3/ ص 520)، في ظلال القرآن (ج4/ ص 1981).
(2) انظر: أضواء البيان (ج5/ ص 759)، روح المعاني (ج18/ ص 6)، فتح القدير (ج3/ 589).

الفروج، والقول الفاحش يكون مقدمة للزنا، ومثير للشهوة فكان الترتيب في الآيات من باب الأولويات، وقد جاء الأمر الرباني لرسول الله ﷺ بأن يأمر أزواجه بالعفة والستر لكي يكون الرسول ﷺ قدوة للرعية ونساؤه قدوة لسائر النساء، ونفهم من الآية أن القائد والفرد مطالبون بتطبيق القانون التشريعي الرباني سواسية دون تمييز.

والتشريع الإسلامي جاء لحفظ النفس والمال والعرض من الضياع والاختلاط،حيث اختلاط الأنساب يضيع المال في غير مكانه إذ أن الولد غير الشرعي سيرث من هو ليس أباه، ولربما بضياع الأنساب قد يتزوج الرجل من محارمه وهو لا يدري ويكون فيه هتكٌ للمحارم، وعندما أمرنا الله ﷻ بستر العورات فإن فيه حفظاً للمروءة والفحولة عند الرجل، فإن البلاد التي قد انتشر فيها العري يصاب رجالها بالبرود الجنسي، لأنه لم يعد شيئا من جسد المرأة خفي عنه ويستفز فيه كوامن الرجولة، وإن ستر جسد المرأة يكون أشهى عند الرجل ولو أن المرأة بقيت بدون ستر لكان هذا منفراً للرجال منها بعد أن ترهل ما استُقبل وما استُدبر منها، ولكنها حكمة الله في تشريعه التي حافظت على مصلحة الجنسين في البقاء على الدوام والنسل على هذه الأرض.

وأن حفظ الفروج يحافظ على عدم انتقال الأمراض المعدية من أحدهم إلى الآخر، والتي يسبب بعضها العقم الدائم وانتشار مرض فقدان المناعة المكتسبة الذي يسبب الموت، "وإن المجتمع المختلط المتبرج الإباحي مجتمع يهدد النسل الإنساني بالفناء ،والإنجاب البشري بالعقم، وينذر الحياة بالموت والوفاء، ووجود الإنسان بالعدم والزوال[1]".

المطلب العاشر: الوفاء بالعهود وأداء الأمانات

إن الوفاء بالعهود هي صفات المؤمنين التي أثنى الله عليها في القرآن الكريم، وقد حذر منها رسوله ﷺ حيث قال **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كدب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)**[2]، وذكر أن عدم الوفاء بالعهد هي من صفات المنافقين، ومن أجل أن يسلم الفرد المسلم من صفات النفاق لابد له أن يتحلى بصفة الوفاء بالعهود، من أجل أن يحصن نفسه وقلبه من النفاق وأن ينبذ هذه الخصلة المذمومة، عليه أن يتصف بالصفات الحميدة ومنها الوفاء بالعهود وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود يحفظ على الناس أموالهم وأعراضهم ودمائهم، وهي من خصال الخير والإيمان والفلاح في الدنيا والآخرة. وقد أشارت كثير من الآيات إلى هذه الخصال الطيبة منها:

(1) خطر التبرج والاختلاط ص133.

(2) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (ج16/1) حديث رقم33.

1- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: 8]

وهذه الآية تبين أن الإنسان المسلم يجب أن يكون دوماً محافظاً على العهود والمواثيق والأمانات الذي وكل بها وقد شبهت الآية المسلم الذي يحافظ على العهود كالراعي الذي يحافظ على راعيته من أي خطر خارجي وقد جاء قوله تعالى في كلمة ﴿ رَاعُونَ ﴾ بصيغة المبالغة بياناً على حرص المسلم وكثرة تعده للأمانات .(1)

ويقول سيد قطب:

"راعون لأماناتهم وعهدهم أفراداً وراعون لأمانتهم وعهدهم جماعة والأمانات كثيرة في عنق الفرد وفي عنق الجماعة، وفي أولها أمانة الفطرة وقد فطرها الله مستقيمة متناسقة مع ناموس الوجود الذي هي منه وإليه شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته... والعهد الأول هو عهد الفطرة كذلك.هو العهد الذي قطعه الله على فطرة البشر بالإيمان بوجوده وبتوحيده وعلى هذا العهد الأول تقوم جميع العهود والمواثيق.فكل عهد يقطعه المؤمن يجعل الله شهيدا عليه فيه،ويرجع في الوفاء به إلى تقوى الله وخشيته. والجماعة المسلمة مسئولة على أمانتها العامة". (2)

2- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 34]

هذه الآية تناقش جانباً اجتماعياً في المجتمع المسلم وهي عدم أكل أموال الأيتام لكونهم ضعافاً، وقاصرين يخشى ضياع أموالهم، ولذا أهتم الشارع بالوفاء بأداء أموال اليتامى القاصرين حتى بلغوا مبلغ الرجال، وقد لا يكون هناك عهود مكتوبة فيطمع الوصي بالمال أو إبداله بما هو أسوأ فجاء الأمر الإلهي، بالوفاء بأداء حقوق الأيتام والضعفاء، فإذا كان اليتيم لا يملك الحجة في ملكه فإن الله أعلم بالحقيقة وسيسأل الوصي غداً عن كل شيء فإذا أوفى فله الأجر وإذا غدر فعليه الوزر ولا ينفعه ما أخذه من مالٍ في الآخرة (3).

(1) انظر: التحرير والتنوير (ج8/ص1)، الفتوحات الإلهية- (ج5/ ص226).
الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، ت سنة 1204هـ ، الأعلام للزركلي (ج3/ص131).

(2) في ظلال القران(ج4/ ص2456).

(3) انظر: فتح القدير (ج3/ ص285)، تفسير ابن كثير (ج3/ ص40)، معاني القرآن للفراء (ج2/ ص50)، في ظلال القرآن (ج4/ ص2226).

3- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ **[المائدة: 1]**

هذه الآية من الآيات المحكمة الجامعة فقد جاءت بأمرين ونهيين واستثناء بعد استثناء ولأهمية العهد جاءت الوصية من رب العالمين بنداء الإيمان إلى المؤمنين بالوفاء بالعهد والعهد عند الإنسان المؤمن يشمل العهود ما بين العبد وربه وما بين العبد والناس وما بين العبد ونفسه والوفاء بالعهود يحفظ الحقوق للناس ولا يضيعها، وقد تتجاوز العهود الإنسان إلى الحيوان بالرحمة والرأفة لأن الإسلام أهتم بالحيوان أيضا من عدم إيذائه وعدم إرهاقه بالعمل حتى وأن اُحل له استعماله في خدمة الإنسان، وإطعامه ورعايته، ومن ظاهر نص الآية يتبين أن الوفاء بالعهود من خصال الإيمان ومن الخصال التي يجب أن يحرص عليها المؤمن.(1)

جاءت هذه الآية لتشدد النهي عن أكل مال اليتيم من الذين وُكِّلوا بالوصية عليهم؛ لأنهم استأمنوا على قاصرين فاقدين الأهلية، وقد يسوّل الشيطان للإنسان أنه يحل له التصرف كما شاء في أموال غيرهم ، وليعلم المسلم أنه سيقف بين يدي الله ويسأل عن كل شيء، وقد يحتاج إلى هذه الصفة الحميدة في البلاد التي يقع فيها الحروب ويكثر فيها الأيتام، ومن حق الدولة أن تُشَرع القوانين التي تحفظ بها حقوقهم وأن تقيم المؤسسات التي تحافظ على أملاكهم، هذه أمانة ملقاة على عاتق الحاكم والوصي لأنه عهد سيسألون عنه.

المطلب الحادي عشر: العفو والصفح

إن صفة العفو بين أفراد المجتمع المسلم صفة لازمة، وكل إنسان معرض أن يقع في الخطأ، وليس هناك أحد معصوم إلا الأنبياء، ومن أراد أخاً بلا عيوب فلن يجدكما قال ﷺ **(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)** (2) ولذلك إن لم يكن هناك عفوٌ بين الأخوة فلن تبقى الأخوة، وما دام أن الإنسان معرض للخطأ فإن عفا عن زلة أخيه فغداً سيعفوا أخوه عن زلته، وتستقيم الحياة وتبقى الأخوة وتبقى الصدور سليمة تجاه الآخرين كما قال تعالى في صفة أهل الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر 47] هذه الآية جاءت لتؤكد على مبدأ العفو والصفح بين أفراد المجتمع الواحد لكي تبقى العلاقة الأخوية قوية، وصفة العفو والصفح من الصفات التي تساهم في المحبة بين أفراد المسلمين ، وأن الإنسان يجب أن يتخلى عن

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (ج3/ص74)، في ظلال القرآن (ج 834/2)، فتح القدير (ج2/ص6)، تفسير السمرقندي (ج1/ ص421).

(2) مسند أحمد (ج20/ص344) حديث رقم 13049، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (724/2) ح2341.

هوى النفس في حب الانتقام من غيره إذا ملك أمره، وإذا ملَّكَهُ إنسان أمر إنسان آخر فهي أمانة في عنقه ويجب أن يتقي الله فيها، ولا تحرفه الأهواء عن الحق مع استمرارية هذا الخُلق وغيره من الأخلاق يبقى الإنسان المسلم تحت كنف أخلاق الإسلام التي أرادها الله للمؤمنين.(1) فإن صفة العفو صفة الكرماء الأقوياء والذين يبتغون ما عند الله. وقد ورد في بيان هذا المعنى آيات منها:

1 – قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]

هذه الآية نزلت في حق أبي بكر الصديق عندما أمسك الأنفاق على مسطح ابن أثاثة الذي خاض في عرض عائشة في حديث الإفك وبعد نزول هذه الآية أعاد أبو بكر الأنفاق على مسطح رغبة منه لنيل محبة الله ومغفرته، وليعفوا عما كان منهم من جرم، وليصفحوا عما بدر منهم من إساءة، وليعودوا إلي ما كان عليه من الإنعام والإحسان (2).

2– يقول تعالىَ: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:37]

تبين هذه الآية الأمور التي تساعد الإنسان على العفو، فالإنسان الذي يريد أن يصل إلى خُلق العفو هذا الخلق العظيم يجب أن يتحلى بالبعد عن الكبائر والفواحش، وكأن الآية تطالب الإنسان المسلم الذي اتصف بالبعد عن الكبائر والفواحش، وتطالبه بالكمال والتحلي بالعفو والابتعاد عن المعاصي والمنكرات هي إحسان في حق الله بينما العفو والصفح هو إحسان في حق العباد.

والعفو والصفح يكون من الإنسان المسلم في حق المسلم والكافر بل يجب أن يلقى الكافر الذي يحارب الله ورسوله من المسلم أشد العداوة والبغضاء، وكما أن الحلم في مكانه كمال للأخلاق، كذلك يكون الغضب لله في مكانه من كمال خلق الإيمان.(3)

---

(1) انظر: في ظلال القرآن (ج4 / ص 2505)، الأساس في التفسير (ج7 / ص 3719)، تفسير السمرقندي (ج2 / ص 433)، تهذيب سيرة ابن هشام(ص 220).

(2) انظر:جامع البيان للطبري (ج8/ص 379)، صفوة التفاسير (ج2/ ص305).

(3) انظر:الأساس في التفسير(ج9/ص 5089)،التحرير والتنوير (ج10/ص111)، صفوة التفاسير (ج3/ص 133)، تفسير كلام المنان ج6 /ص 621).

ويقول الشوكاني: "أي يتجاوزون عن الذنب الذي أغضبهم ويكظمون الغيظ ويَحلمُون علي من ظلمهم، وخص الغضب بالغفران لأن استيلاءه علي طبع الإنسان وغلبته عليه شديدة، فلا يغفر عند سورة الغضب إلا من شرح الله صدره وخصه بمزية الحلم، ولهذا أثنى الله سبحانه عليهم."(1)

3- يقول تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف:199]

إن هذه الآية تأمر الإنسان المسلم أن يميز بين الناس في قدراتهم العملية والعقلية وأن الله خلق الناس متفاوتين في ذلك، فمنهم القوي بلا عقل ومنهم صاحب العقل بلا قوة، منهم من أخذ من هذا وهذا، ومنهم من لم يكن له نصيب من كليهما، فالتعامل مع الناس فن في إدارة هذا التعامل كل على حسب قدرته، وإذا عرفت هذه الإمكانيات سهل عليك التعامل معهم، وأرضيتهم جميعاً، وهذا التميز أو التشخيص بين الناس عندما تريد الأمر بالمعروف أن تخاطب كلاً حسب قدراته فيسهل عليهم الفهم والاستيعاب وتكون قد وصلت إلى المطلوب من بلاغة الأمر بالمعروف، وكذلك إذا عرفت قدرات الناس عرفت منهم الحكيم والسفيه وتتعامل مع الحكيم بحكمة وتبتعد عن السفيه لكي لا يسيء إليك وإذا أساء إليك تعلم كم هي نعمة الله التي أعطاك إياها.

وهذه الأخلاق هي في المعاملات بين الناس وليس في الأمور العقائدية، فإذا وجدت تقصيراً من إنسان أو خللاً في أمور العقيدة وجب عليك أن توضح له الخطأ أو الخلل لكي تبرأ إلى الله وتقوم بالواجب الموكل إليك وليس في هذا تساهل أو تسامح.(2)

المطلب الثاني عشر: تحقيق الوعي الديني والفكر النقي عند الفرد المسلم.

إن العلم والوعي هما الحصن الذي يحمي المسلم من الانزلاق في الأخطاء والعلم يحفظ الإنسان في كثير من المواطن من الوقوع في الشرك والإثم من حيث يدري أو لا يدري، والعلم بأمور الدين والحياة فريضة على كل مسلم مطالب بالبحث عنها حتى تستقيم حياته ويدرأ عن نفسه الشر، والعلم يحتاج إلى خُلق يلازمه فلا قيمة للعلم بلا خُلق، أو للخُلق بلا علم، ولابد من الأخذ بأسباب الوصول إلى الفكر النقي من خلال مخالطة أصحابه من الصالحين والبعد عن رفقاء الفكر السقيم، ولا نغفل إذا أردنا الوصول إلى الفكر السليم أن نأخذه من منبعه الكتاب والسنة وسيرة الصالحين، وإن الله ﷻ أنزل الشريعة الإسلامية منهاج حياة لسعادة البشر، وأن الذي خلق الكون

---

(1) فتح القدير (ج4 / ص642).

(2) انظر: صفوة التفاسير (ج1/ ص453)، تفسير كلام المنان (ج31/ ص134)، في ظلال القرآن (ج3 / ص1419).

والإنسان أعلم بما يصلح به حياة الإنسان، وأن الله ﷻ لم يُرد للإنسان في هذا الكون إلا الخير وما يصلح أمره في الدنيا والآخر.

ومن الآيات التي تبين هذا المعنى:-

1- قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:100]

إن من أصول الفقه في حياة الإنسان القاعدة التي تقول (ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب) فحياة الإنسان لا يمكن أن تستقيم إلا بالعلم والوعي، علم بأمور الدنيا، وعلم في أمور الآخرة والموازنة بينهما لصالح الإنسان المسلم في الدنيا والآخرة والذي يريد أن يصل بهذه الدنيا إلى مرضات الله، وإن الشيطان وأعوانه يَحرِفُون الناس عن الحق، ويزينون لهم الباطل بفرضيات واهية مثل أن، الكثرة هي الصواب دون أي دليل حقيقي ولكن المقياس الحقيقي للصواب هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولهذا قالوا لا يقاس الحق بالرجال ولكن يقاس الرجال بالحق.(1)

2- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135]

قد يغتر البعض بصحة فكرةٍ ما لكثرة أنصارها وهذا وَهمٌ، هذه الحقيقة القرآنية، يـذَكر الله بها عبادهُ بقوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الرعد: 17] فقد زعم اليهود والنصارى أنهم على الحق وأنهم أصحاب الشريعة الصحيحة فتكفل الله بالرد عليهم، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ [البقرة:113] ، وهذه الآية تبين أن كلاً من اليهود والنصارى على باطل بحكمهم على أنفسهم، وتبقى السيادة والريادة والنظام العالمي الذي يستقيم عليه أمر العباد هو الإسلام الذي حكم وساد قروناً طويلة.(2)

(1) انظر: الفتوحات الإلهية (ج 2/ ص280)، في ظلال القرآن ج2 / ص987)، تفسير الخازن (ج2 / ص 82).

(2) انظر: صفوة التفاسير (ج 1/ص 87)، تفسير السمرقندي (ج 1/ص161)، في ظلال القرآن (ج1/ ص 181).

3- يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:9]

بدأت هذه الآية باستفهام للقياس العقلي لكي يميز بين الإنسان العابد الزاهد وغيره من الناس وهذه الآية في حقيقتها تطالب الناس في العلم لأنه لا قياس بلا علم، فهي توجه الناس إلى العلم الحقيقي علم معرفة ذات الله والبذل من أجل بلوغ مرضاته وقد يظن بعض الناس أن الواعي بفهم أمور الدنيا ولكنه على المقياس المادي بعيداً عن منهج الله فهذا الذي يدعي لنفسه العلم قد ينتفخ وينتفش وسرعان ما يسقط في الهاوية، وسقوط الشيوعية أكبر دليل على ذلك، وكذلك تخبط الرأسماليه يميناً وشمالاً بحثاً عن الكمال، وقد تركوا المنهج الرباني الذي أراده الله فوقعوا في شر أعمالهم عندما جنحوا إلى الدنيا وتركوا الآخرة فعلى سبيل المثال: ما قيمة العلم الذي يحمله عالم ذرة هندوسي ولكنه يتباركُ ببول البقرة معتقداً بقدسيتها. فليس هناك أفضل من منهج الإسلام الشامل المتكامل الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الإنسان إلا وجاء بها.(1)

ويقول سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى:﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ "فالعلم الحق هو المعرفة. هو إدراك الحق. هو تفتح البصيرة. هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود، وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن، ولا تؤدي إلي حقائق الكون الكبرى، ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس، وهذا هو الطريق إلي العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة، هذا هو القنوت لله. وحساسية القلب، واستشعار الحذر من الآخرة، والتطلع إلي رحمة الله وفضله، ومراقبة الله هذه المراقبة الواجفة الخاشعة هذا هو الطريق."(2)

لا بد من الأخذ بالحسبان بجانب العلم والأخذ بالعبرة والعظة من تجارب الآخرين في الحياة، لأن تجارب الآخرين وخاصة الصحيحة منها صفحة مأمونة الجانب والعواقب والنتائج السليمة، وقد ذكر القرآن كثيراً من المواطن التي تدل على هذا المعنى، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: 17]

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (ج9 / ص 348)، صفوة التفاسير (ج3 / ص 66).

(2) في ظلال القرآن (ج5 / ص 3042).

لذا نرى أن الله ﷻ أثنى على لقمان في كتابه لأنه أُوتيَ الحكمة، وهذه الحكمة كانت من خلاصة تجارب السابقين، فالإنسان مطالب بالوعي الديني الذي يمكنه من الاستمرار في الحياة بنجاح ولكي يتغلب على العقبات التي تعترضه في حياته، فالعلم والوعي حصن للإنسان من الوقوع في مهاوي الردى.

المبحــث الثــانـــي

عــوامـل فــلاح الأســرة وأهميتها في الإسلام.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: حسن اختيار الزوج الزوجة .

المطلب الثاني: القيام بالحقوق والواجبات، وبر الوالدين .

المطلب الثالث: تحقيق القوامة للرجل.

المطلب الرابع: المودة والألفة بين الزوجين.

المطلب الخامس :التكافؤ الاجتماعي والعقدي.

المطلب السادس: تربية الأولاد تربية إسلامية حسنة.

المبحث الثاني

عــوامــل فــلاح الأســرة

إن للأسرة أهمية كبيرة في الإسلام والمجتمع، لأنها هي المحضن التربوي للفــرد، ومنهــا يكتسب الأخلاق الإسلامية، والفرد هو اللبنة الصالحة في الأسرة كما تقدم في المبحث السابق فــإن صلح الفرد صلحت الأسرة وبينهما علاقة وطيدة ولذلك حــث الإســلام علــى الاهتمــام بالأســرة ومكوناتها الأساسية الرجل والمرأة على السواء وكذلك الأولاد، فلكل واحد منهما وظيفتــه وحقوقــه في هذه المجموعة الأسرية فإن أُحسن بناء هذه الأسرة على أسس إسلامية يكون ما بعــدها أســهل، أي أن الأسرة هي اللبنة الأساسية للمجتمع فإن صلحت صلح المجتمع وهــو الفــلاح فــي الــدنيا والآخرة، والأسرة هي الوحدة التي انبثق منها الكون آدم وحواء، والأسرة هي المحــضن التربــوي للأولاد وفيها ينشئون على طاعة الله وبر الوالدين والشجاعة والكرم وحميد الأخلاق، والإسلام حث الرجل على حسن اختيار الزوجة من اللحظة الأولى لتكوين هذه الخلية الاجتماعية علــى أن تنــشأ على تقوى الله، وأن تكون النية من هذه الخلية ابتغاء مرضات الله، ولزوم طاعته.

"فالأسرة في نظر الإِسلام أسمى من أن تكون مجرد وسيلة لإنجاب البنــين، فهــي الخليــة الاجتماعية الأولى التي تبني المجتمع بما تزرعه من بذور الحب والمودة بين الزوجين والأولاد بما تسعى إليه من وسائل التعاون والتضامن بين أفرادها وبما تهدف إليه من وحــدة متماســكة لبنــاء المجتمع الكبير على أسس من الإخاء والتعاطف والنظم والقواعد يعرف كــل فــرد فيهــا حقوقــه وواجباته".(1)

" فالباعث على الزواج هو إمداد المجتمع بنسل صالح والعمل على إيجــاد الــسعادة بــين الزوجين في الحياة المشتركة لأن النسل القوي لا ينشأ إلا في الأسرة المتماسكة، والأسرة القويــة لا تكون إلا حيث المودة والمحبة والرحمة بين أفرادها".(2)

والأمن في المجتمع ينبع من الأسرة فإذا أمنت الأسرة أمن المجتمع وإذا اســتقرت الأســرة استقر المجتمع، والأسرة هي المكان الذي يُلقي فيه كل من الزوجين هموم الحيــاة للــتخلص منهــا واستبدالها بالمودة والألفة فلولا الأسرة لأثقلت الهموم كل من الرجل والمرأة وما استطاع أن يستمر في مواصلة الحياة، يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ **[الروم 21]**

---

(1) نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام- (ص21) الدكتور عبد الرحمن الصابوني.

(2) المرجع السابق / ص38.

والأسرة نموذج مصغر للتوافق والألفة في المجتمع المسلم فإذا وجد التنافر في الأسرة وجد التنافر في المجتمع، وإذا وجد التوافق في الأسرة وجد التوافق في المجتمع.

وقد يضطر الرجل أحياناً لتعدد الزوجات وهو أصل لا خلاف فيه، فلابد أن تكون في الأسرة الثقافة الإسلامية التي تحافظ على روابط الأسرة ضمن ضوابط الشرع بعيداً عن العواطف.

"والزواج كما شرعه الإسلام، فيه سكن للنفس، وراحة للقلب، واستقرار للحياة والوجدان، قد تعترضه بعض العقبات على نطاق الأفراد أو الأمم أو الجماعات، فقد يصاب الفرد بعقم زوجته أو بمرضها مرضاً مزمناً وهو حريص على عدم فراقها، وقد تبتلى الأمم بكوارث وحروب تفقد بها شبابها فيزيد عدد النساء أضعافا مضاعفة عن عدد الرجال وقد تكون نسبة الإناث في جماعة من الجماعات أكثر نسبة من الذكور". (1)

والإسلام لم يترك مشكلة إلا وأوجد لها الحل حتى يستقر المجتمع، وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:49] فمعنى الآية أن الوضع الطبيعي أن التساوي في عدد الجنسين وأن الاختلال الديموغرافي بين الجنسين في المجتمع، وفي حالة زيادة نسبة أحد الطرفين يكون هناك مشكلة ينتج عنها اختلال في المجتمع وظهور المشاكل الأخلاقية والاجتماعية، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

ويقول ابن عاشور: " إن هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثاً، وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا يجدن بُدا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق".(2)

والشيطان وأعوانه يعرفون أهمية الأسرة ولذا فإنه يسعى جاهداً من أجل تفكيكها، وعدم استقرارها حتى يسهل عليه قيادتها وتسخيرها لخدمته، ومن أجل ذلك نظمت الشريعة الإسلامية العلاقات والواجبات بين أفراد الأسرة كل ما له وما عليه من حقوق وواجبات، حتى يقطع الطريق على الشيطان وأعوانه، وأعداء الإسلام سخروا كل جهودهم من أجل هدم الأسرة باسم الحريات، وسلطوا جهودهم على إفساد المرأة لأنهم يعلمون دور المرأة المهم في الأسرة، ولأنهم فقدوا هذا الجانب الاجتماعي وقد تحطمت عندهم مكونات الأسرة ويتخبطون في الشقاء فأرادوا لنا أن نعيش في شقاء كشقائهم، وأعدوا لذلك جمعيات ومؤسسات بأسماء جذابة هدفها تدمير الأسرة، ويريدون أن ينقلوا لنا النكد الذي هم فيه غارقون بسبب فساد أفكارهم ومعتقداتهم، وما ورثوه من تراث نكد من

---

(1) نظام الأسرة وحل مشكلاتها- (ص 47- 48).

(2) التحرير والتنوير - (ج1/ ص492- 493).

العصور الوسطى المظلمة، وفي الحقيقة ليس بيننا وبينهم أي وجه للقياس فالمرأة في المجتمعات الأخرى مضطهدة ومظلومة، وسلعة رخيصة لأنهم لا يتبعون المنهج الرباني، بل يلهثون خلف سراب زائف جلبته القوانين الوضعية، ويريدون أن يجاملوا المرأة فيعطونها نصف المجتمع وقد هدموا النصف الآخر، ولا زلت أذكر كلمات الشيخ المجاهد أحمد ياسين- رحمه الله- في المؤتمر النسائي الذي عقد في مركز رشاد الشوا بغزة في منتصف عام 1999م وألقى كلمة طيبة حيث قال: " إنهم يقولون أن المرأة نصف المجتمع، وأنا أقول أن المرأة كل المجتمع فهي الشطر الأول والشطر الثاني، فهي أم الرجل وأخته، وعمته وخالته". [1]

مكانة المرأة في الديانات الأخرى.

وفي دراسة فاحصة مستعجلة نضع بين أيديكم نماذج من حال المرأة في المجتمعات الأخرى:

المرأة عند اليهود:

"إن التحريف الذي حصل في التوراة على يد اليهود أصاب كل جانب من جوانب عقيدتهم وشريعتهم، ومن ذلك تحريف نظرتهم إلى المرأة فكان اليهود يعتبرون المرأة أصل الشرور ومنبع الخطيئة ومصدر الآثام، وكانوا يضعونها في مرتبة الخادم، ولأبيها الحق في بيعها وهي قاصرة، ولا ترث شيئاً بل كانوا يعتبرونها نجسة وخاصة في أيام حيضها، ومن لامسها يكون نجس". [2]

المرأة عند النصارى:

"لقد غالى رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة، حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها: هل هي إنسان له روح؟ وهل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل؟ وهل تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟ لقد انتشر عندهم الاعتقاد بأن المرأة ليس لها روح، وفي عام 586م قرر مجمع " نيكون" بأن المرأة جسد به روح دنية، وخالية من الروح الناجية – واستثنوا مريم العذراء فقط لأنها أم المسيح – عليهما السلام. بل لقد صرح بولس بأن المرأة منبع الخطيئة، وأصل كل شر، ووراء كل إثم، ومصدر كل قبيح."[3]

المرأة في الجاهلية الحديثة:

"إن المرأة في الغرب تتمنى أن تعود إلى بيتها وأنى لها ذلك فقد تحطم نظام الأسرة، وأصبحت المرأة فيه تواجه الموت جوعا إن لم تعمل، فليس لها من كافل يكفلها، حتى أبواها يقومان

---

(1) الباحث كان أحد مرافقي الشيخ أحمد ياسين وشاهد في المؤتمر.

(2) نظام الأسرة في الإسلام – عدنان زرزور، وآخرون، (ص 25/ ط2).

(3) المرجع السابق / ص25- 26.

بطردها إذا بلغت السن القانونية (16أو 18) وليس في قوانين الغرب ما يفرض على الزوج النفقة على زوجته، بل عليها أن تشارك الرجل بعملها في كفالة نفسها، ومصاريف بيتها، إن على المرأة في الغرب أن تعمل لتسد رمقها."[1]

"فقرر المبادئ والمثل التي يجب أن تعامل على ضوئها المرأة وذلك كالآتي:

إكرام الإسلام للمرأة:

ومما تقدم بنظرة سريعة متفحصة نجد الفرق الشاسع بين معاملة المرأة في الأمم الأخرى وفي الإسلام فنجد أن الإسلام قد أكرم المرأة إكراماً كبيراً وجعل له دوراً في فلاح الأسرة الذي من شأنه أن يجعل المسلم يفوز بفلاح الدنيا والآخرة مما لا يدع مجالاً لضعاف النفوس والمنافقين أن يتاجروا بشعار المرأة وأن أباطيلهم مردودة عليهم.

وأن المرأة التي أرادها الله في الإسلام هي المرأة المثالية التي يجب أن يحتذى بها في كل المجتمعات وأن الإسلام قد أعطاها حق المشاركة في اختيار الزوج في القبول أو الرفض وحق التملك، وحق العلم وحق الإجارة وحق التصرف في ملكها بالبيع والشراء.

"والذي أراه من حرص الشرع الإسلامي على تفصيل أحكام الأسرة، وبيان قواعدها ونظمها وجعلها أداة توجيه عن طريق الرعاية والتربية والتكافل الاجتماعي لجميع أفرادها، ومن خلال الحقوق والواجبات الملقاة على عاتق كل مسئول في الأسرة من زوج وزوجة وولد وقريب وصهر".[2]

"ومن أخطر ما تقرره هذه الحقوق هو رعاية الفطرة التي فطر الله الناس عليها رعاية الإيمان المغروس فيه والتوحيد الثابت في طاقاته وقدراته، من هنا تبدأ حقوق الإنسان ومن هنا تبدأ مسئولياته، ومن هنا ينشأ الخطر الحقيقي عند الإساءة إلي هذه الفطرة أو التشويه لها، ولا شيء يفسد الفطرة ويغلق منافذ السمع والبصر والفؤاد إليها مثل العمل الفاسد، العمل السيء الآثام كلها، بمختلف صورها وأشكالها".[3]

وسأقتصر في هذا المبحث على ستة مطالب :

---

(1) نظام الأسرة في الإسلام – عدنان زرزور، وآخرون، (ص 30/ ط2).

(2) نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام / ص277.

(3) الصحوة الإسلامية إلى أين؟ / ص 146.

المطلب الأول: القيام بالحقوق والواجبات، وبر الوالدين.

إن من اهتمام الإسلام بالأسرة أن جعل لكل فرد من أفرادها حقوقاً وواجبات حتى لا تجنح العاطفة والهوى على حقوق الآخرين فتدمر الأسرة وقد نالت هذه الحقوق من السنة الشريفة وصايا وأحاديث كثيرة ومنها: **عن أبي هريرة ﷺ قال جاء رجل لرسول الله ﷺ فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال أمك قال: ثم من قال أمك قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أبوك)**[(1)]، **وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال (الصلاة على وقتها)قلت: ثم أي؟ قال (بر الولدين) قلت: ثم أي؟ قال (الجهاد في سبيل الله)**[(2)] وقد عني القرآن بتفصيل بعض هذه الجوانب من حقوق المواريث في سورة النساء ومن آداب الاستئذان في سورة النور ومن اهتمام الابن بأبيه في سورة الأحقاف ومن اهتمام الأب بابنه في سورة لقمان ومن هذه الآيات ما يلي:-

1- قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ **[الأحقاف:15]**

تذكر الآية أن الله أوصى الإنسان ببر والديه والوصية أبلغ من الأمر ويذكر الله ﷻ الإنسان بالمشقة التي تحملتها الأم في إخراجه إلى الدنيا بفترة الحمل وما رافقها من مشاق، وكذلك بعد الميلاد من رعاية واهتمام حتى بلغ الفطام واعتمد على نفسه وكبر واشتد ساعده حتى بلغ الأربعين وفيها كمال العقل والجسم، ففي هذه الحالة أراد أن يشكر الله على تمام نعمة الكمال ويشكر والديه اللذان كانا سبباً في وجوده، وأن يستعين بالله في أن يبلغه بر والديه وقد استنبط العلماء من هذه الآية في سورة لقمان ﴿**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**﴾ أن أقل الحمل الكامل ستة أشهر، وهذا ما أثبته علم الأجنة في العصر الحديث.[(3)]

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة (ج8/ص2) حديث رقم5971.

(2) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها (ج1/ص112) حديث رقم527.

(3) انظر: التحرير والتنوير(ج10/ص28)، في ظلال القرآن (ج6/ص 3261)، الأساس في التفسير (ج9/ص5253).

2- قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **[العنكبوت:8]**

هذه الآية الكريمة هي قمة العدالة الاجتماعية في الإسلام والتي يبحث عنها الغرب فلم يجدها فهي وصية من الخالق إلى المخلوق بالإحسان إلى الوالدين مهما كان حالهما من الصحة أو الكفر، وكذلك هذه الآية باب دعوة لإسلام الآباء على أيدي الأبناء فقد قابلت شاباً يابانياً في المسجد الأقصى عام 1986م، وكان قد أسلم وعنفه أبواه على إسلامه، ولكن عندما عاملهم بخلق الإسلام أسلما لأنهما وجدا أن ابنهما أحسن إليهما كثيراً بعد إسلامه حيث كان لا يهتم بهما قبل إسلامه، وهذه الآية أيضاً تبين أن طاعة الله مُقَدَمة على طاعة كل مخلوق حتى وإن كانا الوالدان، وأن الأبناء مطالبون برعاية آبائهم وكفالتهم، وهذا جزءٌ من رد الجميل لهما، ومن لم يُعط حقوق والديه فإنه لم يعط حق الله، هكذا نرى أن الدين الإسلامي شريعة كاملة لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أحاطت بها وهذا من كمال دعوة الإسلام.(1)

3- قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ **[الإسراء23]**

والله ﷻ قرن قبول طاعته بطاعة الوالدين حفظاً لكرامتهما في كبرهما لأن الله ﷻ هو المسبب في وجود الإنسان ثم الأبوين سبباً في إخراجه إلى الدنيا، ولأن الإحسان إلى الأبوين طاعة يتقرب بها الإنسان إلى ربه ويعلم أولاده كيف يحفظونه عند الكبر.(2)

وهكذا نرى أن الإسلام قد أعطى كل ذي حقٍ حقه لكنه حافظ على حق الله قبل حق العباد وأن الامتثال لحق الله هو عبادة وإعطاء حقوق الآخرين عبادة كذلك، ولكن الزيادة في حقوق الآخرين في غير مواضعها مذمومة إذا كانت على حساب طاعة الله، بل طاعة الله مقدمة على كل شيء، وهذا الأمر قد يختل عند بعض الناس بسبب الجهل أو العاطفة الزائدة فيضل ويهلك، ونسأل الله الهداية والسلامة لجميع المسلمين.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير(ج 8/ ص213)، تفسير ابن كثير(ج3/ص29)، تفسير كلام المنان (ج 6/ ص69)، في ظلال القرآن (ج5/ص 2722).

(2) انظر: الفتوحات الإلهية (ج4/ص306)، فتح القدير(ج3/ ص274)، صفوة التفاسير (ج2/ص 154)، الأساس في التفسير (ج6/ص3059).

المطلب الثاني: حسن اختيار الزوج الزوجة.

إن حسن اختيار الزوجة من أهم الأمور التي يجب أن يراعيها الشاب عند الزواج فإن نجح في ذلك كان ما بعده أهون ولقد تنبه الأستاذ: فتحي يكن لهذه الأهمية حيث بين في كتاب المتساقطون في طريق الدعوة فجعل أول مفترق يواجه الإنسان المسلم هو حسن اختيار الزوجة كما قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراقِ[1]

فحسن اختيار الزوجة من شأنه أن يصلح حياة الرجل طيلة حياته وأن أساء الاختيار لزمه الشقاء طيلة حياته أو أن ينفك منها، ويتم اختيار المرأة على أسس :-

أ. صلاح الدين :

فإن صلاح الدين هو رأس مال الرجل والمرأة فإن وجد الدين وجدت الطاعة والأخلاق وإن ذهب الدين ذهب كل شئ، فقد جاء من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته عن أبى سعيد الخدري مرفوعاً به قال رسول الله ﷺ: **(تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك)**[2] ولا نعني بالدين المظهر الخارجي الحجاب بل يجب أن يتوافق المظهر والجوهر حسب أخلاق الإسلام فالأم والأب مسئولان عن تربية الأولاد، والأم مسئولة عن تربية الأولاد داخل البيت - وفاقد الشيء لا يعطيه - ونعني بالدين كل جوانب الحياة العملية.

ب- الحسب والنسب.

إن بعد اختيار الدين من المرأة يكون الحسب والنسب لأن الناس معادن والبيئة التي تعيش فيها المرأة تؤثر على سلوكها، فإن نشأت في بيئة صالحة كانت صالحة وإن نشأت في بيئة فاسدة كانت مهيئة للفساد، وكما أن الطبائع من الكرم والشجاعة تورث في الأبناء، فإن الطبائع الخسيسة تورث كذلك.

ج- تغريب النكاح:-

لقد أوصى الصادق المصدوق بتغريب النكاح وكما قال تعالى ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾. [النَّجم: 3-4] وكأنه عالم وراثة أوصى بتغريب النكاح من أجل أن يأتي

---

(1) قصيدة الأم، من ديوان الشاعر حافظ إبراهيم، ص (282) .

(2) صحيح مسلم كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين (ج7/ص7) حديث رقم 5090.

الولد سليم الجسم قوي البنية وفير الذكاء وكما هو في علم الوراثة فالواقع بين ذلك ومن الآيات التي تحث على هذا المعنى.

1- قال تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:221]

في هذه الآية تحريم من الله من زواج المشركات والسبب في ذلك أن الله بينه في الآية أن الأم المشركة لا تكون حريصة على تعليم ابنها الإيمان، لأنه لا علم لها بذلك وقد كبرت على الشرك فكيف تربي ابنها على حب الإسلام، ولأن الزواج مصاهرة يترتب عليه علاقة اجتماعية فكيف سيكون للمسلم علاقات اجتماعية مع مشركين، فمعاشرة المسلم للمشركين يولد عنده عدم كراهيتهم فكيف سيقاتلهم، وإن كانت المشركات صاحبات جمال فجمال المسلمة بإيمانها وحسن أخلاقها، كما أن الطبائع تورث فالولد يكتسب طبائع من أمه وأخواله طبائع سيئة، وهذا يضر بالأسرة المسلمة والمجتمع المسلم في حال كون الأم كافرة [(1)].

2- قال تعالى ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:3]

في هذه الآية تحريم وتشنيع من زواج المؤمن من زانية، وزواج الزاني من مؤمنة، لأن كلا الحالتين ذهاب لأخلاق الإيمان، الذي يجب أن تُبنى عليه الأسرة، فأي خلل من أي طرف من شأنه أن يحرف الأسرة عن مسارها الطبيعي، وبذلك يكون انحراف المجتمع، فالإسلام حرص أشد الحرص على صلاح الأسرة والمجتمع واتخذ خطوات إصلاحية مسبقة حتى يحمي الأسرة من الفساد، والمنهج الإسلامي ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾** [الإسراء:32] ولم يقل لا تزنوا فإن الشارع الإسلامي يحفظ المسلم بعيداً عن مواطن السوء.[(2)]

وقد أوصى الرسول ﷺ بوصايا كثيرة لكنها ليست بمقام الأمور السابقة مثل تخصيص البكر عن الثيب كما **قال رسول الله ﷺ لجابر: (ما تزوجت؟» فقلت: تزوجت ثيبا، فقال: «ما لك**

---

(1) أنظر: التحرير والتنوير (ج1–ص359)، تفسير كلام المنان (ج1/ ص274)، الأساس في التفسير (ج1/ ص 513).

(2) أنظر: في ظلال القرآن (ج4/ ص 2488)، المحرر الوجيز (ج4/ ص162)، الجامع لأحكام القرآن (ج6/ ص469).

وللعذارى ولعابها» فذكرت ذلك لعمرو بن دينار، فقال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك)[1] ولكن رسول الله ﷺ تزوج واحدة بكراً وثماني ثيبات، وكذلك حث على الزواج من الولود الودود ولكن هناك مجتمعات لا تستطيع الإكثار من الأولاد بسبب ضيق المكان وغلاء أسعار البيوت وهذا يكثر في العواصم الكبيرة التي يصل فيها سعر المنزل إلى أسعار خيالية.

المطلب الثالث: تحقيق القوامة للرجل.

من فضل الله على العباد أنه نظم لهم حياتهم في منهج تشريعي كامل دقيق ولم يترك الأمر للعباد حتى لا ينحرف المنهج من أهواء النفس البشرية، وتولى بنفسه تنظيم شؤون الأسرة، وهذا يدلل على أهمية الأسرة في التشريع الإسلامي وجعل الرجل ربان البيت والمتحكم في دفتها الإدارية والمالية وترك للمرأة تدبير شؤون البيت من الداخل كرعاية الأولاد بما يتوافق مع فطرتها.

أولاً: القوامة الإدارية :

قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [سورة النساء:34]

فتفضيل الرجال على النساء، من وجوه عدة، من كون الولاية مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات، كالجهاد، والأعياد، والجُمع، وأن العقل أكمل عند الرجال من النساء، فكون الرجال تغلب عليهم الحكمة وعقول النساء تغلب عليهم العاطفة، وبما خصهم الله به، من العقل، والرزانة، والصبر، والجلد، الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقات يختص بها الرجل، ويتميزون بها الرجال عن النساء، ولعل هذا سر قوله ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة. [2]

---

(1) صحيح البخاري (ج7 /ص5) كتاب النكاح باب تزويج الثيبات حديث رقم 5080.

(2)انظر: في ظلال القرآن (ج2/ ص65)، تفسير الكلام المنان (ج2/ص60)، معاني القرآن للفراء، (ج1/ ص186).

وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه وهذا لا يعني الرجل مطلق الحرية بما يفعل بل هو محاسب عن كل شيء، وأن تمنح المرأة في تكوينها العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينها على أداء وظيفتها تلك، وكان هذا فعلاً كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:49].

ومن ثم زودت المرأة فيما زودت به من خصائص بالرقة والعطف، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة بغير وعي ولا سابق تفكير لأن الضرورات العميقة كلها حتى الفرد الواحد وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة، وأفضل في مجالها، كما أن تكليفه بالإفاق.[1]

ويقول سيد قطب:

"إن الأسرة – كما قلنا هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية، الأولى من ناحية أنها نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق، الأولى من ناحية الأهمية لأنها تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، وهو أكرم عناصر هذا الكون في التصور الإسلامي، وإذا كانت المؤسسات الأخرى الأقل شأناً، والأرخص سعراً، كالمؤسسات المالية والصناعية والتجارية، وما إليها لا يوكل أمرها عادة لاكفأ المرشحين لها؛ ممن تخصصوا في هذه الفروع العلميةً، ودربوا عليه عملياً، فوق ما وهبوا من استعدادات طبيعية للإدارة والقوامة.

إذا كان هذا هو الشأن في المؤسسات الأقل شأناً والأرخص سعراً، فالأولى أن تتبع هذه القاعدة في مؤسسة الأسرة، التي تُنشئ أثمن عناصر الكون العنصر الإنساني."[2]

ثانياً: القوامة المالية:

قال تعالى:﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء:5]

يجب على الرجل أن يختبر زوجته في الإدارة المالية؛ فإن أحسنت التدبير شاركته في الإدارة المالية وإن لم تحسن التدبير وساءت التصرف في المال، كانت من السفهاء وحُجر على

(1) انظر: تفسير كلام المنان(ج2/ص60)، في ظلال القران (ج2 /ص650-651)،التحرير والتنوير(ج5 /ص38)، الجامع لأحكام القرآن (ج3/ص153).
(2) في ظلال القران – (ج2/ ص650).

تصرفها المالي، أما بالنسبة للقوامة الإدارية فيجب على الرجل أن يستشير زوجته في أمور الحياة، فإن وجد منها رأياً سديداً عمل به، وإن لم يجد رأياً سديداً فهو غير ملزم بذلك.(1)

وهكذا نرى أن الله ﷻ الذي خلق كل شيء بقدر أوكل القوامة إلى الرجل لأنه أكمل في العقل وأبعده عن العاطفة ولعل بعضهم، يقول إن النساء قد بلغن في العلم مكانة وحصلن على شهادات عليا، فنقول إن كمال العقل في الرجال هو للتغليب، وإن كمال العقل عند النساء هو عند بعضهن، ثم إن الرجل لديه القدرة والسرعة في اتخاذ القرار المناسب، وهذا جزء من القوامة وقال تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك:14]

المطلب الرابع: المودة والألفة بين الزوجين.

من كمال خلق الله في هذا الكون أنه جعل من كل شيء زوجين ابتداءً من الذرة الالكترونية السالب والنيترون الموجب والنباتات جعل فيها ذكراً وأُنثى وأنها لا تثمر وأنه لا يتم إنتاج الثمر إلا إذا تلاقحت الزهرة المؤنثة من الزهر المذكر، وكذلك سائر الحيوانات والمخلوقات، والإنسان ليس بدعاً عنها فالخالق واحد والسنة الإلهية واحدة أن جعل الذكر والأنثى، وقد أنزل الله ﷻ الرحمة والألفة والمودة بين الخلائق حيث إن الحيوانات والطيور تتألف وتتزاوج بطريقة فطرية، والإنسان أفضل منها، وقد كرمه الله بالعقل وقد غرس الله فيه حب النسل والميل إلى الجنس الآخر لكي تستمر الحياة ويعمر الكون، وشحن كلاً منهما بالعواطف تجاه الآخر وروى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: (**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج الضلع أعلاه،، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فأستوصوا النساء)**(2) وقد بين الله ذلك في الآيات القرآنية التالية :-

---

(1) انظر:مختصر تفسير ابن كثير(ج1/ ص358)، تفسير السمرقندي (ج1/ص 333)، الدر المنثور (ج2/ص134).

السيوطي: هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الأسيوطي، وجلس للإفتاء والتدريس، وناب في الحكم، وخطب بالجامع الطولوني، ت 911هـ. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (ج1/ ص3-5).

(2) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (ج4/ص133) حديث رقم3331.

1- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:21]

إن من حكمة الله في خلقه أنه خلق حواء من ضلع آدم الأيسر لتكون قريبة من القلب وليحصل بينهما المودة والألفة، ويكون هناك توافق في التركيب الفسيولوجي في الجسم، ومن هذا نفهم السر في عالم الطب عندما يراد نقل عضو من إنسان إلى آخر تجرى الفحوصات اللازمة ليتأكد من التطابق الفسيولوجي لكلا الطرفين، وكذلك أن تكون حواء قريبة من تفكير الرجل وأعلم بطبائعه وخُلقه لكي يتسنى لها معايشته وتستقر الحياة،ويكون السكن الحقيقي بينهما بالتوافق العقلي والنفسي والفكري، والأصل بين الرجل والمرأة التوافق لما خلق الله فيهما من توافق في الظاهر والباطن، وأما التنافر فهو من الشيطان.(1)

2- قال تعالى ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1]

بدأ مطلع هذه الآية بالوصية من الله إلى الناس بالتقوى وهو الحرص على عدم تعدي أحد الطرفين على حقوق الآخر، وتذكر الآية أن كل الناس من أب وأم يجب أن يتراحموا بهذه الرحم، وهو الأصل، وأن الإنسان من خلال هذه المودة والرحمة كان سبباً في تعمير الكون من أجل استمرار الحياة وأن الإنسان يجب أن يتذكر دائما أن الله رقيب عليه ومحاسبه فلا يظلم ولا يعتدي على حقوق الآخرين إذا ما ملك أمره.(2)

3- قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:72]

يذكر الله تعالى عباده بنعمه، ومن هذه النعم الزوجة التي توافق الزوج عقلياً وفسيولوجيا لكي يستطيع أن يتواصل الرجال مع النساء بأيسر الطرق وأفضلها ولو أن الله خلق المرأة بشكل آخر وعقل آخر لاستحال العيش بينهم، ويذكر أيضا بنعمة الولد الذي له دور كبير في إيجاد الاستقرار النفسي عند الطرفين والحرص عليهم مصلحة مشتركة للطرفين، ولذا نجد أن الأسرة

---

(1) انظر: الأساس في التفسير(ج8/ص4266)، في ظلال القرآن (ج5/ص 2763)، صفوة التفاسير(ج2/ص 438)، التحرير والتنوير (ج8/ص71).

(2) انظر: التحرير والتنوير (ج 2/ص 216)، في ظلال القرآن (ج1/ ص 573).

التي ليس لها أولاد سهلة التفكك، وهذه الشريعة التي نزلت لتنظيم الحياة بين الزوجين لكي يسعد بها كلاهما، لهو الحق الذي أراده الله، وأن ما دون ذلك من قوانين وضعية ونظم عرفية وجدت في المجتمع فهي سبب شقاء الأسرة، وهذا الحق الذي تفتقده المجتمعات الكافرة كان سببا في انهيار النظام الأسري وعاشوا في شقاء وبحثوا عن السعادة فلم يجدوها.(1)

طالما أن البشر كلهم من آدم وحواء، وقد أخرج الله من نسلهم أبناءً شتى في اللون والشكل، وهذه حكمة ربانية تبقى للبشر على مر العصور، وهي أن يتوقع الإنسان أن يأتي من نسله ذرية تخالف الأبوين في الشكل واللون، دون أن يتطرق إليه الشك من أين جاء، وهذا معلوم من علم الوراثة الحديث أن الإنسان يستطيع أن ينجب أولاداً يحملون صفات أجدادهم.

المطلب الخامس: التكافؤ الاجتماعي والعقدي

خلق الله ﷻ هذا الكون بتناسق عجيب ومعجز حتى تستمر حركة الكون وتؤدي وظيفتها المطلوبة، وهذا التناسق يشمل المجرات العظيمة والكائنات الدقيقة، وإذا وجد الاختلاف وجد التنافر، واختل العمل وضل الهدف، وإن هذا التناسق والتوافق يجب أن يكونا في الخلية الأولي للمجتمع ألا وهي الأسرة، حتى تؤدي هدفها المنشود وبلوغ الغاية، والرجل والمرأة هم ركيزتا الأسرة والتوافق بينهما ضروري لكي تعمل الأسرة باتجاه رضا الله وبلوغها الفلاح في الدنيا والآخرة وهذا التوافق يبدأ بالتكافؤ العقدي، ثم التكافؤ الاجتماعي، ثم التكافؤ المالي والأصل في التكافؤ هو التكافؤ العقدي،

الكفاءة هي :" الكفاءة في الحرفة فهي أن تكون حرفة أهل الزوج مكافئة لحرفة أهل الزوجة بحسب العرف والعادة، فإذا كانت حرفة الخياطة مثلاً أرقى من حرفة الحياكة بين الناس لم يكن الحائك كفأ لبنت الخياط وإلا فالعكس. فالمدار على احترام الحرفة بين الناس".(2)

ومن هذا الآيات التي جاءت بهذا المعنى ما يلي:

1- ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

" الكفاءة في الزواج هي المساواة في أمور اجتماعية تساعد على التقارب والاستقرار بين الزوجين والفقهاء في اشتراط كفاءة الرجل للمرأة على رأيين، قال الجمهور: إن الكفاءة شرط لزوم في عقد الزواج فإن كان الزوج غير كفء للزوجة، فإن لها أو لوليها حق الفسخ، وهؤلاء الفقهاء

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (ج2/ص 578)، في ظلال القرآن (ج4/ ص2183)، التحرير والتنوير (ج6/ص 217)، تفسير كلام المنان (ج4/ص 220).

(2) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة(ج4/ص54).

منهم من توسع في تعداد عناصر الكفاءة كالمال والنسب والحرفة، ومنهم من اقتصر على التدين وذهب آخرون إلى عدم اشتراط الكفاءة وقالوا إن المسلمين جميعاً أكفاء للمسلمات لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: 13] وقد تم تعرف الكفاءة وشروطها في مقدمة المطلب(1)

2- قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم:10-11]

والمأثور في تفسير خيانة امرأة نوح وامرأة لوط، أنها كانت خيانة في الدعوة، وليست خيانة الفاحشة، امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه، وامرأة لوط كانت تدل القوم علي ضيوفه وهي تعلم شأنهم مع ضيوفه !

وها هي امرأة فرعون، لم يصدها طوفان الكفر الذي يعيش فيه قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلي ربها بيتاً في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به، كان فرعون اعتى أهل الأرض وأكفرهم، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه. ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربها وسؤالها، أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم. (2)

---

(1) نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام – عبد الرحمن الصابوني – (ط1/ ص69- 70).

(2) انظر:(ج3/ص524)، التحرير والتنوير(ج11/ ص 374)، تفسير كلام المنان (ج7/ص426)، في ظلال القرآن (ج6/ ص3621).

3- قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة71]

إن من كمال التوافق توافق الفكر لأن العقول إذا توافقت توافقت معها القلوب، وإذا توافقت القلوب حصل المراد، وإذا تنافرت العقول تنافرت القلوب، ومن هنا يبين أهمية حديث رسول الله ﷺ **(استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافا)**(1)، وإذا اختلفت القلوب تشتت الجهد بعيداً عن مصلحة الأسرة. وإن وحدة جهود المؤمنين تصب برفعة المجتمع والتي تعد الأسرة أحد مكوناتها، أما إذا كان العكس في تواجد الشقاق فإن الجهود ستذهب لتدمير المجتمع والتي الأسرة أحد مكوناتها. المنافقون والمنافقات من طينة واحدة، وطبيعة واحدة، المنافقون في كل زمان وفي كل مكان. تختلف أفعالهم وأقوالهم، ولكنها ترجع إلى واحد، وتنبع من معين واحد، سوء الطوية ولؤم السريرة، والغمز والدس، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة، تلك سماتهم الأصيلة.(2)

4- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36]

نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش، وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وذلك أن النبي ﷺ خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان قد أُهدى له زيدٌ من خديجة قبل البعثة فأعتقه وتبناه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله تعالي ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ** ﴾ يعني عبد الله بن جحش ﴿ **وَلَا مُؤْمِنَةٍ** ﴾ يعني أخته زينب..

ومن هذا السياق يتبين لنا أن الكفاءة في النسب ليست هي الأصل، إنما الكفاءة في الدين هي الأصل مصداقا لقول الرسول ﷺ: **(إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)** (3).

---

(1) صحيح مسلم (ج1/ص323) حديث رقم 432 كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.

(2) انظر: صفوة التفاسير (ج1/ ص 509)، في ظلال القرآن (ج3/ص 1675).

(3) سنن الترمذي (385/2) كتاب النكاح، باب ما جاء إذا أتاكم من ترضون دينه فزوجوه، حديث رقم 1084. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 20/3 حديث رقم 1022.

ولكن إذا وجدت الكفاءة في النسب والدين فهو أكمل وأفضل.[1]. وفي الآيات السابقة مثال واضح لمشهدين متناقضين يبين أهمية التوافق العقدي في الأسرة، فامرأة نوح كانت على غير دين زوجها وتآمرت على دعوته حتى أهلكها الله مع الهالكين، والأصل أن تكون الزوجة معيناً للداعية على دعوته مثلما كانت خديجة بنت خويلد ﵂.

والمشهد المقابل أن الرجل كان كافراً وزوجته مؤمنة حتى أحال حياتها إلى جحيم تمنت فيه الموت وأن تغادر هذه الدنيا إلى جوار الله، كما هو الحال في قصة فرعون وزوجته آسيا، ومن هنا يظهر لنا أهمية التوافق العقدي في استقرار الأسرة وتربية الأولاد على طاعة الله.

المطلب السادس: تربية الأولاد تربية إسلامية حسنة.

إن تربية الأولاد مهمة عظيمة وشاقة على الوالدين، وهي أمانة عظيمة كذلك ملقاة على عاتق الأبوين، فالأبوان هما القدوة والنموذج للأولاد فإن صلح الأبوان فإنهما سيكونَا عوناً للأبناء على اتباع فريق الهدى، وإن انحرف الأبوان، فالانحراف عند الأبناء أسهل، وأسهل الطرق لتربية الأولاد هي اتباع المنهج الإسلامي في التربية.

يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان " فمن فضل هذا الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات، وإرساء قواعد المجد والمدنية، وما ذاك إلا تحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار" [2].

ومن الآيات التي تدل على هذا الموضوع:

2- قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[التوبة:109]

هذه الآية هي قاعدة تربوية للأسرة والمجتمع على السواء وهي في الأصل نزلت في مسجد ضرار الذي بنوه المنافقون للصد عن دين الله، وبالقياس تأخذ العبرة على كل أمور الدنيا التي يجب أن يراعى فيها الأخذ بالأسباب التقوى والقوى، فالذي يزرع خيراً يجني خيراً والذي

---

(1) انظر: تفسير الخازن (ج3/ص 426)، تفسير السمرقندي (ج3/ ص ص51)، الدر المنثور في التفسير المأثور (ج5/ص 217).

(2) تربية الأولاد في الإسلام- (ج1/ص5) أ. عبد الله ناصح علوان.

يزرع شوكاً يجني شوكاً، فالأسرة التي تبنى على قوة وتقوى من الله تكون متماسكة تؤدي هدفها التي أنشأت من أجله وهذا هو الفلاح التي تبتغيه الأسرة بلوغ رضوان الله ومرضاته في الدنيا والآخرة.(1)

3- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

يطالبنا الله ﷻ بإتمام الوصاية على الأبناء والأهل، فكما أننا مطالبون بالإنفاق والرعاية عليهم في الدنيا فإننا مطالبون أن نأخذ بأيديهم إلى الجنة بالتعليم والنصيحة والقدوة الحسنة وأن نبعدهم عن النار بالتحذير وبالترهيب من جهنم، ولأن الإنسان في الجنة لا تكتمل سعادته إلا بكل أهله من حوله فهي من باب إتمام النعم من الله ﷻ أن يكون الأهل كلهم في الجنة كما قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21].**

ومن رحمة الله في خلقه أن الإنسان لا يحب أن يشاك أهله بشوكة فكيف يرضى لهم بنار جهنم وقد وكل الله على جهنم ملائكة غلاظاً شداداً بما يناسب حال الكفار في جهنم وهذا من باب العذاب النفسي لأهل جهنم. (2)

3- قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]

وفي هذه الآية نصيحة من الوالد إلى ولده، وقد بدأ النصيحة بأمر عظيم وهو إذا سلم منه كان ما بعده أيسر فإذا سلمت عقيدة الإنسان قُبل منه العمل لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** [النساء:116]

وهذا حرص من لقمان على ولده إذ بدأ بالنصيحة بالأمر المهم ثم تدرجه إلى سائر الأخلاق في الآيات التي تليها.(3)

---

(1) تفسير الخازن(ج 2/ص409)، صفوة التفاسير(ج1/ص522)، التحرير والتنوير(ج5/ص33)

(2) انظر: المحرر الوجيز (ج5/ص333)، الأساس في التفسير (ج10/ص6002)، تفسير كلام المنان (ج 7/ص422)، في ظلال القرآن(6/ ص3618).

(3) انظر: تفسير كلام المنان (ج6/ص 100)، التحرير والتنوير(ج8/ص153)، تفسير ابن كثير (ج3/ ص64).

4- قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان 17-19]

في هذا المشهد من وصية لقمان لابنه بعد أن أوصاه بسلامة العقيدة وكأنه يقول إن العقيدة السليمة لوحدها لا تكتمل إلا بالعمل الصالح وأفضل هذه الأعمال الصلاة ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكأنه يبين له أن من سلك طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلابد أن يصاب بأذى من الجهلاء والسفهاء فلابد أن يصبر ويتحمل تكاليف هذه الدعوة ثم يوجهه أن هذه الأمور لا يقوى عليها إلا أولى العزم من الناس، ثم يكمل لقمان وصيته لابنه بأنه يجب عليه أن لا يتكبر على الناس ولا يزدريهم حتى يسمعوا كلامه ويجيبوا دعوته.

والشاهد في هذه الآيات أن من واجب الأب أن ينصح أبناءه وأن يعطيهم خلاصة التجربة في حياته ليكملوا المشوار دون عثرات.

ولأن الأب يكون حريصا على صلاح أبناءه ليكونوا له ذخراً في الآخرة كما قال ﷺ **(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)** (1). (2)

5- قال تعالى ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة 132]

في اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان يكون حرصه أكبر على مصلحة أولاده الذين سيفارقهم، وكذلك يكونوا الأبناء أرغب في تلبية وصية أبيهم المفارق فاستغل إبراهيم هذه اللحظات الهامة لكي يوصي أبناءه وصية المفارق لهذه الدنيا وسيوصي بأغلى شيء يملكه ألا وهي العقيدة الصحيحة السمحة، وهو أكبر كنز يرثونه عن أبيهم، لأن الأنبياء لم يورثوا درهماً، ولا ديناراً، إلا خُلقاً وعلماً فهو رأس مال دعوته والإنسان عند الموت يريد أن يطمئن على مصير أولاده من بعده

(1) صحيح مسلم ج3 ص1255 حديث رقم 1631 كتاب الهبات باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(2) انظر: الأساس في التفسير (ج8/ص4319)، صفوة التفاسير(ج2/ص452)، فتح القدير (ج 4/ ص 287)، في ظلال القرآن (ج5/ص2782).

بإتباعهم طريق الهدي ليكونوا رِدفاً له في الجنة وتقر عينه، وقد سار يعقوب على سنة أبيه وقد أوصى أولاده بما وصاه به أبوه لأنهم الأنبياء أبناء الأنبياء.(1)

مما تقدم نرى أهمية تربية الأولاد في الإسلام ولأن الإنسان قد غُرِسَ في قلبه حب الأولاد فإن هذا الحب إذا زاد عن حده فإنه يتحول إلى مشكلة قد تحرف الأبناء عن الطريق الصحيح فحرص الآباء الزائد على الأبناء قد يمنع الأبناء أن يكونوا من المجاهدين ويفقد الولد التربية الجهادية التي تقوي النفس وتهذبها وتجعلها تزهد في الدنيا وتحب الآخرة، وحرص الأبوين على عدم تربية الأبناء على تحمل الجلد والمشقة بحجة الشفقة تجعلهم يتقاعسون عن بلوغ الأهداف السامية ومن أعجب ما رأيت من أحد جيراننا أن أبويه لم يعلماه الصيام بحجة الشفقة عليه حتى بلغ الثامنة عشر من عمره، ولذلك نأخذ من وصايا الأستاذ عبد الله ناصح علوان بالاستعانة في تربية الأولاد بما يلي: " تشويق الولد على أشرف الكسب- مراعاة استعدادات الولد الفطرية- ترك المجال للولد في اللعب والترويح- السير على منهج تربوي في اليوم والليلة- تهيئة الوسائل الثقافية للولد- تشويق الولد إلى المطالعة الدائمة- استشعار الولد الدائمة بمسؤولية الإسلام- تعميق روح الجهاد في نفسية الولد."(2)

---

(1) انظر: تفسير الخازن (ج1/ ص83)، تفسير السمرقندي(ج1/ص159)، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ص 541).

(2) تربية الأولاد في الإسلام(ج1/ص21).

الفصل الثاني

عــــوامــل فـــلاح الــمـجــتــمع ومعوقاته

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عوامل فلاح المجتمع.

المبحث الثاني: مبطلات الفلاح في المجتمع.

الفصل الثاني

عوامل فلاح المجتمع ومعوقاته

من أجل الوصول إلى فلاح الأمة لابد أن تتواصل الحلقات وتكتمل الدوائر المتشابكة فإذا وُجد الفرد المسلم وجدت الأسرة المسلمة التي صبغت بصبغة الإسلام فإنه ينتج عندنا مجتمع مسلم وهو عبارة عن مجموعة من الخلايا الأسرية، ولابد لهذه الخلايا من روابط مشتركة تربط بينها من أجل بلوغ الفلاح في الدنيا والآخرة، وهذه الروابط هي التي تبني المجتمع وتؤهله للبروز مجتمعاً مسلماً، وعندما نتحدث عن المجتمع المسلم ليس هذا يعني أن كل أفراده قد تخلقوا بأخلاق الإسلام الكاملة.

ولكن المطلوب أن يكون السواد الأعظم أو الغالبية قد تخلقوا بأخلاق الإسلام وامتثلوا لأوامره فليس هناك مجتمعٌ مثاليُ "نقيُ" من الشوائب حتى المجتمع الأول في عهد رسول الله ﷺ كان فيه المنافقون والضعفاء ومن وقع في الآثام والمعاصي.

ومن أجل أن يقام المجتمع المسلم لابد أن يصبر أصحابه ويتحملوا من أجل رفع راية الإسلام بالقدر الذي لا يوقعهم في الضرر والهلاك أو الاستئصال؛ لأن أعداء الإسلام يتربصون بالإسلام الدوائر، ولا يحبون أن يروا راية الإسلام خفاقة لأن فيها هلكتهم فهم يحاربون الإسلام بكل قوة ولذا كان واجبا على المسلمين أن يصدوا هذه الهجمة بالقدر الذي يُمكنهم من البقاء لتأدية رسالة المجتمع المسلم، وإدارة المعركة بحكمة وعقلانية بعيداً عن التهور أو التقاعس، فكلا الأمرين يضر بالمجتمع المسلم، ولابد لكي يكون المجتمع مسلماً حقاً من الالتزام بالإسلام كله، ولا يكون كمجتمع بني إسرائيل الذين أخذوا ببعض أحكام التوراة ولم يأخذوا بجملتها، فذمهم الله تعالي بقوله :

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ **[البقرة:85]**، وإن هذا الكون أوجده الله على أساس الأسباب والمسببات، فمن أخذ بالأسباب صعد وارتقى ومن لم يأخذ بالأسباب سقط وانحدر، يقول تعالى :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً* فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ [الكهف 83–85] فعند الأمم يكون هناك حزب البناء وفي المقابل حزب الشيطان الهدام لأن الصراع قائم بين الحق والباطل وبين أهل الإيمان وأتباع الباطل إلى أن

يرث الله الأرض وما عليها، ولذلك إذا أخذ أهل الإيمان بالأسباب كانت لهم صولة وجولة، وإذا تراخوا عن الأخذ بالأسباب أنتفش الشيطان وأعوانه، ولأن الشيطان يتربص بأهل الإيمان الدوائر ويضع أمامهم العراقيل ويحرفهم عن جادة الصواب، ولأنه لا يحب أن يرى أحداً على الأرض يسجد لله لأنه حُرمَ منها، قال تعالى ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: 82]، ويجب على أهل الإيمان أن يأخذوا بالحسبان من مكائد الشيطان وفنونه ويكونوا متيقظين من أفعاله ومكائده، ولكن رغم كل المعوقات لابد للإنسان المؤمن أن يحدوه الأمل من بلوغه هدفه ونيل مبتغاه.

المبحـــث الأول

عـــوامـــل فـــلاح المجتـــمـــع

ويشتمل على عشرة مطالب:

المطلب الأول: رفع راية الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثاني: الإقرار بنعم الله.

المطلب الثالث: التقوى والصبر والثبات والإنفاق في سبيل الله.

المطلب الرابع: تطبيق منهج الله في الأرض.

المطلب الخامس: الولاء والبراء والتحرر من التبعية للكافرين.

المطلب السادس: إعطاء الحقوق ورد الأمانات.

المطلب السابع: التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثامن: الألفة والتراحم والتكافل بين أفراد المجتمع.

المطلب التاسع: الإيمان بالبعث والزهد في الحياة الدنيا.

المطلب العاشر: تطبيق مبدأ الشورى.

إن للمجتمع المسلم مكانة رفيعة في الإسلام، وقد أهتم المشرع الإسلامي بحفظ المجتمع بالمنهج الإسلامي الذي يحافظ على قوته وتماسكه وفاعليته، فدور المجتمع دور أساسي في إقامة الدولة المسلمة، وعليه تقوم تكاليف كثيرة لابد أن يتخلق بها حتى يصل إلى مرتبة الفلاح، ولابد للمجتمع المسلم أن يتصف بصفات حتى يتمكن من هذه المهمة الصعبة، وقد كرس القرآن فكرة الجماعة المسلمة حيث خاطب المسلمين بالجمع لا بالإفراد، ولأن مصلحة المسلمين تكون في وحدتهم وقوتهم حفاظاً على دعوتهم التي هي أغلى من أنفسهم، ومن الأمور التي تعين على بلوغ المجتمع المسلم إلى الفلاح، " لابد لكي يكون المجتمع مسلماً من رضي بحكم الله ورسوله في كل شؤون الحياة: اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو فكرية. فهذا هو مقتضى عقد الإيمان ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾ **[النساء: 65]** ". [(1)] وسأقتصر في هذا المبحث على أحد عشر مطلباً لفلاح المجتمع فيما يلي"

المطلب الأول: رفع راية الجهاد في سبيل الله.

إن رفع راية الجهاد فيها عزة للأمة وبها عزَ الرعيل الأول، وقد شق الرسول ﷺ طريق الجهاد وعبّده الصحابة بدمائهم، وهو باب واسع من أبواب الرزق ونشر الإسلام، والجهاد هو الدرع الحصين الذي يحفظ الإسلام، والتخلي عنه يجعل الأمة في ذلة وهوان لو ترك المسلمون الجهاد لدخل الكفار ديار المسلمين ولمنعوهم من تأدية شعائر الإسلام .

فضل الجهاد في سبيل الله

وقال ﷺ: **(ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)**[(2)]، وروى مسلم في مسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: **(ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: «لا تستطيعونه» ، قال: فأعادوا عليه مرتين، أو ثلاثا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه» ، وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى)**[(3)] هل الجهاد فرض عين أم فرض كفاية؟ "اعلم أن جهاد الكفار في بلادهم كفاية، باتفاق العلماء، حكي عن ابن المسيب وابن شبرمة أنه فرض عين. ومعنى فرض الكفاية: إذا قام

(1) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف- القرضاوي / (ص 131)

(2) المعجم الأوسط (ج4، ص148) حديث (3839) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج6/ ص625) حديث (2663).

(3) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله (ج3/ص1498) حديث رقم1878.

بالفرض من فيه كفاية، سقط الحرج والإثم عن الباقين، وإن تركه الجميع كانوا آثمين والــراجح أن أصحاب الأعذار الذين أعذرهم الله لا يأثمون."[1] ودائما قالوا لابد للحق من قوة تحميه، والإســلام هو الحق والجهاد هو القوة، والجهاد ليس له أسباب ودوافع من أجل رفع رايته بل يجب على إمــام المسلمين أن يأخذ بأسباب الجهاد، ومن أهم أعمال إمام المسلمين حماية دار الإسلام، ونشر الإسلام، وهذان الأمران لا يمكن أن يتحققا إلا برفع راية الجهاد والإعداد له فالتخلي عن الجهاد يعني عــدم بلوغ الفلاح لنعلم أن النصر دائماً هو منحة من عند الله والنصر دائماً من عند الله للفئة المؤمنة على قدر أخذها بأسباب الجهاد، والجهاد هو روح الأمة وأمة بلا جهــاد مــسلوبة الــروح والخيــرات والإرادة، وقد وصف الله الذين يتركون الجهاد بالظالمين، قال تعــالى: ﴿ **فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة:246]

وهناك كثير من الآيات التي بينت هذا المعنى منها:

1- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة:35]

هذه الآية قاعدة أصيلة في تربية الأمم وارتقاءها لكي تصل إلى درجة الفلاح، وكما أن الكون خلقه الله على مراحل في ستة أيام فذلك لحكمة أرادها الله، وكذلك الأمم يجب أن تتدرج في التربية فالأساس أن تُبنى على إيمان كامل وعقيدة سليمة ثم تتمسك بتقوى الله ولزوم طاعته والابتعاد عن معصيته، وأن تثبت على ذلك على مر السنين لا تتراخى ولا تتبدل ثم تأتي المرحلة الثالثة في ابتغاء الوسيلة، وهو التودد والتقرب إلى الله بكل فعل يحبه، والابتعاد عن غضبه بالبعد عما نهى عنه فإذا وصلت الأمة إلى هذا المستوى كانت مؤهلة إلى رفع راية الجهاد لتبليغ دعوة الله والدفاع عن نفسها **وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال (الصلاة على وقتها) قلت: ثم أي؟ قال (بر الولدين) قلت: ثم أي؟قال (الجهاد في سبيل الله)**[2] وكثيراً ما يتعجل بعض الناس الخطوات ويخرج إلى الجهاد بدون الأسس والقواعد التي سبقتها فلن يحقق هدفه بل لعله يضر بنفسه ويضيع الجهد والمال بغير مكانه، ونحن في فلسطين نعيش واقعاً مخالفاً لهذه الآية إذ خرجت فصائل مقاومة كثيرة لم تتأسس على إيمان وتقوى فانحرفت عن الطريق وأساءت الوسيلة وارتد سلاحها إلى صدرها بالصراع وقاتلت بعضها بعضاً،

---

(1) تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد للإمام الدمياطي /ص35.

(2) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها (ج1/ص112) حديث رقم 527.

وهذا هو الذي يجري الآن في الصومال وأفغانستان والعراق، فإن أي جماعةٍ خرجت للجهاد دون إعداد مسبق على منهج هذه الآية كانت هي الخسارة.

ولو سرنا على هدي هذه الآية لاختصرنا الطريق ووفرنا الكثير من الجهد والمال ووصلنا إلى فلاح الدنيا والآخرة. (1)

2-﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال45]

بدأت هذه الآية بنداء الإيمان للمسلمين وهي تودد من الله للفئة المؤمنة حتى يمتثلوا للأمر الذي يحبه الله وهو الثبات عند لقاء العدو فهو الاختبار الحقيقي للتضحية بالنفس في سبيل الله والاستعانة على ذلك بذكر الله وتلاوة القرآن وعدم الاستعانة بالأغاني الماجنة كما حصل عام 1967م، وثبث في الصحيحين **عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقى فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم قال: ((يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)) ثم قال النبي ﷺ ((اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم))** (2) وفي هذا الموطن يحب الله أن يرى من عباده التضحية والثبات ومن الدولة المسلمة التخطيط والإعداد وهذه الأمور التي تعين على فلاح الأمة في الدنيا والآخرة .(3)

3- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال:65]

هذه الآية أمرٌ من الله بأن يتولى القائد حث رعيته على الجهاد والتحريض عليه، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة لا يعطله جور سلطان، والتحريض للثلة المؤمنة، لأنها هي التي تمتثل لأمر الجهاد ولأن الجهاد فيه بذل للنفس والمال فهو سهلٌ على المؤمنين صعبٌ على المنافقين، والله ﷻ تكفل بنصر المؤمنين لا يلزم فيه التكافؤ بالعدد والعدة، ويعوض النقص بقوة العقيدة عند المسلمين فقال تعالى: **﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:10]** وقال تعالى: ﴿ كَمْ

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (ج3/ص 518)، تفسير كلام المنان(ج2/ص285)، فتح القدير (ج2/ ص52).
(2) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (ج4/ص44) حديث رقم: 2933.
(3)انظر: جامع البيان للطبري(ج5/ص743)، تفسير ابن كثير (ج2/ص317)، صفوة التفاسير(ج1/ص471)

مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:249] وسئل رسول الله (أي الهجرة أفضل قال الجهاد : فسئل وما الجهاد. قال ﷺ: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، وسئل فأي الجهاد أفضل؟ قال ﷺ: من عقر جواده وأريق دمه[1]) [2].

4- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40]

تخبر هذه الآية عن نعمة الله ﷻ على عباده المؤمنين إذ أمرهم بالجهاد والذي فيه حياة العباد فلولا الجهاد لتسلط الكفار على المؤمنين وهدموا المساجد والصوامع، ومنعوهم من أداء الصلوات فالجهاد يحفظ للمسلم دينه ويحيا بعزة، وبالجهاد يذل الكافرون، ولو تُركَ الجهادُ لخسر المسلمون كل الدنيا والآخرة، ولذلك يجب أشغال الكفار دائماً بالحروب لكي لا يعطوا فرصة للتخطيط ومحاربة الإسلام ليبقوا دائماً في مكان الدفاع عن النفس لا في مكان الهجوم على الإسلام. [3]

5- قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة:251]

في هذه الآية يبين الله ﷻ قيمة الجهاد وفي حياة الأمة المسلمة وأن من نعم الله ﷻ أن ينفخ في الأمة روح الجهاد، ولذا نُسب فعل الدفع إلى الله لأن الله يريد خيراً للمسلمين، ويسر لهم أسباب ذلك لأن الجهاد يرفع الظلم عن العباد وينشر العدل في البلاد، وقد يتعدى العدل العباد إلى الدواب، أيضاً ولذلك قال تعالى: ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾أي لفسد كل من على الأرض من إنسان وحيوان وشجر وحجر، فالجهاد يحفظ للإنسان نفسه وماله وعرضه وترك الجهاد يتلف النفس والمال والعرض.[4]

---

(1) مسند أحمد (ج23/ص68) حديث رقم: 14726 وصححه شعيب الأرناؤوط، محقق الكتاب.

(2) انظر: في ظلال القرآن(ج3/ ص1551)، تفسير الخازن(ج2/ ص324)، المحرر الوجيز(ج2/ص 549-550).

(3) انظر: تفسير ابن كثير (ج3/ ص226)، أيسر التفاسير (ج3/ ص372)، الأساس في التفسير (ج7/ ص3570).

(4) انظر:صفوة التفاسير (ج1/ ص143)،الأساس في التفسير، (ج/ ص579)، تفسير كلام المنان (ج1/ ص309).

6- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190].

والأمر في مطلع الآية للوجوب ولم يأت صارف ليصرفه، وهذه الآية أمر من الله للمؤمنين بالجهاد في سبيل الله لا من أجل المصالح الدنيوية والشخصية، ويكون الجهاد خالصاً لوجه الله تعالى لا من أجل منصب ومغنم، والجهاد يكون على الفئة التي تقاتل المسلمين، وهو جهاد الدفع والله ﷻ يأمر المسلمين بعدم تجاوز الحد بالقتل فقط يقُتل المقاتل ولا يُقتل المرأة والطفل والشيخ إلا إذا تمترس بهم الأعداء (درع بشري) أو إذا قتل الكفار أطفال ونساء وشيوخ المسلمين، **وسئل رسول الله (أي الهجرة أفضل قال الجهاد :فسئل وما الجهاد . قال ﷺ: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم. سئل فأي الجهاد أفضل ؟. قال ﷺ: من عقر جواده وأريق دمه[1]).** [2]

7- قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود :113]

في هذه الآية يأمرنا الله ﷻ بعدم الركون إلى الكفار من الناحية العقائدية والاقتصادية والسياسية أو عقد الاتفاقيات المشتركة لأن هذا من شأنه أن يقوي المشركين وقوة المشركين، تعود بالضرر على المسلمين إلى عند الضرورة التي تحمي المسلمين، والركون إلى الكفار يعني ربط مصير المسلمين بالكافرين ونحن نعلم أن الكافرين مصيرهم النار، فعلى المسلمين أن يحذروا من الانجرار خلف الكفار حتى لا يصلوا إلى ما وصلوا إليه من المصير المحتوم. [3]

إن الشيطان وأعوانه يغيظهم رفع راية الجهاد للمسلمين ويحرض أعداء الإسلام من حرب المسلمين فما جاء يوم بدر مع الكافرين على هيئة شيخ نجدي، ومن تلبيس إبليس أنه يسمي المسميات بأسماء براقة إذ يسمي الخمر مشروبات روحية ودور البغاة علب الهوى، والجهاد إرهاب، من أجل تشويه صورة الإسلام، ولكن هناك إرهاباً محمود في الإسلام أمر به رب العزة حيث قال في كتابه ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**

---

(1) مسند أحمد (ج23/ص68) حديث رقم: 14726 وصححه شعيب الأرناؤوط.

(2) انظر: تفسير السمرقندي (ج1/ ص188- 189)، فتح القدير (ج1/ ص267)، التحرير والتنوير (ج1/ ص199- 200).

(3) انظر: تفسير ابن كثير (ج2/ ص235)، أيسر التفاسير (ج2/ ص450- 460)، في ظلال القرآن (ج4/ ص1933- 1934).

﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:60] فها هو رب العزة يسمي الجهاد إرهاب ولا بد للكافر من أن يُرْهَبْ؛ لأن الكافر لابد أن يعيش في ذلة أمام المسلمين وقال تعالى:﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ [النساء:122] فإذا ترك المسلمون الجهاد عاش الكفار في عزة وعاش المسلمون في ذلة ومن الخصال التي أعطاها الله لرسولنا محمد ﷺ حيث قال ﷺ **(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي: إحداهن نصرت بالرعب مسيرة شهر)** [1]، ولذلك عندما كان الخلفاء المسلمون يعدون الجيوش في بغداد كان الكفار في بلاد الهند يرتجفون خوفاً.

المطلب الثاني: الإقرار بنعم الله.

إن من توحيد الربوبية الإقرار بنعم الله إذ إنَّ هذه النعم تدل على وجود الخالق وعظمته، وعندما نتعرف على عظمة هذا الخالق يستوجب منا شكره وطاعته، وطالما أن هذا الكون مليء بالنعم والآيات الدالة على عظمته نبقى دائماً نذكر الله ليلاً ونهاراً، وفي كل أحوالنا ومن هذه الآيات:

1- قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:69]

إن من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة رد الفضل لأهلهِ، وأن الله ﷻ قد أنعم على الإنسان نعماً كثيرة تستوجب شكر الخالق، ومن الشكر الإقرار بالنعم ليبقى الإنسان على تواصل في ذكر الله وشكره، وأن الله ﷻ فضله على الأمم الأخرى بنعمة الهداية النعمة العظيمة التي يعجز الإنسان عن شكر الله عليها، ولذلك كان مطلع الآية ذكر نعمة الهداية كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: 34]

ودوام ذكر النعم يذّكر بالخالق، وهذا ما أراده الله من إغداقه بالنعم على العباد.[2]

---

(1) صحيح البخاري (ج1 ص95) حديث (438) كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

(2) انظر: فتح القدير(ج3/ ص277)، في ظلال القرآن (ج3/ص 1311)، الأساس في التفسير (ج4/ ص 1936).

2- قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة 40]

قد بدأ الله ﷻ بالنداء إلى بني إسرائيل بأفضل اسم يحبونه وانتسابهم إلى يعقوب النبي ابن النبي وقد سماه الله إسرائيل وتعني عبد الله، وقد خاطب الله بني إسرائيل كلهم بهذه الآية وأراد أن يذكرهم بالنعم التي أعطاها لآبائهم وأجدادهم، وهو أحرى بالأبناء أن يشكروا الله على النعم التي أعطاها لآبائهم فهي نعمة لهم كذلك.

وذكّر الله ﷻ بني إسرائيل بنعمه لأنهم قومٌ بُهت لا يؤمنون إلا بالمحسوس أمامهم فكان الأحرى أن يشكروا الله على نِعَمِهِ بالعبادة والطاعة، والآيات التي جاءت بعد هذه الآية ذكرت بنعم الله الكثيرة على بني إسرائيل ولكنهم قابلوا هذه النعم بالجحود والتمرد والعصيان وقالوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ **[البقرة:93]** وكذلك أراد الله – ﷻ أن يذكّر الأمة الإسلامية ألا يكونوا مثل بني إسرائيل الذين أنكروا وجحدوا، بل يجب على الأمة الإسلامية أن تتبع طريق الأنبياء طريق الهداية والعبادة والشكر لله. (1)

إن الشيطان دائماً يطمس على أعين البشر حتى لا يروا آيات الله فينسيهم ذكره ويسمي الأشياء بمسميات بعيدة عن الدين حتى يقطع اتصالهم بالله، فمثلا يسمي قدرة الله بالطبيعة، والخمر بالمشروبات الروحية والرقص بالفن وكذلك يسمي العذاب الذي يقع على الأمم الكافرة نتيجة غضب الله عليهم مثل الزلازل والطوفان والجراد والسنين والحرائق بالكوارث الطبيعية، وكأنما الأمر عادي، ولا صلة له بالخالق، ولكن الحقيقة أن الله ﷻ ما زال يعذب الأمم الكافرة بالزلازل والطوفان، وحرق المحاصيل الزراعية والجراد وما شابهه لكي يتذكروا قدرة الله ﷻ ويتجنبوا غضبه، ولكن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله ونعمه.

المطلب الثالث: الصبر والثبات على الحق.

إن أصحاب الأفكار الهدامة والمعتقدات الفاسدة يُسخِرُون كل جهدهم في ترويج أفكارهم ويبذلون المال والجهد حتى أرواحهم أحيانا من أجل فكرتهم.

وإن كل ما يريدون من ذلك الشهرة في الدنيا الفانية ،وكان الأولى والأجدى أن يكون أصحاب الدعوات الربانية أكثر بذلاً من أصحاب الباطل؛ لأنهم يبتغون من عملهم الآخرة الباقية

---

(1) انظر: التحرير والتنوير(ج1/ ص 449)، تفسير كلام المنان(ج1/ص78)، صفوة التفاسير (ج1/ ص 46).

التي تستحق كل جهد ومال ورغم أن الإنسان الذي يبذل في سبيل الله لنصرة دعوته يعوضه الله أمثاله في الدنيا وفي الآخرة جنة عرضها السموات والأرض، وئمن هذه الآيات ما يلي:ــ

1- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران 200]

هذه الآية من الآيات الجامعة لخصال الخير وقد بدأت بنداء التودد إلى المؤمنين الذين يجب أن يتصفوا بهذه الصفات وأولها: الصبر، الصبر على الطاعات، والصبر على الابتلاءات، والصبر عن البعد عن المعاصي والصبر على إيذاء الكافرين والصبر على أقوال المنافقين والصبر على طول الطريق والصبر على قلة الزاد والصبر على قلة النصير فإن لم يستطع المسلم أن يصبر فعليه أن يتظاهر بالصبر حتى لا يشمت به الأعداء.

والصبر مطلوبٌ على طول الطريق ليس فقط على مرحلة معينة وهذا معنى قوله {ورابطوا} أي استمروا في الصبر على كل ما سبق حتى بلوغ الغاية وانتصار الحق وسعادة الدارين ومع هذا الرباط الذي يستمر سنين يجب أن تصاحبه التقوى حتى لا يتجاوز الإنسان حدوده ويتعدى على غيره بالبغي والانتقام فيجب أن تصاحبه التقوى حتى يبقى في دائرة خُلق الإسلام، ولعل كل هذه الأمور تعين على أسباب الفلاح.(1)

2- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]

هذه الآية أصل من أصول أسباب النصر وهي تبين المراحل التي يجب أن تتبع قبل خوض المعركة فطاعة الله بتطبيق شرعه وإتباع سنة رسوله وعدم الاختلاف والتفرق الذي يؤدي إلى تماسك الصف ووحدة الكلمة فهذه الأمور هي من مقومات النصر والتمكين والفلاح في الدنيا والآخرة، وما غزوة أحد عنا ببعيد ويجب أن يكون هذا الأمر هو الصبغة العامة للمجتمع، مع الثبات عليه لفترة طويلة حتى يرسخ هذا المفهوم في المجتمع وهذه الصفة هي المؤشر الذي يدل على مدى استمرار التمكين وأن زالت هذه الصفة فيكون الزوال قريباً والثبات على هذه الصفة بحاجة إلى صبر، ولذلك جاءت الفاصلة تحث على الصبر متناسقة مع معنى الآية(2).

---

(1) انظر: في ظـلال القـرآن (ج1/ ص 551)، المحـرر الـوجيز (ج1/ص559- 560)، صـفوة التفاسـير (ج1/ص232)، الأساس في التفسير (ج2/ص967).

(2) انظر: التحرير والتنوير (ج5/ ص 31- 31)، تفسير الخازن (ج2/ ص317)، مختصر تفسير ابـن كثيـر (ج2/ ص110- 111)، تفسير كلام المنان (ج3/ ص 174).

3- يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة 153]

الصبر سلاح المؤمن في كل أحواله فالمؤمن بين أمرين إما أن تصيبه نعماء فيشكر الله عليها أو ضراء فيصبر عليها انطلاقا من الحديث الذي يرويه صهيب الرومي رضي الله عنه **عن الرسول ﷺ (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له)**(1) والصبر يكون على المصائب ولا يكون في المعايب ولا يؤجر المرء إذا كان الصبر في معصية.

وإذا أظهر المؤمن الصبر وتحمل تبعاته بقلب راض فإنه يكون قد نال معية الله بنص هذه الآية ومن كان الله معه فمن عليه. (2)

المطلب الرابع: الإيثار والإنفاق في سبيل الله.

إن الإنفاق في سبيل الله من الطاعات التي يختبر فيها الإنسان مدى طاعة وتلبيته لأمر الله لأن المال محبب إلى النفس والشيطان يأمل الإنسان فيجعله يتمسك بالمال ويبخل بالإنفاق في سبيل الله بحجج واهية ولكن المسلم الفطن يعلم أن ما يقدمه يكون ذخراً له في الآخرة قال تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:110] فالأمة المسلمة يجب أن تحرص على أن تكون أكثر الأمم إنفاقاً في سبيل الله من غيرها حتى تكون يوم القيامة وهذا في الفلاح في الدنيا والآخرة ومن الآيات التي تبين هذا المعنى:-

1-قال تعالى:﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[التغابن:16]

هذه الآية جاءت رحمة للمسلمين إذا أن الله ﷻ قد أمر في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ **[آل عمران:102]** فخفف عنها لكونها الأمة المرحومة فأمر الله أن تلبي الجماعة المسلمة أمر الله بالقدر الذي تستطيعه امتثالاً لقول الله

(1) صحيح مسلم- كتاب كتاب الزهد والرقائق - باب المؤمن أمره كله خير- حديث رقم(2999)- 2295/4.
(2) انظر: تفسير الخازن (ج1/ص93)، صفوة التفاسير (ج1/ص94)، الأساس في التفسير (ج1/ص330).

تعالى :﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[البقرة:286] وطاعة الله ورسوله بالامتثال إلى الأمر بالإنفاق في سبيل الله فهو اختبار لمدى استجابة الأمة المسلمة لأمر الله فالإنفاق في سبيل الله مؤشر على مدى السمع والطاعة لأمر الله ورسوله والفرد المسلم والجماعة المسلمة مطالبون بأن ينخلعوا من مالهم الذي هو محبب إليهم في سبيل الله، لأن الله يجب أن يكون أحب إليهم من مالهم وأنفسهم وأن المحب لم يحب مطيعُ، وهذا الأمر فيها فلاح الأمة التي بذلت في سبيل الله فيكرمها الله بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.(1)

2-قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9]

هذه الآية هي أصل من أصول أخلاق الإسلام وهي تبين مكانة خُلق الإيثار في المجتمع الإسلامي، والإيثار هو من أقوى الروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، وأي مجتمع تخلو منه هذه الصفة يكون مجتمعاً متفككاً لا يصمد أمام النوازل، والإيثار هو أن يقدم المسلم ما هو بحاجة إليه إلى أخيه المسلم رغبة منه دون أن يجد في صدره حرج، وقد نزلت هذه الآية في مدح الأنصار الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين وشاركوهم في بيوتهم وأموالهم عن طيب نفس ومحبة فاستحقوا أن ينزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وهذه الآية خاصة في الأنصار، ولكن عموم اللفظ يشمل من اتصف بصفاتهم من البذل والإنفاق في الدنيا والآخرة.(2)

3-قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 22]

هذه الآية تبين أحد الدعائم القوية لإقامة حكم الله في الأرض فالذين يسعون إلى ذلك لن يجدوا طريقاً مفروشاً بالورود ولا نصيراً يعينهم على ذلك بل يجدوا طريقاً محفوفاً بالمخاطر وتتكالب عليهم قوى الكفر التي لا تحب أن ترى مناراً للحق تُعري باطلهم فسيضعون أمامها العراقيل والحصار الاقتصادي والسياسي ومقاطعتها من كل الجوانب، لذلك يجب على أبناء المجتمع المسلم أن يتحملوا ويصبروا على كل أذى من أهل الكفر وبدون هذا الصبر لن يصلوا إلى ما

---

(1)انظر:جامع البيان للطبري (ج10/ ص837)،تفسير الخازن (ج4/ص304)،صفوة التفاسير (ج3/ص371).

(2)انظر: تفسير ابن كثير (ج3/ص473- 474)، الجامع لأحكام القرآن (ج9/ص281- 283)، التحرير والتنوير (ج11/ص89- 93)،

يريدون بل بصبرهم يحققوا ما يريدون وينتصرون على أعدائهم ويقطفوا ثمرة الصبر كما أن الصبر مطلوب على أداء التكاليف الشرعية والبعد عن المعاصي والصبر على الابتلاء وأن يستعينوا بالصلاة وطاعة الله والإنفاق في سبيل الله حتى يفوزوا بخير الدارين. (1)

4-قال تعالى :﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة:195]

هذه الآية يحملها الناس على غير محملها ويظنون أن الذي يزهق نفسه في القتال كأنما ألقى بنفسه في التهلكة كما جاء عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال فينا نزلت نحن هذه الآية (أي الأنصار) عندما فتح الله عليهم مكة وعادوا ليعمروا بساتينهم التي تلفت بسبب انشغال المسلمين في الجهاد، فعندما عادوا لإصلاحها نزلت هذه الآية تحثهم على عدم التمسك بالدنيا ومتاعها بل يجب أن يضحي المجتمع المسلم من أجل رفع راية الجهاد ونصر دين الله والإنفاق في سبيل الله، وأي أحسنوا في جميع أعمالكم حتى يحبكم الله وتكونوا من أوليائه المقربين وقالﷺ: **(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)** (2) وهذا الحديث يبين أن المسلمين إذا تمسكوا في التجارة وتربية المواشي وتمسكوا بالدينار والدرهم ولم يخرجوا زكاتها، فأن الله ﷻ سيسلط عليهم الدنيا ولم ينالوا منها إلا التعب والشقاء .(3)

إن الصبر والإنفاق أمران متلازمان فإنفاق بلا صبر لا يؤتي ثماره والصبر زكاة النفس والإنفاق زكاة المال فإذا كان أهل الباطل يطبقونه وينفقونه من أجل دعواتهم الباطلة فالأولى من أصحاب الحق والدعوة الربانية أن يصبروا وينفقوا لأن أهل الباطل يبتغون من بذلهم الدنيا وأن أهل الحق يبتغون من إنفاقهم مرضات الله والآخرة ولن يستوي مراد أهل الباطل مع مراد أهل الحق وقال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:36] وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا**

---

(1) انظر: تفسير السمرقندي (ج2/ ص 191)، فتح القدير(ج3/ص 98- 99)، في ظلال القرآن (ج4/ص 2057- 2058).

(2) سنن أبي داود كتاب البيوع باب في النهي عن العينة (ج3/ص274) حديث رقم: 3462، وصححه الألباني (42/1) حديث 11.

(3) انظر: الفتوحات الإلهية (ج1/ص233)، تفسير السمرقندي (ج1/ص190)،الدر المنثور (ج1/ص221)

فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:111] .

المطلب الخامس: تطبيق منهج الله في الأرض.

إن الهدف الرئيس لوجود الإنس والجن على هذه الأرض هو طاعة الله وتطبيق منهجه لنيل مرضاته.

وأي طاعة أفضل وأشرف من تطبيق شرع الله في الأرض بل وهي ثمرة العبادة فإذا عرف الإنسان الهدف من وجوده اختصر الطريق وصل إلى مراده، وإن لم يعرف هدف وجوده في هذا الكون فإنه يتجه في صحراء مترامية لا يعرف كيف الخروج منها ولن يصل إلى هدفه ويخرج من هذه الدنيا بسخط الله، والاحتكام إلى الله أمر واجب فالإنسان عندما يصاب بمرض يسارع إلى أحد الأطباء وأصحاب الاختصاص ولا يرضى دون ذلك بشيء فهذا لأنفسنا فأما لديننا فيجب أن يلجأ إلى خالق هذا الكون ومدبره والمشرع هو أعلم بما يصلح به أمر هذا الكون، ومن هذه الآيات:-

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[النور:51]

هذه الآية دعوة من الله ﷻ للأمة الإسلامية بالامتثال بأمر الله والاحتكام لشرعه، وهذا الأمر ليس باليسير عند بعض الناس، لأنه يصطدم مع رغباتهم أحياناً وفي مثل هذا الموطن يُختبر المؤمنين، لأن الله ﷻ لن يترك الإنسان بدون اختبار كما قال تعالى ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾[العنكبوت:2] وطاعة الله ورسوله يجب أن تكون شاملة لكل صغيرة وكبيرة في حياة الجماعة المسلمة حتى تصل إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، والجماعة المسلمة ليست مخيرة بين الاحتكام إلى أمر الله وعدمه، بل هيا ملزمة بقوله تعالى﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً** ﴾ [الأحزاب:36] وطاعة الله ورسوله من أهم أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.[1]

---

(1)انظر:جامع البيان للطبري (ج8/ص449)، تفسير السمرقندي(ج2/ص448)،صفوة التفاسير(ج2/ص316).

2- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: 59]

إن الأصل تطبيق شرع الله في المجتمع المسلم حتى يسود العدل والرخاء وإن تطبيق شرع الله هو من أخص خصائص توحيد الإلوهية، ولا يمكن أن يكون هنالك دولة إسلامية بدون تطبيق شرع الله ولا يمكن أن يكون هنالك مجتمع مسلم دون تطبيق شرع الله، وهو الأصل الذي تقوم عليه الأمة الإسلامية وكل مجتمع تقوم فيه خلافة في أمور الدين والدنيا، فيجب أن يحكم شرع الله في ما اختلفوا فيه بعيداً عن الأهواء والمصالح الفردية وتغليب المصلحة العامة التي تعود بالنفع على المجتمع المسلم، وطاعة الله في تطبيق شرعه وطاعة رسول الله في تطبيق سنته، وطاعة أولى الأمر هم الأمراء والحكام المسلمون الذين يحكمون بشرع الله وفي حال عدم وجود الأمراء تكون الطاعة للعلماء المخلصين الذين يبتغون مرضاة الله ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا لعلماء السلاطين والأهواء، وكثير من الجهلاء الذين لا علم لهم بالدين يستشهدون في الآية بغير موضعها لطاعة أمراء السوء والظلم وهم في أنفسهم يعلمونَ أنهم على باطل وأنهم يريدون منصباً دنيوياً أو التقرب من السلطان ليكونوا من بطانة السوء وبنص هذه الآية يعتبر تطبيق شرع الله أصلاً يندرج تحت أصول الإيمان (1).

3- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 24].

بدأت هذه الآية بنداء الله إلى المسلمين بنداء الإيمان لتهيئة النفوس باستقبال الأمر وتنفيذه، والله ﷻ يريد الخير للناس ولا يريد لهم الشر ولذلك فهو يدلهم إلى طريق الفلاح،للاستجابة لأمر الله بالطاعة والبعد عن المعاصي وإتباع سنة رسوله وتجنب معصيته وتبين الآية أن الاستجابة لأمر الله فيها الحياة الحقيقية حياة السعادة في الدنيا والفوز برضوان الله في الآخرة وأن القلوب بيد الله فمن أراد الحق يثبته الله عليه ومن أراد الباطل فإن الله يحرف قلبه إليه، ولذلك جاءت الآية تنبه المؤمنين إلى طاعة الله ورسوله، وأنك أيها الإنسان غداً ستحشر بين يدي الله ويسألك عن طاعته أو عدمها هل أطعته أم لا وهو يعلم بكل شئ ولذلك جاءت الفاصلة تنبه المؤمنين أن محشرهم ومآلهم إلى الله وأن ليس لهم إلا طاعته وإلا فإن عذاب الله في انتظارهم.(2)

---

(1) انظر: فتح القدير ج1/ ص642- 643، في ظلال القرآن ج2/ ص687- 688،الأساس في التفسير ج2- 1102،صفوة التفاسير ج1 –ص261،

(2) انظر: روح المعاني (ج9-/ ص 190)، الجامع لأحكام القرآن (ج4/ ص334)، فتح القدير (ج2 / ص 379- 380)

4- قال تعالى :﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 256]

هذه الآية جاءت بعد آية الكرسي التي بينت توحيد الإلوهية بالأسماء والصفات وتوحيد الربوبية أي كل أنواع التوحيد فهذه الآية تبين الإيمان الصحيح القويم والمبني على طاعة الله وترك ما دونه من الطواغيت سواء كانت هذه الطواغيت معنوية أو مادية ملموسة أو غير ملموسة فلا بد للإيمان الصحيح الذي يُقبل عند الله أن يُبنى على أساس صحيح بعيداً عن الشرك الأصغر والأكبر فالإيمان يستوجب الطاعة والطاعة يجب أن تكون لله وحده والله ﷻ لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، فقد انتشر في عصرنا بدع كثيرة، ويظن أصحابها أنهم في طاعة وهم في الحقيقة بعيدون عنها، والطاعة المقبولة تستوجب أمرين.

الأول: أن تكون كما أمر الله ورسوله

الثاني: إخلاص النية لله، فمن سار على ذلك فقد بلغ العروة الوثقى التي أرادها الله والتي تنسف كل الباطل لكي يُبنى الإيمان على أساس قوي ونظيف وسليم من الإيمان الصحيح الكامل.[1]

مما تقدم يتبين أن طاعة الله ورسوله أصل من أصول الإيمان، وأحد أسباب النصر والتمكين وسببٌ في سعادة وفلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، وسببٌ في أمن الإنسان وطمأنينته في الدنيا، وعلى مصيره في الآخرة وبطاعة الله ورسوله ينال المسلم رضى الله في الدنيا والفوز بجنته في الآخرة.

المطلب السادس: الولاء والبراء والتحرر من التبعية للكافرين.

الولاء لغة: "الموالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه، ووالى فلان فلانا إذا أحبه"[2].

الولاء اصطلاحاً: النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهرا وباطنا. [3]

أما البراء فهو عكس الولاء.

---

(1) انظر: صفوة التفاسير- (ج1/ ص 147)، الأساس في التفسير - (ج1/ ص600- 601)، تفسير السمرقندي- (ج1/ ص224)، في ظلال القرآن- (ج1/ ص291- 292).

(2) لسان العرب ج15/ص401.

(3) شرح العقيدة الطحاوية ص358. ، والولاء والبراء في الإسلام ص90.

إن الله ﷻ أراد للإنسان المسلم أن يكون مستقلاً في قراره مسئولا عن نفسه في كل أحواله، وقد وهبه الله ﷻ العقل السليم وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل إليهم الكتاب المستقيم ليبين للناس طريق الحق المبين وعاقبة المخالفين وجزاء المؤمنين وعاقبة المنكرين، فلم يبق بعد ذلك أي حجة ولا عذر للجاحدين المنكرين الذين ارتبطوا بمصير الكافرين في الدنيا وليكونوا سواء في الآخرة، وقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي توضح مصير الذين تولوا الكافرين منها:-

1- **قال تعالى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة:22].**

هذه الآية العظيمة هي المقياس التي تبين ولاء المؤمن للفئة المؤمنة أو لغيرها، فالله ﷻ يختبر المؤمنين على الدوام ولا يزال المؤمنين يبتلوا حتى يلقوا الله ﷻ فإذا نجح المؤمنون في الاختبار وارتقوا إلى المرحلة التي تليها حتى يرتقوا مع الصالحين ويقول تعالى **﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾** [التوبة:24] فيجب على الفرد المسلم والجماعة المسلمة إلا تقدم على حب الله وطاعته أي شيء من متاع الدنيا وعصبيتهم ونجد أن آية التوبة لم تترك أي استثناء للمؤمنين، ولذلك فمحبة الله وولائه هو روح الإيمان التي تسري في نفس المؤمن وقال ﷺ :(**ثلاثاً منكن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله ممن سواهما، وأن حب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار)**(1) ويجب على المؤمنين أن يكونوا على ثقة أن الإسلام سيظهر وأن النصر حليف المسلمون على مر الأزمان ولذا يجب على الفئة المؤمنة أن تكون واثقة بنصر الله وأن لا تهادن أحد من الكفار خشية أن تكون له الجولة في المستقبل، فإذا تخلق المؤمنين بهذه الصفة فقهم من الفائزين بفلاح الدنيا والآخرة.(2)

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (ج1/ص12) حديث رقم: 16.

(2)انظر: جامع البيان للطبري (ج10/ص 724)، الدر المنثور (ج6/ص206)، الفتوحات الإلهية (ج7/ص449).

2- قال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: 8]

الكفر ملة واحدة لا يتغير ولا يتبدل على مر الزمان ولكنه قد يأخذ مسميات جديدة، فالآية تطالب المسلمين بالحذر من المشركين وعدم التهاون معهم، فطبع المشركين عندما يكونوا ضعفاء التودد إلى المسلمين، وهذا يستوجب عدم الرحمة والأمان لهم في حالة ضعفهم فيجب استئصالهم متى تمكن المسلمون منهم؛ لأن في تركهم فرصة لهم لقتل المسلمين عندما تكون لهم الكرّة فإنهم يتنكروا للعهود والذمة فمن باب العدل أن يعاملوا بما هم أهله، وقد كان للمشركين ظهور على المسلمين من التتار في غزو بغداد وقد قتلوا من المسلمين من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ألفي الف دون رحمة أو عهد أو ذمة، ورأينا عندما قامت الثورة البلشفية في روسيا قامت بقتل شعوب كاملة من المسلمين وتهجيرهم إلى سيبيريا(1)، وفي عصرنا الحاضر ما حدث في البوسنة والهرسك من قتل جماعي للمسلمين على يد الصرب فما زلنا حتى يومنا هذا نجد قبوراً جماعية تدلّ على حقيقة هؤلاء المشركين(2)، والمحرقة على قطاع غزة في نهاية عام 2008م فكيف بمن تكون هذه صفتهم أن يكون بينهم وبين المسلمين مودة ورحمة والآية قد حذرتنا من موالاتهم ونصرتهم. (3)

2- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 51]

إن هذه الآية تقرر عقيدة البراء والولاء عند الإنسان المسلم فلا يحق للإنسان المسلم الذي أكرمه الله بأفضل الشرائع وأكملها أن يرتبط بالكفار من أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وحرفوا كتبهم وضلوا سواء السبيل، فكيف نطلب الهداية من أناس فقدوا الهداية ونحن نقرأ في كل ركعة في سورة الفاتحة قول الله تعالى: **﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: 7]** فمن التصق بهم فقد ربط مصيره بمصيرهم وقد تخلى عن الإسلام ورضي بعقيدة الكفار، ولا يجوز للإنسان المسلم الذي يبتغي مرضاة الله ورسوله

---

(1) السرطان الأحمر – عبد الله عزام (ص76).

(2) انظر: البوسنة والهرسك حقائق وأرقام (ص145).

(3) انظر: تفسير السمرقندي (ج2/ص35)، تفسير الخازن(ج2/ص338)، في ظلال القرآن (ج3/ص1607، صفوة التفاسير (ج1/ص486).

وصالح المؤمنين أن يوالي الكفار معنوياً أو مادياً أو سياسياً أو محبتهم أو تفضيلهم على المسلمين طالما أن هذه الموالاة تضر بالمسلمين ومصالحهم، يقول الرسول ﷺ **(يحشر المرء مع من أحب)**[1]، والله ﷻ أنكر على المسلمين موالاة الكافرين بقوله ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ وليس هناك توبيخٌ أو إنكارٌ أشد من ذلك، وقد جاءت هذه الآية بعد أن بين الله ﷻ في الآيات التي سبقتها من سورة المائدة خطر أهل الكتاب وشركهم وعداوتهم للإسلام، ثم بعد كل هذا البيان نجد من تولي الكفار وربط مصيره بمصيرهم وخالف أمر الله فاستحق غضبه والمصير المشئوم الذي ينتظرهم، فالإنسان المسلم قبل أن يتولى الله ورسوله والمؤمنين يجب أن يبرأ من الكافرين وأفعالهم وأقوالهم ومن والاهم، والبراء مقدم على الولاء ولا ولاء إلا ببراء ولا يجتمع الأمران الولاء للمؤمنين وعدم البراء من المشركين فهو من النفاق وسوء الأخلاق والخسران المبين، فمن أحب أولياء الله الحريصين على طاعته فهو مع حزب الله ومن أحب أعداء الله المحاربين لدعوته الذين يصدون عن دينه فهو مع حزب الشيطان.[2]

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة: 55)

هذه الآية جاءت بعد آية المائدة السابقة، استكمالاً للأسلوب الرباني في التربية، فبعد أن حرّمَ الله ﷻ موالاة الكافرين في الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة: 51]، كان استكمال باب الخير من الله أن يبين الموالاة الحقيقة التي يجب أن يتحلى بها المسلم وهي ولاية الله ورسوله والذين آمنوا، وقد بدأت الآية بأداة الحصر والقصر (إنما) التي لا يجب تجاوزها، والبراء والولاء من عقيدة الإنسان المسلم التي لا يكتمل إيمانه مع البراء والولاء إلا بالعبادة الإيمانية من الصلاة والزكاة والركوع، إنما ذكرت هنا للإكثار من هذه العبادات وهي تدل على المسلمين، لأن الركوع لا يوجد إلا في صلاة المسلمين دون غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

وهذه الآيات من سورة المائدة حكمها قاطع غير منسوخ، لأن سورة المائدة من أواخر السور التي نزلت وآياتها من أواخر الآيات التي نزلت وهكذا تكون الأحكام التي جاءت في سورة

(1) صحيح البخاري- كتاب الآداب- باب علامة حب الله ﷻ - حديث رقم(6168)- 39/8.

(2) انظر: التحرير والتنوير(ج3/ص 229)، الجامع لأحكام القرآن (ج3/ ص 565).

المائدة أحكاماً نهائية غير منسوخة ومقدمة على الآيات التي سبقتها في معاملة أهل الكتاب من العفو والصفح والمودة.[1]

4- قال تعالى: ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: 28]

هذه الآية جاءت بأمر النهي من الله والأمر للوجوب ما لم يأتِ قرينة تصرفه بعدم موالاة الكافرين ومن يفعل ذلك طواعيةً منه فقد برأ الله منه براءة تامة، ومن رحمة الله بعباده أن جعل لهذه البراءة استثناءً لأنه يعلم قدرة النفس البشرية على التحمل فهي تتراوح ما بين العزيمة والرخصة في هذا الاستثناء لضعاف المسلمين الذين لا يقدرون على الأخذ بالعزيمة والاستثناء لا يكون في ديار الإسلام؛ لأن الأصل في دار الإسلام أن يكون الحكم للمسلمين، وإنما يكون الاستثناء للمسلمين الضعفاء في دار الكفر لحماية أنفسهم ومعتقداتهم وتكون الموالاة باللسان فقط دون القلب في هذه الحالة يكون الله ﷻ مطلعاً على السرائر ويحاسب عليها ولذلك جاءت فاصلة الآية متناسبة مع معناها وأن الله بصير يعلم ويرى الحقيقة التي عليها المسلم.[2]

5- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]

هذه الآية نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة ونحن هنا لسنا في السرد التاريخي لسبب النزول بل بالعبرة والموعظة منه، فحاطب ابن أبي بلتعة أرسل إلى أهل مكة كتاباً صغيراً كتب في جملة واحدة ليس أكثر، فنزل القرآن يؤنبه وينكر عليه ذلك وأن هذا الفعل من الولاية والتبعية للكافرين، فالعبرة ليست بحجم الفعل صغيرة أو كبيرة ولكن تؤخذ بنتائجه، وهذه الآية تبين أقل فعل في موالاة الكفار قد أنكره الله على المؤمنين فما بالك بمن يقدم لأعداء الله المال والسلاح والمعلومات تحت مسميات شيطانية (التعاون الأمني) فقد انطبقت عليه الآية **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ**

---

(1) انظر: تفسير الخازن (ج2/ص56)، فتح القدير(ج2/ ص69)، تفسير كلام المنان (ج2/ص310)، صفوة التفاسير (ج1/ص323).

(2) انظر: تفسير السمرقندي (ج1/ص258)، المحرر الوجيز(ج1/ ص 419)، في ظلال القرآن (ج1/ص386).

﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:51] وخاصة أعداء الإسلام الذين يجاهرون بالعداء ويؤلبونهم على ذلك يقفون أمام نشر دين الله في الأرض. [1]

هكذا نرى أن عقيدة البراء والولاء من أهم أعمال القلب التي من خلالها يتم تصنيف المسلم في أي جهة هو، وعليه يكون مصيره في الدنيا والآخرة، فإن كان ولاؤه للإسلام والمسلمين فإن أعماله تكون في هذا الجانب، وإن كان ولاؤه لأعداء الإسلام فإن أعماله تتصرف إلى هذا الجانب فمن خلال أفعال الإنسان وأقواله يمكن الحكم عليه من الولاء والبراء وموالاة الكافرين.

المطلب السابع: إعطاء الحقوق ورد الأمانات.

إن العدل هو الملح الذي يصلح الحياة وإن معيار فلاح الأمم يكونُ بمقدار العدل فيها ولا تزال الأمة قائمة ما دام العدل فيها فإذا تقاعست وتراخت في معيار العدل فإن هذا يعجل في فنائها والعدل يجب أن يكون بين الأفراد وفي الأسرة، وبين أفراد المجتمع، وبين الراعي والرعية، وحيثما انتشر العدل كانت الطمأنينة وازدهرت البلاد بالخير وكما قالوا فإن دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة.

وفي وجود العدل تخرس أفواه المنافقين ولا يكون لهم مجال في التحريش بين أفراد المجتمع والعدل الحقيقي هو الذي يبنى على أساس الشريعة الإسلامية بعيداً عن الأهواء والمصالح الشخصية، وقد جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم.

1- قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم 38]

هذه الآية وصية من الله للذين يبتغون الفلاح في الدنيا والآخرة أن يوفوا في رد الحقوق لأصحابها، ولربما يكون الرجل وصياً على مال الأيتام فلا يحسن الأداء ولا يعطي المسكين حقه من ماله ظانين أن لا أحد مطلع على ذلك أو أنهم يعطينهم الرديء من الشيء، فمن أعطى القريب والمسكين وابن السبيل حقه فقد نال رضى الله بلغ الفلاح في الدنيا والآخرة **وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) وأحسبه قال: (وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر)** [2] ويجب إعطاء ابن السبيل حقه لكونه فاقد أهلية

---

(1) انظر: تفسير كلام المنان (ج7/ ص 348- 350)، المحرر الوجيز (ج5/ص 293)، التحرير والتنوير (ج11/ص 132- 134).

(2) صحيح البخاري: كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (ج62/7) حديث رقم: 5353.

كسب الرزق وحقه في الإسلام أن يعطى ما يكفيه لسفره وإذا أراد الإقامة أن يطعمه ثلاثة أيام فما زاد عن ذلك فهو صدقة له فإذا لم يوجد لديه طعام رده بلطت بالكلمة الطيبة .[1]

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء: 58]

إن هذه الآية أصل من أصول الأحكام الشرعية وهي من الآيات الجامعة لأحكام كثيرة وقيل إنها نزلت في حق رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية عامة لكل المسلمين للامتثال بأمرها وأن تأمر الإنسان بأداء الأمانة.

الأمانة بأداء العبادات في حق الله، والأمانة بأداء حقوق النفس والأمانة بأداء حقوق العباد، وإن أداء حقوق العباد من العدل، وفي أداء الأمانة رد لحقوق العباد، وإضاعة الأمانة هدر بحق العباد في النفس والمالٍ والعرض، ولهذا تساوى شطرا الآية عندما أمر بأداء الأمانات والعدل وكل منها عدل ويأمرنا الله ﷻ بالإحسان في الحكم بين الناس ورد مظالمهم والإحسان يكون أن ترد الحقوق وأن يحكم بين الناس بلطف وبما هو طيب لأنفسهم ولا يأمرنا أن نرد الحقوق بغلظة تسئ إلى المسلمين وهذا الأمر ومن أطيب الأمور التي يعظنا بها[2].

3- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: 135]

هذه الآية من الآيات الأساسية في الحكم بين الناس سواء كان القاضي أو الشهود والله ﷻ ينادي المسلمين بصفة الإيمان ليحببهم بتنفيذ أوامره وفي تطبيق هذه الآية على النفس يتبين الإيمان الكامل أو عدمه فليس من السهل أن يحكم الإنسان أو يشهد على نفسه أو على من يحب، أو على أقرب الناس إليه، وقد رأيت أن أناساً كانوا حكاماً أضاعوا حقوق الأقارب بحجة الورع الكاذب، وهذا منهي عنه أيضا والله ﷻ يطالبنا بالعدل في أمور حياتنا سواء على النفس أو على الوالدين أو الأقارب وهذا قمة العدل فإن عدل الإنسان في هذا الأمر كان ما دونه أهون وأن تطبيق العدل في الحكم بين أفراد المجتمع أمرٌ ليس سهلاً يتجاذبه الهوى والمصالح الشخصية والانحراف عن العدل

---

(1)انظر: جامع البيان للطبري (ج9/ص91)، تقسير ابن كثير (ج3/ص435)، صفوة التفاسير(ج2/ص435)

(2) انظر: تفسير الخازن (ج/ ص391)، الأساس في التفسير (ج2/ ص1088)، الجامع لأحكام القرآن (ج3/ ص226).

يبدأ صغيراً ثم يكبر حتى يلقي بصاحبه في الهاوية، وقد يظن بعض الناس بكتمهِ للشهادة مصلحة في إصلاح ذات البين ولكنها في الحقيقة تُذهب الحقوق وتوهم العدل. [1]

4- قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90]

هذه الآية من جوامع الأخلاق إذ إن الله ﷻ يأمر عباده ويعظهم بما هو محبب لنفسه وهذه الآية كانت سبباً في إسلام بعض الصحابة عندما علموا أن هذا الدين يأمر بخصال الخير التي كانت مفقودة في مجتمعهم الجاهلي، وقيل إن العدل معناه التوسط وعدم الإفراط أو التفريط سواء في العبادات أو المعتقدات، كما أنه أمر بالعدل والإحسان الذي فيه حقوق العباد وأعراضهم وجاءت الفاصلة في هذه الآية (لعلكم تتذكرون) أي لعلكـــم غـــداً تقولون لا علم لنا ولم يُذكرنا أحدٌ بذلك فالله ﷻ يوقع الحجة على العباد في إنزال الكتاب وإرسال الرسل وكأنه يقول لم يعد عندكم مانع من القبـــول وتلبيـــة الأمر إذا أمرتكم ووعظتكم وأرسلت إليكم الكتب والرسل ولم يبق لكم سبيل والله ﷻ يعجل في الإحسان بصلة الرحم وسعة الرزق وطول العمر ويعجل في عقوبة الباغي بالفقر وقصر الأجل [2].

5- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 165]

هذه الآية تحث المسلمين على تطبيق أوامر الله ونواهيه، وإن العدل في المجتمع يكون سبباً في النجاة من عذاب الله، وإن الظلم نهايته الخسران في الدنيا والآخرة، وإن بدا لبعضهم أن الظلـــم يجلب النفع، ولكن هذا النفع يكون مؤقتاً ويزول بسرعة ولا يساوي شيئاً إذا ما قورن بعذاب الآخرة والخزي في الدنيا، وإن الظالمين مصيرهم الهلاك، كما توعدهم الله ﷻ بقوله تعالى ﴿ **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً** ﴾ [الكهف: 59]) [3].

إن العدل مطلوب بين أفراد الأسرة وكذلك بين أفراد المجتمع المسلم، وكذلك بـــين الحـــاكم والمحكوم، فإما أن يكون العدل على الجميع بالتساوي أو العذاب الذي ينتظرهم قال رســـول الله ﷺ

---

(1) انظر: فتح القدير (ج1/ ص698)،التحرير والتنوير – (ج2 / ص224)، في ظلال القرآن (ج2/ ص775)، تفسير كلام المنان (ج2 – ص191).

(2) انظر: تفسير السمرقندي (ج2/ ص247)، المحرر الوجيز (ج3/ ص416)، الفتوحات الإلهية (ج4 ص261).

(3) انظر: الخازن (ج2/ ص263)، فتح القدير (ج2– ص327)، الأساس في التفســير (ج4/ص2040)، فـــي ظلال القرآن (ج3 – ص1385)،

(إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا)[1].

المطلب الثامن: التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم خصائص وسمات المجتمع المسلم، إذ إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يكون هدفه تقويم المجتمع لما هو أفضل أو تحذير من شر أو دعوى إلى خير، فإن خرج عن هدفه انقلب إلى ضده – أي أنه إذا لم يكن هدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تغليب المصلحة العامة، فإنه يكون من باب التشهير وإبراز عيوب الآخرين وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط يجب أن يتبعها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر منها:

1- ألا ينقلب هذا الأمر إلى مفسدة أكبر كشْق صف المسلمين أو تبصير أعداء الإسلام بعيوب المسلمين ونقاط الضعف عندهم.

2- أن يكون الأمر بالمعروف ضمن ضوابط الشرع للآيات القرآنية التي لا تحتمل التأويل والبعد عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة موهماً عدم إتباع الشرع.

3- أن يكون الأمر بعيداً عن الخلاف الفقهي؛ لأن القائد مخير باتباع أي منهج فقهي يريده، ومن هذه الآيات: -

3- قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 104]

جاءت هذه الآية تتويجا لما سبقها من الآيات إظهاراً لكمال نعمة الإسلام وطلباً للاعتصام بحبل الله واستكمالا للنعمة وللمحافظة عليها بعيداً عن النقصان حيث طلب الله ﷻ من الأمة الإسلامية أن تجعل جماعة من المسلمين تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولأن الله ﷻ يعلم طبيعة البشر وأن ليس بعد الكمال إلا النقصان، فهذه الجماعة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أخذت على عاتقها تقويم مسيرة الجماعة حتى لا تنحرف عن الصراط المستقيم وتبقى في دائرة الطاعة لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمثابة روح الإسلام الذي يسري في الجسد فإن سُلب منها يبقى الجسد بلا روح، والله ﷻ لا يأمر إلا بشيء فيه خير للأمة ومنفعتهم، وقد

(1) صحيح البخاري- كتاب الحدود- باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع- حديث رقم(6788)- 160/8.

جاءت فاصلة هذه الآية متناسقة مع ما سبق بلفظ الفلاح لتبين أنه من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة. (1)

وقد استدل العلماء بهذه الآية أن الأمر للوجوب.

ويقول الشوكاني: "في هذه الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة وأصل عظيم من أصولها وركن مشيد من أركانها وبه يكمل نظامها ويرفع سنامه" (2).

2- قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ **[آل عمران 110]**

هذه الآية أحب آية للأمة الإسلامية إذ وصفها الله بأنها خير الأمم، والخيرية في وسطية منهجها وشرائعها ومعتقداتها وتكاليفها الشرعية فمنهجها وسطي في الفكر والاعتقاد وسماحة التشريع بين الشدة واللين وصحة معتقداتها وخلوها من الشرك والثالوث(3) وعباداتها بين العزيمة والرخصة لهذا استحقت أن تكون خير الأمم بشهادة رب العزة لها، لا بدعوة باطلة من أصحابها كما قالت اليهود قال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة18] ولكن هذه الخيرية التي أرادها الله لهذه الأمة تصدرت الخيرية وإذا تراخت عن الأخذ بهذه الأمور تراجعت إلى ذيل الأمم، وهذه دعوة من الله ﷻ إلى أهل الكتاب وسائر الأمم باتباع الإسلام ليبلغوا رضوانه، وأن هذه الآية هي عبارة عن منارة هداية لمن أراد الهداية والوصول إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ويقول ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)**(4). (5)

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (ج1/ ص306- 307)، المحرر الوجيز (ج1 / ص 486)، تفسير ابن كثير (ج1/ ص306- 307).، التحرير والتنوير (ج2/ ص 38).

(2) فتح القدير (ج / ص498)

(3) عقيدة الثالوث عند المسيحية (الأب والابن والروح القدس)، انظر: اليهودية والمسيحية في الميزان/ ص226

(4) صحيح مسلم- كتاب الإيمان - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان- حديث رقم (49)- (ج1/ص69).

(5) تفسير كلام المنان (ج1/ص409)،الجامع لأحكام القرآن(ج2/ ص526)، في ظلال القرآن (ج1/ص447-449).

3- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: 41]

قيل هذه الآية نزلت في حق المهاجرين ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تبين شروط دوام التمكين، ظاهر نص الآية يبين أن التمكين يكون منحة من الله للفئة المؤمنة على صبرها وجهادها وبذلها في سبيل رفعة الدين، وعندما تصل هذه الفئة المؤمنة إلى التمكين بالحكم يجب عليها أن تراعيَ الأمور الأربعة التي ذكرت في الآية إقامة الصلاة والتي فيها حق الله، إيتاء الزكاة التي فيها حق المسلمين، والأمر بالمعروف والتي فيها توجيه الناس إلى الخير، والنهي عن المنكر والتي فيها صرف الناس عن الشر، وبعد الأخذ بالأسباب لكل ما سبق يبقى الأمر أولاً وأخيراً في تثبيت الأمة الصالحة وإزاحة الثلة الفاسدة كما جاء في الفاصلة. بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.(1)

4- قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79/78]

هذه الآيات جواب لسؤال يقول ما هو سبب الذي استحقت به بنو إسرائيل اللعنة؟ جاءت هذه الآية لتبين السبب، وقد ذكرت الآية إن داوود وعيسى بن مريم -عليهما السلام- اللذان أرسلا لبني إسرائيل واللذان كانا أحرص على هداية بني إسرائيل، جاءت اللعنة على لسانهم بسبب ما رأوه من بغي اليهود على معصية الله ونسبهم الكذب على الله عندما قالوا: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾. [آل عمران: 181]

قد استحق اليهود اللعنة لأمرين:

الأول: استمراء المعصية حتى لم تتمعر وجوههم غضبا لله.

الثاني: أن علماء بني إسرائيل كانوا ينصحونهم ولكنهم يستمرون في المعصية ولم يمتنع علماؤهم أن يجالسوهم باليوم التالي ويأكلون ويشربون سوياً وكأن شيئاً لم يكن.

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (ج3/ ص227)، صفوة التفاسير (ج2/ص268).

ومن هنا نستنبط أمراً مهماً وهو يجب عزل وفصل البغاة في المجتمع عقاباً لهم على تماديهم في الغي، وجاء التأكيد من رب العزة على سوء فعلتهم بألسنتهم؛ لتبين شناعة فعلتهم وهي قال تعالى في فاصلة هذه الآية: ﴿ **بِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾(1).

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الرسالة التي جاءت بها الرسل إلى أقوامهم وهو عمل شريف ونبيل لا يناله إلا أصحاب العزائم من الصالحين.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى زاد العلم وصبر المتقين؛ لأن الداعية يلقى في طريق الدعوة مصاعب وعثرات فلا بد أن يصبر عليها لكي يستطيع أن يستمر ويوصل رسالته إلى أمته والدعاة في ذلك يتفاوتون كل حسب طاقته ولا بد للداعية أن يكون قدوة للامتثال لما يقول، والداعية في طريقه في الدعوة إلى الله يجد المشجعين ونظار السوء فلا بد أن يشحذ الهمة ويخلص النية لكي يقبل عمله عند الله.

المطلب التاسع: الألفة والتراحم والتكافل بين أفراد المجتمع.

إن هذه الأخلاق- الألفة – التراحم- والتكافل – والأخوة – عبارة عن المادة القوية اللاصقة التي تربط بين أفراد المجتمع المسلم، فإن نُزعت فإن المجتمع يكون مفككاً، ولذلك عني الإسلام بهذه الأخلاق حتى يبقى المجتمع المسلم قوياً متماسكاً متراحماً متواداً صامداً في وجه أعداء الإسلام الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، وقد ذكر القرآن آياتٍ كثيرة تبيّن هذه الأخلاق منها:-

1- قال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم 38]

إن الإسلام يحث أبناءه على التراحم فيما بينهم ومن هذا التراحم تعهد الآخرين بما عنده من فضل وزاد ومن كل أنواع المال.

وقد خص القرابة بالذكر؛ لأن فيها رحمة وصلة، وكذلك المساكين الذين يغفل عنهم كثير من الناس، والمسكين هو الذي لديه مال لا يكفيه ويظن بعض الناس أنه غني، وهذه الآية ليست في حق الزكاة وإنما حق الإنفاق في الندب، والله ﷻ يدل المسلمين على الطريق التي تبلغهم رضوانه والذين يبتغون الفلاح بالدنيا والآخرة.(2)

---

(1) انظـر: في ظلال القرآن (ج2/ ص 947- 948)، الأسـاس فـي التفـسير (ج3/ ص1462)، التحريـر والتنوير (ج3/ ص292).

(2) انظر:جامع البيان للطبري(ج9/ص91)، فتـح القدير (ج4 / ص272)، صـفوة التفاسـير (ج2/ ص 440-441)، في ظلال القرآن (ج5 – ص 2772).

2- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 215]

قيل إن هذه الآية منسوخة لأنها نزلت قبل فرض الزكاة لكنه يبقى العمل بها للندب، وهذه الآية من أوائل الآيات التي نزلت في المدينة، وقد جاءت من أجل ترسيخ مفهوم الترابط الاجتماعي في المجتمع المسلم الذي يكون جديداً وبحاجة إلى ما يشدْ به عضده، وقد ذّكرت الآية شرائح من المجتمع هم بحاجة إلى رعاية واهتمام من الآخرين، وقد بدأت الآية بالإنفاق على الأولى فالأولى بالترتيب حسب حاجتهم وقربهم من المنفق وإن هذه الخصلة كفيلة بأن تغرس المودة والرحمة والمحبة بين أفراد المجتمع الواحد.[1]

3- قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان 8]

هذه الآية تؤكد على تفقد المساكين واليتامى من الطعام الذي يحبه صاحبه ويحتاج إليه، فقد أضافت هذه الآية صنفاً جديداً من المحتاجين للرحمة في الإسلام وهم الأسرى في الإسلام لا يكون إلا من المشركين؛ لأنه لا يجوز للمسلم أن يأسر أخاه المسلم، فقد يتطرق الشك أن هذا الكافر لا يستحق بذل الطعام ويترك ليموت جوعاً ولكن الإسلام، يحث على الإحسان إلى الأسرى المشركين لعلها تكون وسيلة دعوة وهداية وسبباً في دخولهم الإسلام، وقد سبق الإسلام كل المؤسسات الدولية التي نصت على الإحسان إلى أسرى الحرب، ولو طبقنا الشريعة الإسلامية على كل جوانب الحياة لم نحتج إلى نصوص دولية مثل: معاهدة جنيف[2] الدولية في حالة الحرب. [3]

4- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]

هذه الآية تقرر قاعدة من قواعد العقيدة وهي أن صلة الدين أقوى من صلة النسب، وبدأت هذه الآية بأداء الحصر (إنما) لأن رابطة الإيمان هي رابطة الإخوة الحقيقية، وأن ما دونها لا يرتقي لأن يكون رابطاً اجتماعياً قوياً يقف أمام الصعاب، فقد يقتتل إخوة النسب أو إخوة الوطن

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن – (ج2 / ص36 – 37)، (ج1 / ص 189) تفسير كلام المنان (ج1 / ص263 – 264)، تفسير السمرقندي – (ج2 / ص 200– 201).

(2) معاهدة دولية سنة 1949، لحماية المدنيين في حالة الحروب.

(3) انظر: الدر المنثور (ج6/ ص332)،المحرر الوجيز (ج5 /ص400–411)،الأساس في التفسير (ج11/ ص6290).

وتبقى رابطة العقيدة الإيمانية هي التي تصلح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: 47]

لذا يجب أن تكون رابطة العقيدة هي السائدة في المجتمع المسلم، وإذا سادت الرابطة القبلية تشتت المسلمون وتجزءوا إلى فرق متناحرة يتحزب كل إلى قبيلته، وهذا لا يعني ألا يكون بين أفراد المجتمع المسلم اختلاف ومشاحنة، ولكن جعل ذلك ليردوا إلى الأصل وهو الإخوة ويصلحوا فيما بينهم حتى تذهب الشحناء وتعود المحبة [1].

إن المحبة والمودة والإخوة واجبة في المجتمع المسلم، ولا يمكن أن يسمى المجتمع المسلم مجتمعاً مسلماً بدون هذه الصفات، ووجود الخلاف في الرأي لا يعكر صفو الأخوة طالما أن كلاً من الطرفين يريد مصلحة الإسلام والمسلمين، ولكل رأيه واجتهاده، والمحبة والمودة قد لا تتحقق ببذل المال الذي قد لا يوجد عند البعض بل بالابتسامة والكلمة الطيبة في وجه أخيك المسلم امتثالا بقوله ﷺ **(قال رسول الله ﷺ: تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة)**[2]

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ). [3]

المطلب العاشر: الإيمان بالبعث والزهد في الحياة الدنيا.

لقد ركزت العقيدة الإسلامية على الإيمان باليوم الآخر وجاء القرآن بآيات كثيرة ليقرر هذا المبدأ عند المسلمين؛ لأن الإيمان باليوم الآخر من شأنه أن يضع الإنسان أمام محاسبة النفس في الدنيا قبل أن يحاسب في الآخرة لأن من فقد الإيمان باليوم الآخر استوى عنده الخير والشر ولم يعد للخبر عنده فائدة واختلت موازين الحياة وفقد الهدف الذي وجد من أجله على هذه الأرض وخسر

---

(1) انظر: فتح القدير (ج5 / ص 77)، في ظلال القرآن (ج6 / ص 3343- 3344)، التحرير والتنوير (ج2 / ص 294- 295).

(2) سنن الترمذي: (404/3) كتاب البر والصلة- باب في صنائع المعروف- حديث رقم 1956 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 816/1 حديث رقم 454.

(3) صحيح مسلم (ج1/ص74) كتاب الإيمان باب أن الدين النصيحة حديث رقم 95.

الدنيا والآخرة، ومن أجل أن يقوِّمَ الإسلام النفس المسلمة ويربطها بالله واليوم الآخر جاءت الآيات تذكر المسلمين في أغلب سور القرآن ومن هذه الآيات: -

1- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[البقرة 4-5]

لقد عني القرآن الكريم بالإيمان بالله واليوم الآخر، والإنفاق في سبيل الله ولذلك جاءت هذه الآية في صدر سورة البقرة التي هي أول سورة في القرآن بعد سورة الفاتحة وهذه الصدارة تبين أهمية الموضوع، فالإيمان باليوم الآخر لهو أحد أركان الإيمان الستة.

الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر والقدر خيره وشره من عند الله وكل هذه الأمور مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً تلازمياً، والذي يؤمن بما عند الله يزهد في هذه الدنيا؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيعيش مطمئناً في حياته راضياً بنصيبه منها غير نادم على ما فاته، مُسلِّماً أمره لله متوكلاً عليه، وبذلك يكون المسلم قد يبلغ رضا الله بالدنيا والآخرة وهذا هو الفلاح الحقيقي(1).

2- قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[آل عمران 14]

في هذه الآية يبين الله ﷻ أنواع متاع الدنيا وقد ذكرها مرتبة كما هي محببة لقلب الإنسان ثم جاءت فاصلة هذه الآية لتذكر أن هذا المتاع لايقاس بما عند الله قال تعالى ﴿ **وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران: 15])

فأخبر تعالى المتقين نعيماً يغنيهم عن نعيم الدنيا ويصرفهم إلى ما هو أفضل، وهذا هو الزهد الحقيقي فأستبدل نساء الدنيا بنساء الآخرة. حرث الدنيا بجنة الآخرة ومال الدنيا برضوان الله وجاءت الفاصلة في الآية الثانية ﴿**وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ مناسبة لموضوع الآية.

(1) انظر: المحرر الوجيز (ج1/ ص85- 86)، الأساس في التفسير (ج 1 –ص 68- 69)، تفسير كلام المنان (ج2 / ص 41- 42)،

إن الله ﷻ الذي خلق الإنسان يعرف ما هو محبب لنفسه ونقاط ضعفه وأراد أن يوجهه ويصلح له أمره(1).

3- قال تعالى: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: 36]

يبين الله ﷻ في هذه الآية للمؤمنين الذين يؤمنون بالآخرة أن ما أتاهم الله من نعيم في هذه الدنيا لا يقاس فيما عند الله من نعيم في الآخرة، أي أن المؤمن يجب أن لا يتمسك بمتاع الدنيا الزائل، ويجب أن يعمل من أجل نعيم الآخرة ولكن الشيطان لن يترك المسلم يسير في طريق الإيمان دون أن يشوش عليه أو يحرفه عن طريق الحق، أو يلبس عليه الأمور فيختلط عنده الفاضل بالمفضول، والباقي على الشيطان وأعوانه في تزيين الدنيا بأعين الناس ونسيانهم للآخرة، ولكن الذين يتوكلون على الله ويوقنون بما عنده يعملون من أجل الآخرة ورضوان الله(2).

4- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: 38]

هذه الآية جاءت بعتاب رب العالمين للمؤمنين بأسلوب استفهام إنكاري توبيخي للذين استبدلوا نعيم الدنيا بالآخرة وهذا قياس خاطئ أن يقدم الفاني على الباقي والقليل على الكثير، ومن مفهوم هذه الآية فإن متاع الآخرة لا يعادله شيء؛ ولذا يجب أن لا يقدم عليه شيء وهذا الكلام ينتفع به أصحاب العقول السليمة الذين آثروا الحياة الآخرة على الدنيا، ولم يتمسكوا بمتاع الدنيا ولم يغررهم الشيطان الذي يزين الدنيا ويؤمل فيها ويُنسي الإنسانَ الآخرةَ، والآية ابتدأت بالخطاب والعتاب للمؤمنين أما المنافقون الذين لا يؤمنون بما عند الله ولا يؤمنون بالآخرة فإنهم يقدمون الدنيا لأنهم فقدوا الإيمان بما عند الله في الآخرة. (3)

إن الله ﷻ خلق هذه الدنيا للاختبار والابتلاء وجعل فيها من النعيم الكثير، وهذا المتاع جاء للإنسان من أجل أن يصلح به دنياه، وكذلك عندما يتذوق هذا النعيم المؤقت أن يسعى ويجتهد ليكون

---

(1) انظر: الخازن (ج1/ ص230- 231)، مختصر تفسير ابن كثير (ج 1/ ص268- 269) في ظلال القرآن (ج1/ ص373- 374).

(2) انظر: التحرير والتنوير(ج10/ ص109)،فتح القدير (ج4/ ص 641)، صفوة التفاسير(ج3/ ص132- 133)، تفسير السمرقندي (ج3 / ص198).

(3) انظر: في ظلال القرآن (ج3 / ص 1654)، المحرر الوجيز (ج3/ ص 34)، تفسير كلام المنان (ج3/ ص232).

له حافزاً للوصول إلى نعيم الآخرة الباقي وإن كان هناك تشابهٌ في أسماء النعيم الدنيوي والأخروي، فإن هذا التشابه لفظٌ مشترك ولكن ليس هناك قياس بين نعيم الدنيا وحقيقة نعيم الآخرة، وإذا مّن الله على إنسان بنعيم في الدنيا فيجب أن يسخره لإصلاح حياته وتعمير آخرته دون أن يطغى أحدهما على الآخر كما قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 77]

المطلب الحادي عشر: تطبيق مبدأ الشورى.

إن تطبيق الشورى هو من العدالة الاجتماعية، وإن مبدأ الشورى يحقق الشراكة في التفكير ويصوب الآراء، ويمنع من الوقوع في الخطأ، ومن شاور الناس قد شاركهم في عقولهم، ومن يشاور الناس يشركهم في اتخاذ القرار وفي تحمل المسؤولية والتواصل بالحق ومن هذه الآيات.

1- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159]

إن هذه الآية تجمع بين خِصلتين هامتين لقائد المسلمين ولأتباعه من بعده، وإن هاتين الخصلتين متلازمتان لا تفترقان، وإن النفور عنهما يباعد القلوب والعقول ولا يدع مكاناً للنصيحة، وفي هذه الآية أمر الرسول بمشاورة أصحابه، والأمر للوجوب ما لم يأتِ صارف، وفي هذه والآية لا يوجد صارف، وكان رسول الله ﷺ أكثر الناس مشورة لأصحابه حتى تكون سنة له من بعده وكان الخلفاء من بعده يشاورون، يشاور الصحابة في كل أمور الإسلام حتى أمورهم الخاصة، والقائد عندما يشاور أصحابه يتعرف على نضوج عقولهم فيقرب إليه أكثرهم حكمة وأنفعهم للإسلام، ومن خلال مشاورة القائد لأصحابه يتعرف على الميل الشخصي للأفراد ويتعرف على إبداعهم ويستعين بهم في تخصصاتهم، وعلى الإنسان الذي يستشار ويكتم النصيحة آثم؛ لأن فيها فوات خيرٍ للمسلمين وبذلك يلحقه الإثم إن رفض النصيحة. [1]

(1) انظر: الخازن (ج1/ ص 311-312)، صفوة التفاسير (ج1/ ص 219)، فتح القدير (ج1/ ص 529-530)، الأساس في التفسير (ج2/ ص 916-920)،

2- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: 38]

هذه الآية جاءت لتظهر بعض صفات المؤمنين وبدأت بأمر عام ثم عطفت عليه أمراً خاصاً وجاء أمر الشورى بين فريضتين الصلاة والزكاة ليدلل على أهمية ووجوب أمر الشورى وكما أن الصلاة واجبة في حق الله فإن أمر الشورى واجب بين أفراد المجتمع المسلم وهناك لفتة إشارية طيبة تربط الشورى بالإنفاق في سبيل الله وهي أن الأرزاق فضل من الله يتفاوت فيه العباد ومن أوتي مالاً وجب عليه الإنفاق على الآخرين والعقل والحكمة رزق من الله يتفضل به على الآخرين فمن كان عنده عقل وحكمة وجب عليه أن ينصح المسلمين بما أكرمه الله به عند مشورته، ولا يبخل عليهم، وأمر الشورى غير محصور على الرجال فقد رأينا أم سلمه يوم صلح الحديبية التي أنقذت أمة من الهلاك عندما أشارت على رسول الله ﷺ بأن يقصّر وينحر.[1]

3- قال تعالى:﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:32]

هذه الآية تبين قيمة مبدأ الشورى عند الأمم إجمالا ولولا مبدأ الشورى عند ملكة سبأ لما استطاعت أن تنهض بأمتها إلى مكانتها القوية رغم كفرهم، حيث كانوا يعبدون الشمس إذ إنهم رغم كفرهم أخذوا بمبدأ الشورى، ومُكن لهم بالأرض فإن الشورى عند المسلمين تكون أكثر فائدة وأجلب منفعة وأدفع للضرر إذا ما وجدت، ونستنبط من هذه الآية أن المسئول عند مشاورته لأعوانه يجب أن يؤخر رأيه حتى يسمع من الآخرين ولا يشوش عليهم برأيه، ابتداءً، وله أن يخالف أعوانه إذا رأى في رأيه صوابا ونستنبط أن الحكمة والعقل تغلب على القوة إذ إن الملأ قد يأخذهم الغرور بالقوة بينما رجح، أن العقل والحكمة عند ملكة سبأ بأن ليس كل شئ يؤخذ بالقوة. [2]

---

(1) انظر: مختصر تفسير ابن كثير (ج3 –ص 28)، في ظلال القرآن (ج5/ ص3165-3166)، تفسير كلام المنان (ج 6 / ص 321-322)، تفسير السمرقندي (ج3 / ص 198)، الرحيق المختوم (ص352).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (ج7/ ص 176/175)، التحرير والتنوير (ج8/ ص 264/263)، المحرر الوجيز (ج8 / ص258)، تفسير ابن كثير (ج3/ ص 363).

إن مبدأ الشورى يقرر مبدأ العدالة الاجتماعية إذ لا فرق بين قائدٍ ورعيةٍ ذكراً وأنثى، ولا قوي ولا ضعيف، إذ إن الجميع مطالب بإبداء رأيه إذا استشير أو رأى نصيحة في مكانها وقد رأينا رأي الخباب بن المنذر في غزوة بدر[1] ومشورة سلمان الفارسي في غزوة الخندق[2] مما كان له الأثر الكبير في نصر المسلمين والحفاظ عليهم من الاستئصال. وإن مبدأ الشورى يؤكد مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

---

(1) تهذيب سيرة ابن هشام/ ص 143.

(2) رجال حول الرسول/ ص 45.

المبحث الثاني

معوقات الفلاح في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على عشر مطالب:

المطلب الأول: انتشار مظاهر الكفر والشرك في المجتمع.

المطلب الثاني: انتشار البدع والمنكرات والسحر والشعوذة.

المطلب الثالث: التعلق بالدنيا والانغماس في الشهوات.

المطلب الرابع: فقدان الإيثار والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

المطلب الخامس: انتشار الظلم والجور في المجتمع

المطلب السادس: التفرق والتنازع واختلاف القلوب.

المطلب السابع: انتشار الربا والاحتكار في المجتمع.

المطلب الثامن: الصد عن دين الله ومحاربته.

المطلب التاسع: التضييق على العلماء والدعاة إلى الله.

المبحث الثاني

معوقات الفلاح في المجتمع الإسلامي

إن الشيطان لن يترك المسلمين يقيمون مجتمعاً مسلماً؛ لأن الشيطان أحمق المخلوقات، ولن يخلد في جهنم لوحده بل يريد من يشاركه وحدته هناك، فهو يعمل جاهداً لغواية أكبر قدر ممكن من الجن والإنس حتى يشاركوه فرحته في ميراث جهنم، وقال تعــالىَ: ﴿ لَّعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً* ﴾ [النساء:118-119]، والشيطان يزين للإنسان بعض المسميات ويُجَمِّلها في نظره حتى يزين لهم الباطل فيسمي الخمر مشروبات روحية ودور الهوى أماكن ترفيهية، والعقاب الرباني من الأعاصير والطوفان والحرائق والزلازل الكوارث الطبيعية حتى لا يعتبر الناس من هذه المصائب، ويزين الشيطان للناس السحر على أنه فن والشعوذة هي باب خير لمنفعة الناس حتى يحرفهم عن الإيمان الصحيح والتوكل على الله ويزين لهم الحصول على المال بأسهل الطرق من خلال الربا وتجارة المحرمات، وللشيطان أعوان من الجن والإنس يسخرهم لتحقيق أهدافه حتى إذا ما سقطوا في وحل الكفر تبرأ منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22]

ووجود الشيطان هو ابتلاء من الله ولكن المؤمن يحول هذه المحنة إلى منحة، حيث إنه يبذل ويضحي ويجتهد في العطاء وكل شيء يفعله في ميزان حسناته، وفي هذا المبحث عشرة مطالب:-

المطلب الأول: انتشار مظاهر الكفر والشرك في المجتمع

يوجد في كل مجتمع أهل خير وأهل شر، والصراع بين الخير والشر منذ أن وجد الإنسان على الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والصراع بين الإيمان والكفر يكون لمن يأخذ بالأسباب الصحيحة وهذا من أجل أن يختبر الله المؤمنين في الدفاع عن الدين ورفع راية الإيمان، ولكن إذا تقاعس المؤمنون في الدفاع عن الدين فإن أهل الباطل تكون لهم الكرة بقوله تعالى ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: 251].

وهناك آيات كثيرة تبين انتشار مظاهر الكفر والشرك في غياب المجتمع الإسلامي منها:

1- قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. [القصص **78-82**].

إن رضا الله على العبد لن يكون بفقره أو غناه، بل بطاعته ومعصيته، ويخبر تعالى في هذه الآية أن قارون لم يتلفظ بلفظ الكفر الصريح ولكنه قال أقوالاً تعني عدم التوكل على الله والاستعانة بالله، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78] فقد استحق غضب الله بذلك وجاءت الفاصلة ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ تأكيدا على هذا المعنى وأن قارون قد ظلم نفسه بكفره لنعم الله فكانت الفاصلة مناسبة للمعنى الإجمالي للآية. (1)

(1) أنظر: ظلال القرآن (ج5 / ص2714)، فتح القدير (ج4 / ص 224)، كلام المنان (ج6/ ص 70).

2- قال تعالى:- ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: 117]

إن هذه الآية حجة منطقية على الكافرين الذين يدعون آلهة بدون برهان، والله ﷻ يتحدى هؤلاء بأن يأتوا بدليل منطقي عقلي على صحة إدعائهم، والله يعلم أنهم لا يستطيعون، ولكن الدعوة من وجه آخر هي تحقير لعقول الكافرين العاجزين على الإتيان بالدليل، فإنهم سينالون العقاب على كفرهم إن لم يكن بالدنيا فسيكون في الآخرة، واقعاً بهم لا محالة وجاءت الفاصلة تؤكد على هذا المعنى، حيث بدأت الآيات بفلاح المؤمنين وانتهت بخسران الكافرين [1].

3- قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]

إن الظلم في هذه الآية هو الكفر والشرك، والله ﷻ قد ملأ هذا الكون بالآيات الدالة على عظمته وقدرته ولا ينكرها إلا جاحدٌ أو جاهلٌ، وقد أرسل الله الرسل معهم المعجزات الدالة على صدقهم والكتب المعجزة كالقرآن في نظمه وبيانه فمن أنكر وكفر فقد استحق سخط الله وغضبه في الدنيا والآخرة وقد جاءت الفاصلة ﴿ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ لتبين أن عدم الإيمان هو ظلم للنفس الذي استحق به صاحبه غضب الله [2].

إن الذين يشركون بالله لا يؤمنون بالآخرة ولا بالثواب والجزاء فلذلك يستوي عندهم الخير والشر، ونجد أن المجتمع الذي يظهر فيه الشرك مجتمعٌ مفككٌ يسوده قانون الغاب ولا عدل فيه ولا رحمة، ولذلك كان الشرك من أكبر الكبائر بل من أولها، قال النبي ﷺ **قال: (اجتنبوا السبع الموبقات - يعني المهلكات - قلنا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).** [3]

---

(1) أنظر: تفسير السمرقندي(ج2/ ص423)، التحرير والتنوير (ج8/ ص 163)، المحرر الوجيز (ج4/ ص159).

(2) أنظر:الأساس في التفسير (ج3/ ص1607).

(3) صحيح مسلم، (ج1/ ص92) كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم 89 .

المطلب الثاني: انتشار البدع والمنكرات والسحر والشعوذة.

إن السحر يأتي بعد الشرك في الموبقات في خطورته فهو يقلب الحقائق ويوهم العوام بالأمور الخوارق على أنها قدرة خارقة لا يمتلكها إلا مدعِ الإلوهية وتكون سبباً في انحراف الناس عن الحق وإثبات أفكار الباطل، وقد تكون سبباً في تحريف الحقائق وإلصاقها إلى الأبرياء، والشعوذة من الأمور الباطلة والتي تظهر الإدعاء الباطل بعلم الغيب الذي هو من خصوصيات الله ﷻ، وإهدار لمال الناس وأخذه من غير حق حيث أن السحرة والمشعوذين يطلبون أموالاً طائلة مقابل تلبية رغبات الناس ومن هذه الآيات التي تبين هذا المعنى:-

1- قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: 69]

إن السحر مهما كان كبيراً فهو كذب وتخيل لأعين المشاهدين وأن هذا السحر الذي يظن البعض على أنه أمر كبير لا شيء بجانب معجزات الأنبياء التي أعطاهم إياها رب العزة والجلالة ولذلك جاءت الفاصلة لتؤكد على هذا المعنى أن أفعال السحرة والمشعوذين تظهر حقيقتها عندما تقارن بمعجزات الأنبياء الربانية(1).

2- قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: 77]

في هذه الآية سؤال استفهامي إنكاري من موسى عليه السلام إلى السحرة ليبين لهم الفرق بين السحر وحقيقة المعجزة، وأن السحرة الذين يمارسون السحر يعلمون حقيقة أفعالهم أكثر من غيرهم، أنها لا تقوى أمام معجزة الأنبياء وهذا السؤال الاستفهامي الإنكاري كان سبباً في أن يُعملَ السحرةُ عقولَهم ويدركوا الحقيقة على أن السحر لا يقف أمام حقيقة المعجزة. (2)

3- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: 80-81]

إن هذه الآية تبين أن السحر مهما كان كبيراً لا يقف أمام كلام الله، وأن كلام الله القرآن هو الصارم البتار للسحر والسحرة، وإن الله ﷻ من كرمه على عباده أنه جعل من القرآن علاج السحر

(1) انظر: في ظلال القرآن (ج3/ ص2342)، تفسير الخازن (ج3 / ص208)، فتح القدير (ج3/ ص470.)
(2) أنظر: المحرر الوجيز (ج3/ ص134)، السمرقندي ج2/ ص106)، التحرير والتنوير (ج5/ ص250).

وقد جاءت الفاصلة في هذه الآية ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ تؤكد على أن السحر إفساد في الأرض[1].

4- قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة: 102]**

إن بني إسرائيل ادّعت أن سليمان كان يمارس السحر، فجاءت الآية تبرأ سليمان من ذلك لتقول إن سليمان عليه السلام نبياً والنبي لا يكفر؛ لأن السحر كفر بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، والسحرة عندما يريدون أن يعلموا أحداً السحر يطلبوا منه أن يفعل أفعال الكفر وأن يتلفظ بالكفر حتى تأمن الشياطين جانبه، لقوله تعالى ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾، وهذا دليل واضح على أن السحر كفر وفساد وانتشاره في المجتمع هو انتشار الكفر.[2]

إن السحر والشعوذة يتنافى مع الإيمان وحقيقة التوكل على الله، لأن الذي يذهب إلى الساحر والمشعوذ ويطلب منه أمراً ما فقد أشرك بالله، لأن الساحر أو المشعوذ لا يملك لنفسه نفعاً أو ضراً وأن التوكل على الله يعني التوجه إليه بالمسألة لا لغيره لأنه هو النافع والضار والمعطي ولم يشرك أحداً في أمره فهو الذي يعطي السعادة أو يمسكها.

المطلب الثالث: التعلق بالدنيا والانغماس في الشهوات.

إن الشيطان يزين الدنيا للإنسان ولعله لا يكتفي أن يأمر الإنسان بأكل وشرب المحرمات بل يجعله يكثر من المباحات، بحجة أنها مباحة وتكون على حساب العبادات، فالأصل في الأمور

---

(1) أنظر: صفوة التفاسير (ج1/ ص553)، الأساس في التفسير (ج5/ ص2497.)

(2) انظر:في ظلال القرآن (ج1/ ص93-94)، تفسير ابن كثير (ج1/ ص 135-137)، فتح القدير (ج1/ ص463-464.)

التوسط بين متاع الدنيا وأجر الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77] ولا يجتمع في قلب أمريء مسلم حب الدنيا وحب الآخرة، فإن كان حب الدنيا على حساب حب الآخرة فبئس الحب الذي يضر، وإن كان حب الآخرة على حساب حب الدنيا فنعم العمل، والأصل فيه التوسط دون إفراط أو تفريط، والإسلام هو دين الوسطية في العبادات، والشيطان يزين للإنسان الدنيا؛ لكي يحرفه عن الآخرة ليطيل به الأمل وينسى الموت ويخوفه من الجهاد في سبيل الله بحجة الموت وترك الأولاد من بعده بلا معيل، وعدم الإنفاق في سبيل الله بحجة أن أولاده بحاجة لهذا المال أو يهون عليه عذاب الآخرة، ومن هذه الآيات التي تدل على هذا المعنى:-

1- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾ [البقرة: 200]

في هذه الآيات من القرآن الكريم صنفان من الناس، الصنف الأول الذي يبحث عن الدنيا ولا يكترث بالآخرة فهؤلاء هم الكافرون الذين لا يرجون ما عند الله، بل لعلهم لا يؤمنون بالآخرة وما أعد الله بها من خير للمؤمنين، والصنف الثاني هم المؤمنون الذين يرجون خير الدنيا والآخرة، وخير الآخرة لا ينال بالتمني والدعاء بل بالعمل والاجتهاد، لقوله ﷺ: (**حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**)[1] ويجب أن يعلم الإنسان المسلم أن الدنيا لم تدم لأحد من الملوك والقياصرة، ولو دامت لهم لما وصلت إلينا.[2]

2- قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: 212]

إن الشيطان يزين للناس الدنيا فالكافر يقع في حبائل الشيطان ويجعل من الدنيا هدفه الوحيد، ويُسخِّر كل جهده من أجلها ويغرر بهم الشيطان بأنهم هم الفئة المرضي عنها عند الله ولو لم يكن قد رضي الله عنهم لما أعطاهم نعيم الدنيا، بينما المؤمنون فقراء وأشقياء في هذا الكون فيجيب الله ﷻ أن الله ينصر أهل الإيمان بالعلو والتمكين إن لم يكن في الدنيا فبالآخرة على وجه التحقيق لا

(1) صحيح مسلم (ج4/ ص2174) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث 2822.

(2) أنظر: فتح القدير (ج1/ ص 286)، تفسير الخازن (ج1/ ص133-134). في ظلال القرآن (ج1/ ص201).

محالة، وخلاصة القول: إن الكافر يكون هدفه الدنيا فقط، وأما المؤمن فيكون هدفه نيل رضا الله في الدنيا والآخرة. (1)

3- قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: 130].

في هذه الآية حجة من الله على الإنس والجن بأن أرسل الرسل إليهم ليهد يهم إلى الصراط المستقيم، ولكنهم أبوا أن يتبعوا دعوة الحق فانحرفوا إلى ملذات الدنيا وتركوا دعوة الحق لأن دعوة الحق ثمنها غالٍ، فهي تلزم الإنسان بالتخلي عن شهوات النفس وملذات الدنيا والتحلي بنور الإيمان الذي أنعم الله بها على الإنسان من إرسال الرسل وكتب الهداية وبيان طريق الحق تستحوذ عليهم بالدنيا ويبوءوا بغضب الله ونار جهنم فلذلك جاءت الملائكة لتقررهم بذنبهم واستحقاقهم للمصير الذي آلو إليه. (2)

هكذا هي الدنيا فتنة ومصيدة وقع فيها الكثير ولم ينجُ منها إلا القليل فإذا أقبلت عليها أدبرت عنك، وإذا أدبرت عنها أقبلت عليك، ويقول ﷺ: **(إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب).** (3)

المطلب الرابع: انتشار الظلم والجور في المجتمع

إن الظلم يزيل المحبة بين أفراد المجتمع ويزرع البغضاء والتنافر ولو نظرنا إلى عوامل مبطلات الفلاح سنجدها مرتبطة بعضها ببعض، فالظلم كما قلنا ينزع المحبة وهذا الأمر يفكك المجتمع والظلم عاقبته وخيمة فهو يزيل عروش الطغاة، وما نراه اليوم من ثورات في البلاد الإسلامية مثل (تونس، مصر، ليبيا، اليمن، والبحرين، والعراق، والأردن، وسوريا) إنما هذا نتيجة للشعور بالظلم، والظلم يولد العداء وعدم الثقة بين الراعي والرعية وبذلك يعجل بانهيار النظام الحاكم، ولو كان إسلامياً فالعدل هو ميزان البقاء والظلم هو كف الفناء، وهناك ظلم للنفس وهو أن يأكل الإنسان من رزق الله ويعبد غيره وأن يستخدم نعمة العقل التي وهبه الله بها في غير مكانها يعني مثل أن يشغل عقله في

---

(1) أنظر: (تفسير كلام المنان (ج1/ ص262-263)، الأساس في التفسير (ج1/ ص 494)، المحرر الوجيز (ج1/ ص284).

(2) انظر: الجامع لإحكام القرآن (ج1/ ص79)، التحرير والتنوير (ج4 / ص31). صفوة التفاسير(ج1/ ص389).

(3) مسند أحمد (ج6/ ص 189) حديث (3672)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ج6/ ص482) حديث (2714).

أفكار وضعية كافرة كما قال ﷺ: لأصحابه (**استحيوا من الله عز وجل حق الحياء "، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي، والحمد لله، قال: " ليس ذلك، ولكن من استحيى من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء)**(1) وهناك ظلم للآخرين والتعدي على حقوقهم وأموالهم وأعراضهم وهذا النوع من الظلم هو من أشد أنواع الظلم، لأنه يوم القيامة إذا كان الظلم في حق الله فيبقى الأمر لله إما أن يعفوا وإما أن يعذب، وإما حقوق العباد ترد أليهم، فأن لم تكن هناك حسنات تأخذ منه، يأخذ من سيئاتهم ويطرح عليه ثم يطرح في النار التي والآيات في هذا المعنى كثيرة نقتصر بها ما يلي:-

1- قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [القصص: 37]

إن هذه الآية تقرر أن السنة الربانية باقية إلى يوم الدين، وهي أن الظلم يأخذ بأهله إلى الفناء والظلم أنواع ظلم النفس بالشرك والصد عن سبيل الله، وظلم الآخرين في سلب حقوقهم وانتهاك حريتهم، ولربما يمتلك صولة وجولة وقوة يتفرد بها الكافرون والمنافقون بينما يكون المؤمنون على ثقة بسنة الله في إهلاك الظالمين، وأنه في النهاية سيكون الهلاك على الظالمين والفوز والنصر للمؤمنين الصابرين ولو بعد حين. (2).

2- قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]

إن من أسباب الظلم انحراف النفس عن الحق واتباعها هواها وهوى النفس لا يصيب ويجر صاحبه إلى ظلم الآخرين - إلا ما رحم ربي- لأن النفس تميل إلى الراحة والدعة، وتبتعد عن الشدة والعزيمة ولا تحب التقيد وإلزامها بمنهج الحق، فهي تحب أن تبقى حرة طليقة تفعل ما تريد وتأكل ما تريد وتأخذ ما تريد ولا تعطي شيئاً، فقد رأينا كيف أن الغرب أعطى النفس الحرية بلا قيود، ففيه ظلم وافتراء وتجبر وتعدّي على حقوق العباد وقد أنكروا وجود الله لكي يتهربوا من العقاب الأخروي الذي يقيد هواهم وعدم الاستجابة لدعوات الرسل هو من باب عدم التقيد بشرع

(1) مسند أحمد (ج6/ص187) حديث (3671). وحسنه لغيره الألباني (صحيح الترغيب والترهيب 149/2) حديث رقم: 1724.

(2) أنظر: في ظلال القرآن (ج5/ ص2694)، المحرر الوجيز (ج4/ ص 288)، تفسير كلام المنان (ج6/ ص24).

الله، ولكن في النهاية فإن الظالمين سوف يشقون في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخـرة، وأن الـذين استحبوا الظلم لن يجدوا طريق الهدى والحق وسيبقون يتخبطون في ظلمات الجاهلية. (1)

4- قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِّ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُّ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: 109]

هذه الآية هي لوحة بلاغية رائعة في تصور مشهدين متناقضين مشهد الحق ومشهد العدل يقابله الظلم ومشهد الإيمان يقابله الكفر بدأت الآية بسؤال استفهامي إنكاري حتـى تـستقر العقـول للقياس بين الأمرين، اتباع شريعة الهدى بما تحمله من عدل وخير أو اتباع شرائع الكفر والشيطان وما تحمله من شقاء وخسران، والقرآن في كثير من المواضع يخاطب العقـول الـسليمة والتـي لا يهمها إلا ميزان المنطق العقلي السليم وهذه الآية حجة على أصحاب العقول في اتباع العدل وتـرك الظلم. (2)

5- قال تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللهُّ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُّ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: 86]

تبين هذه الآية أن الظلم ليس هو من ظلم الآخرين فقط بل ظلم النفس في عدم اتباع الحـق ونصرته والإيمان به، والعمل به فمن لا يتبع الحق فهو من أهل الباطل والبطلان هو الخسران. (3)

إن الظلم قد يتعدى المجتمع الواحد إلى ما بعده أي أن الظالمين يجنون غـضب الله علـيهم وعلـى ذريتهم من بعدهم وخاصة إذا جاءت الذرية موافقة لأفعال من قبلها ولم تتبرأ منهم مثل قوله تعـالى: **﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[المائدة: 78] وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُّ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170] وقال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَّ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [النساء: 9].**

---

(1) انظر: تفسير السمرقندي (ج2/ ص521)، الأساس في التفسير (ج7/ ص4092)، الجـامع لأحكـام القـرآن (ج7/ ص262).

(2) انظر: تفسير ابن كثير (ج2/ ص171)، فتح القدير (ج2/ ص509)، التحرير والتنوير (ج5/ ص34).

(3) أنظر: الفتوحات الإلهية (ج1/ ص449)، أيسر التفاسير (ج1/ ص271)، الخازن (ج1/ ص266).

6- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82]

إن الإيمان الحقيقي الكامل يكون سبباً في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وهذه السعادة نابعة من الشعور بالرضا، وتذوق حلاوة الإيمان التي تؤثر على سلوك المسلم وتترجم إلى أفعال وأقوال صحيحة وبذلك يكون الإيمان سبب سعادة الإنسان والكفر سبب شقاء الإنسان ففي وقتنا الحاضر نجد كثيراً من الناس ملكوا الأموال الطائلة والقصور الفاخرة والنساء الجميلات ولكنهم لم يعرفوا للسعادة طعماً بسبب بعدهم عن الله وعدم ملامسة قلوبهم للإيمان، والظلم في هذه الآية هو الشرك لقول لقمان لأبنه في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:13] (1)

المطلب الخامس: التفرق والتنازع واختلاف القلوب.

إن من أهم مظاهر المجتمع الإسلامي توافق القلوب، فإن افترقت فهي الحالقة التي تستأصل المجتمع، ولهذا حرص الإسلام على وحدة المجتمع الإسلامي حتى في أصعب الظروف ففي صلاة الخوف يصلي المسلمون صلاتين بإمام واحد، وهذا يدلل على أهمية وحدة كلمة المسلمين حتى في أصعب الظروف، فالمسلمون ربهم واحد ودينهم واحد وقبلتهم واحدة وإمامهم واحد فلا يجوز شرعاً تعدد الأئمة فقال ﷺ **(إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا)**(2)، هذا في الأمور العظيمة، أما في الأمور الصغيرة فقال ﷺ **(إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)**(3)، وهكذا نرى أن وحدة كلمة المسلمين شملت أمور المسلمين من أعلاها إلى أدناها ومن هذه الآيات التي تبين هذا المعنى:-

---

(1) انظر: (تفسير الخازن (ج2/ ص130)، الجامع لأحكام القرآن (ج3/ ص30).

القرطبي: (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط بمصر وتوفي فيها. الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلي (ج3/ص322) ت 671هـ

الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم الشيمي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، ت 741هـ، الأعلام للزركلي (ج3/ ص5)

(2) صحيح مسلم (ج3/ ص 1480) حديث (1853) كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين.

(3) سنن أبي داود (ج3/ ص36) حديث (2608) كتاب الجهاد باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة 314/3 ح1322).

1- قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: 105/103)

هذه الآيات تضع منهجاً للمسلمين في الوحدة وعدم التفرقة وتبين كيف كان المسلمون الأوائل مختلفين فوحدتهم دعوة الإسلام، بعدما كانوا في جاهلية، وترسم هذه الآيات سورة بلاغية رائعة كيف أن أصحاب الجاهلية يكونون على حافة النار يوشكون أن يقعوا فيها فكان حبل الله النجاة هو اتباع منهج الله، وقد أمر الله المسلمين أن يكون منهم جماعةٌ يرفعون راية الحق، ويأمرون بوحدة الكلمة والخير ويحذرون من الفرقة ونتائجها ليصلوا إلى الفلاح الكامل في الدنيا والآخرة، وأن من طبيعة البشر الاختلاف، لذلك يجب أن يكون لهم مرجعٌ يحتكمون إليه، وليس هناك أفضل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد أثبتت الوقائع التاريخية العملية أنها أعدل شريعة وأن غيرها من قوانين البشر الوضعية تتجاذبها المصالح والأهواء، وقد جنحت البشرية إلى الشقاء، وهذه الآيات تحذرنا من الوقوع في الاختلاف الذي وقعت فيه الأمم السابقة بسبب بعدها من منهج الله فلم تترك لنا هذه الآيات أي حجة للبعد عن وحدة الكلمة والصف والاعتبار من السابقين لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق:37] (1)

2- يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: 59]

في هذه الآية يأمر الله المسلمين في حالة الاختلاف فيما بينهم أن يكون الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأولي الأمر منكم، وكثيراً من علماء السلاطين يحملون هذه الآية على غير موضعها، ويأمرون الناس بطاعة الحكام الظالمين الذين يحاربون الإسلام والمسلمين مع أن المراد بقوله (أولي الأمر) هم الأمراء والمسلمون الذين يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه ويجتهدون ضمن

---

(1) انظر: في ظلال القرآن (ج1/ ص443-444)، فتح القدير (ج1/ ص 497-498)، تفسير كلام المنان (ج1/ ص405-406).

ضوابط الشرع والفقه الإسلامي، وقد ينطلي بعض فتاوى علماء السلاطين على عوام الناس ويبقى دور العلماء المخلصين يبينون للناس الحق من الباطل. [1]

3- قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: 46]

هذه الآية ترشد المسلمين إلى أمرهم وهو الحرص على وحدتهم فهو سبب قوتهم، والأمر للوجوب ولم يأت صارفٌ يصرفه؛ لأن الفرقة فيها الضعف وتمكين الأعداء منهم وحينها لم يتركوا أحداً من أي طرف من أطراف الخلاف من الاستئصال، وهذه الآية تدعو المسلمين عند الخلاف أن يصبروا على إيذاء بعضهم بعضاً فهو أهون عليهم من إيذاء الكفار الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر[2].

إن اختلاف علماء المسلمين في تفسير بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ناتج عن تعدد وجوه اللغة في اللفظ المشترك والاختلاف يكون في الفروع الفقهية لا في الأصول ولا في أمور العقيدة، واختلاف علماء الفقه لا يعتبر اختلافاً مفرقاً بل اختلاف رحمة ومنفعة، وهناك من المسلمين من يريد أن يأخذ بالعزيمة فيكون له مكان، ومن يريد أن يأخذ بالرخصة يكون له مكان ولا يجوز لأحد منهما أن يعيب على الآخر، قوله تعالى ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة:286] ويقول تعالى ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الحج:78].

المطلب السادس: انتشار الربا والاحتكار في المجتمع.

إن الربا من الأمراض الخطيرة في المجتمع، وانتشاره يقسم المجتمع إلى قسمين أغنياء يتحكمون في اقتصاد المجتمع، وفقراء يبقون عالة على الأغنياء، ولأن الفقير لا يجد من يفك حاجته فيضطر إلى أخذ الربا، وهذا من شأنه أن يزيد الفقير فقراً ويجعله سلعة بين يدي الغني، وكثير من

(1) انظر: الأساس في التفسير (ج2/ ص1100)، صفوة التفاسير (ج1/ص207)، المحرر الوجيز (ج2/ ص70-71).

(2) أنظر: التحرير والتنوير (ج5/ ص30-31)، تفسير الخازن (ج2/ ص316-317).

الناس لا يستطيعون التمييز بين الربا والتجارة فقال أهل مكة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة:275] ولكن الله ﷻ أجابهم بقوله تعالى ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقـرة:275] فكثير من الناس يختلط عليهم الأمر بين البنوك الإسلامية التي تعمل بفقه البيوع في الإسلام وبـين البنوك التي تصرح بالربا تحت اسم فوائد مالية ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى:-

1- قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:90]

هذه الآية جاء فيها تحريم الخمر الذي حرم على عدة مراحل وهذا يبـين مـنهج الإسـلام بالتدرج في إزالة المنكرات واستبدالها بالأخلاق الإسلامية بالتدرج أيضاً، وهذه الآيـة تبـين بعض أنواع الحرمات في سورة المائدة بعد أن بينت السورة الكثير من المباحـات، فحرمـت الخمر الذي فيه ذهاب للعقل ويذهب العقل يذهب الدين فذهاب العقل يجعل الإنـسان يـتلفظ بألفاظ الكفر،أو أنه يفعل أفعال قبيحة لا تليق بأبناء المجتمع المسلم، والميسر في إضاعة للماء وفي غير وجه شرعي أو أخذ مال الغير بدون وجه شرعي، والأنصاب والأزلام أمـر يفـسد توحيد الألوهية فيخرج المسلم من الإسلام لأنه توكل على غير الله والتجأ لغير الله فمن ابتعـد عن هذه الأشياء فقد أحترز لنفسه ودينه وكان من المفلحين الذي نالوا بالفوز بالدنيا والآخرة.[1]

2- قال تعالى :﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:100]

هذه الآية دعوة من الله لأصحاب العقول السليمة الذين يستطيعون أن يميـزون، وقيـل أن الطيب هو المؤمن والخبيث هو الكافر ولكن المعنى شامل لكل طيب وخبيث وهـذه الآيـة دعـوة لأصحاب الدعوات الطيبة بأن لا يصيبهم الإحباط عندما يروا الخبيـث منـنفش، فـالله ﷻ أراد أن يعطي الجماعة المسلمة دفعة عزيمة لكي يتزودوا بالأمل في العمل حتى يصلوا إلى مرتبة الفـلاح في الدنيا والآخرة.[2]

---

(1) انظر: جامع البيان للطبري(ج2/ص667)، تفسير ابن كثير(ج2/ص92)، الدر المنثور(ج2/ص345).

(2) انظر: المحرر الوجيز (ج2/ص244)، فتح القدير (ج2/ص106)، الفتوحات الألهية(ج2/ص280).

3- قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة 275- 278]

إن الصدقة عطاء وسماحة وطهارة، والزكاة تعاون وتكافل، والربا شح وقذارة ودنس وآثاره السيئة على المجتمع، والربا يورث في القلب القسوة وعدم الرحمة والجشع وحب المال والتمسك بالدنيا والبعد عن الآخرة، وقد جاءت آيات الربا بعد آيات الصدقة فهو المنهج القرآني في عرض صورتين مختلفتين ومتقابلتين ليس بينهما وجه التقاء من أجل أن يبين القرآن فضل الصدقة وأثرها في المجتمع، وشناعة الربا وآثاره المدمرة على المجتمع ويجيب المنهج القرآني على من يقول ما البديل عن الربا، فيكون البديل بالصدقة كما جاء ذكرها قبل آيات الربا، وبالدين الذي جاءت آياته بعد آيات الربا ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم:39] وقد شبه القرآن آخذي الربا بالأكلة الذين تنتفخ بطونهم دلالة على الشراهة، ولم يتوعد الله ﷻ أحداً في القرآن بالشكل الذي توعد فيه أكلة الربا، حيث قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:279] وهذه القسوة من التهديد والوعيد إنما تدل على فحش العمل ونتائجه الرذيلة وقد أكد الواقع الحاضر أن النظام الربوي نظام اقتصادي فاشل، فقد أصيبت أمريكيا مرتين بانهيار اقتصادي كبير نتيجة النظام الربوي ففي عام1929م أصيبت أمريكا بانهيار اقتصادي عظيم شل الحركة الاقتصادية وتراجعت فيه أمريكيا إلى الخلف، وفي نهاية عام 2008 حتى نهاية عام 2009 أصيبت أمريكيا أيضاً بزلزال اقتصادي كبير نتيجة التعامل بالنظام الربوي حيث تراجع سوق الأوراق المالية في البورصة الأمريكية حوالي 70%، وهي تحاول استرداد عافيتها ولا زالت تتخبط، وكذلك باقي الدول التي تتعامل بالنظام الربوي، فهذا هو الحرب الذي أعلنه الله على أصحاب الاقتصاد الربوي. (1)

(1) انظر: التحرير والتنوير (ج2/ ص79- 93)، فتح القدير (ج1/ ص401- 405) في ظـلال القـران (ج1/ ص319- 327).

2- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران 130]

في هذه الآية يوجه الله النداء للمؤمنين لكي يصرفهم عن الربا ولعل بعض العوام يتبادر إلى أذهانهم أن النهي في هذه الآية عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة بينما يجوز الربا القليل، وهذا مفهوم خاطئ قد بينته الآيات من سورة البقرة في الآيات السابقة فالقاعدة الفقهية تقول:(ما حُرم كثيره فقليلة حرام) فإنما جاءت الآية خطاب المؤمنين لكي تنفي عن المجتمع المسلم من الربا كثيره وقليله. (1)

إن التجارة الحلال يكون فيها نسبة الربح أكبر من نسبة الربا، ولذلك الربا مقيد الفوائد وقد يكون مطلقاً بمرور السنين ولم يحدد الشارع نسبة الربح للتجارة في الإسلام، بينما حرم الربا وشنعه رغم قلته كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ {النساء:29} وقد أوجد الإسلام الدين كبديل عن الربا وبحث عليه كما قال ﷺ: **(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)**(2) وقد رغب الإسلام في الدَّيْنِ حيث جعل له أجرا مضاعفاً عن الصدقة.

المطلب السابع: الصد عن دين الله ومحاربته.

إن الناظر إلى واقع المسلمين في عصرنا الحاضر يجد أن المسلمين يعيشون في محيط من الأعداء، وأعداء الإسلام قد أعدوا العدة لمحاربة الإسلام، وأقاموا الجمعيات والمؤسسات التبشيرية والفكرية من أجل محاربة الإسلام، ونشر أفكارهم التبشيرية والفكرية الفاسدة، وأقاموا في بلاد الإسلام مؤسسات بأسماء براقة من أجل إفساد المجتمعات المسلمة مثل مؤسسات حقوق الإنسان وحرية الفكر والتعبير والديمقراطيات الزائفة التي يخفون من ورائها عداءهم للإسلام، وقد أقاموا الإذاعات المرئية والمسموعة لكي يبثوا من خلالها الأفكار المسمومة بين المسلمين وينشطون في البلاد الإسلامية الفقيرة لكي يساوموا المسلمين على لقمة العيش وفتنتهم في دينهم، ولا تستغرب لو علمت أن هذه المؤسسات تنفق سنوياً مئات الملايين من الدولارات وجيش من المبشرين(3)،

(1) انظر: صفوة التفاسير (ج1/ ص208)، جامع البيان للطبري(ج3/ص429)، الأساس في التفسير (ج2/ ص777).

(2) صحيح البخاري (ج3/ ص128) حديث (2442) كتاب المظالم والغصب باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

(3) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري، د. صالح الرقب، ص 41.

والمفكرين بين أبناء المسلمين، ويفتحون أبواب جامعتهم مجاناً أمام أبناء المسلمين ليعـودوا بأفكـار هزيلة يغرسونها بين أبناء المسلمين، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:36] ومن هذه الآيات التي تدل على هذا المعنى:-

1 - قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[النساء 167]

إن هذه الآية تبين حقيقة الكافرين الذين يحاربون دين الله في الدنيا ومصيرهم في الآخرة بالإضافة إلى الخزي والمهانة التي ستلحقهم بالخسران في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، لأنه زيادة على كفرهم منعوا الناس من دخول الإسلام وكانوا سبباً في بقائهم في الكفر والله ﷻ يبين أن هذا الصنف من الناس في جهل وشقاء بلا حدود ولن يبلغوا الفلاح في الدنيا والآخرة. (1)

2- قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: 34]

هذه الآية بدأت بسؤال استفهامي استنكاري تقريري عن كفار مكة الذين يمنعون المسلمين من تأدية شعائر الإسلام شعائر الحج كما قال الله ﷻ في الآية السابقة، وماذا يمنع من وقوع العذاب عليهم طالما هذا حالهم والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من يصد عن دين الله سيلحقه العذاب الرباني في الدنيا والآخرة وبعض أعداء الإسلام يحاربون المسلمين بحجة أنهم على الحق وهم الذين يملكون الكلمة، ولكن الله يتكفل بالرد عليهم بأنهم ليسوا على الحق ولا أفعالهم صحيحة. (2)

3- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم :3]

هذه الآية هي بدل من كلمة الذين كفروا بالآية التي سبقتها وهي تريد أن تبين بعض صفات الكافرين أنهم يتمسكون في الدنيا وليس لهم نصيب في الآخرة، وأن هدفهم الوحيد هو نشر الأفكار

---

(1) أنظر: في ظلال القرآن، (ج2/ ص813)، فتح القدير (ج3/ ص400)، تفسير كلام المنان (ج1/ ص220).
(2) أنظر: الأساس في التفسير (ج4/ ص2158)، المحرر الوجيز (ج2/ ص522)، صفوة التفاسير (ج1/ ص466- 467).

المنحرفة حتى يستمر في السيطرة على المجتمعات الجاهلة ولا يتعرضوا للانتقاد من أحد لأن ميزان الحق ضائع فهم بفعلهم هذا يسيرون في الضلال بلا نهاية. (1)

والمشكلة لا تكمن في أعداء الإسلام الذين يحاربون الإسلام فهذه طبيعتهم، ولكن المشكلة تكمن في أبناء الإسلام الذين سخروا أنفسهم لخدمة أعداء الإسلام وتنفيذ مخططاتهم في بلاد الإسلام، وهم أشد وأخطر من أعداء الإسلام على المسلمين وهم يرشدون أعداء الإسلام عن نقاط الضعف عند المسلمين، هناك مجموعة من المستشرقين يتعلمون الدين الإسلامي من أجل أن يقفوا على نقاط الخلاف عند المسلمين وينفخون فيها روح الخلاف بين المسلمين.

المطلب الثامن: التضييق على العلماء والدعاة إلى الله.

العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الذين على عاتقهم تبليغ الدين إلى عامة الناس وهي مهمة نبيلة وشريفة مهمة الأنبياء وتحتاج إلى صبر وجهد، ولكن أعداء الإسلام يضعون المعوقات أمام الدعاة لكي لا يبلغوا كلمة الحق إلى الناس، قال تعالى: ﴿**وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾. [العصر: 1-3]. ومن هنا يتبين أهمية الدعاة للمجتمع، والمجتمع الذي يخلوا من الدعاة مجتمع جاهل، تسود فيه الخرافات والجاهلية ويتحكم به الجاهلون وأصحاب المصالح الدنيوية، ولن يصل المجتمع إلى مبتغاه بالفلاح في الدنيا والآخرة إلا بالصدع بكلمة الحق ومن هذه الآيات التي تدل على هذا المعنى:-

1- قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[البقرة :114]

نجد في هذه الآية تشنيع من الله ﷻ للذين يمنعون المسلمين في أداء شعائرهم بحرية أو يمنعون العلماء المخلصين من تأدية واجبهم سواء في المسجد وفي الإذاعات المرئية والمسموعة أو نفيهم من البلاد، وعندما بدأت هذه الآية بقوله تعالى(وَمَنْ أَظْلَمُ) فالإجابة عليها لا أحد أي ليس هناك فعلٌ أقبح ولا أضل من ذلك وخراب المساجد إما أن يكون مادياً بالهدم أو معنوياً بمنع الدعاة المخلصين من الوصول إليه، وأن يقوم على خدمته علماء السوء وقد رأينا الرؤساء الطواغيت الذين قاموا بتأميم المساجد من الدعاة المخلصين لا يستطيعون أن يدخلوا المسجد إلا بحاشية وحراسات

---

(1) أنظر: التحرير والتنوير (ج60/ص184-185)، الفتوحات الإلهية (ج4/ ص132- 133)، تفسير السمرقندي (ج2/ ص200)

كبيرة، وكما نرى في أيامنا هذه رؤساء تونس ومصر وليبيا الذين حاربوا مساجد الله منهم من فر خوفاً على نفسه ومنهم من أقيمت عليه الإقامة الجبرية في أقصى البلاد ومنهم من قُتل كأسوأ ما يكون وقد قامت السلطة العلمانية بغزة في منتصف عام 2007 بقتل أئمة المساجد من أجل منع كلمة الحق وكانت نهايتهم أن فروا مذعورين خارج قطاع غزة. (1)

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: 21]

هذه الآية نزلت في اليهود الذين تسلطوا على الأنبياء وقتلوهم حتى لم يبق نبي من بني إسرائيل وقتلوا من بعدهم من يؤيدهم حتى يجتثوا كلمة الحق ويفعلوا ما يريدون دون معارضة، وجاء فعل القتل بصيغة المضارع ليبين استمرارية القتل في كل العصور وهاهم أحفادهم يستمرون في القتل قتل الدعاة والعلماء والقادة إلى يومنا هذا تصديقاً لقوله تعالى في كلمة (يَقْتُلُونَ) ولا أريد أن أذكر أسماء فالقائمة كبيرة تصل إلى مئات العلماء فقد قاموا باغتيال علماء ذرة مسلمين في أنحاء العالم، والرأي الآخر في تفسير كلمة (يَقْتُلُونَ) أن أحفادهم اليهود رضوا وأقروا بما فعل أجدادهم من القتل فشاركوهم في الإثم فتوعدهم الله ﷻ بعذاب أليم في الدنيا وهو الاستئصال وعذاب أليم في الآخرة وهو جهنم. (2)

3- قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة:107]

إن أعداء الإسلام لا يروق لهم أن يروا الإسلام يقوى ويمتد فيعملوا جاهدين من أجل وضع العراقيل أمام المد الإسلامي فيخططون ويبذلون كل ما بوسعهم من أجل إيجاد المؤسسات والأفكار الهدامة لتحل في بلاد المسلمين بدل الأفكار الإسلامية فقاموا بإيجاد أفكار داروين(3) وفرويد(4) ونيتشة(5) وكذلك قاموا بنشر أفكار الفرق الباطنية المليئة بالخرافات بين الجهلة من أبناء المسلمين، وحتى نعلم مدى التخطيط والتعاون بين الدول الصليبية وبعض الدول الإسلامية من أجل نشر أفكار الفرق الباطنية فمثلاً في مصر هناك 97 ألف مسجداً منها32 ألف زاوية للفرق الصوفية المختلفة

---

(1) انظر: في ظلال القرآن (ج1/ ص104)، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ ص493- 495)، صفوة التفاسير (ج1/ ص78- 79)

(2) انظر: الأساس في التفسير (ج2/ ص721)، فتح القدير (ج1/ ص444)، تفسير كلام المنان (ج1/ ص368).

(3) داروين: صاحب نظرية النشوء والارتقاء: أعظم شخصيات التاريخ، (ص398).

(4) سيجموند فرويد: مؤسس علم التحليل النفسي، مرجع سابق، (ص409).

(5) نيتشه فردريك: صاحب فن اللغة الكلاسيكية: عظماء ومشاهير وعباقرة معاقون (ص172).

لحرف الشباب عن المساجد والعلماء أصحاب الفكر الإسلامي الحركي واستغلال طاقتهم في أمور لا تخدم الإسلام والمسلمين[1].

إن الذين بنوا مسجد ضرار هم مسلمون أو من اليهود والنصارى الذين أسلموا من أجل الإفساد بين المسلمين وتشكيك المسلمين بدينهم من أجل بث الفرقة والشقاق بين المسلمين مثل عبد الله بن سبأ [2]، الذي أوجد عقيدة التشييع وهم يظهرون حبهم وولاءهم للمسلمين، ولكن حقيقتهم غير ذلك.

المطلب التاسع: الانغماس في الترف والإسراف.

إن الشيطان لا يقول للإنسان أترك الصلاة مباشرةً، ولكنه يزين للإنسان المباحات التي تحول دون الواجبات وينشغل الإنسان بأمور الدنيا عن أمور الآخرة ويبدأ التنافس على من يملك أجمل بيت وأفضل سيارة وأجمل امرأة، ويرتبط الإنسان بالدنيا على حساب الآخرة.

1- قال تعالى:﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[الإسراء:16]

هذه الآية تبين سنة ربانية في الكون، فالله ﷻ إذا أراد بقوم سوء أستدرجهم، وقد يكون هذا الاستدراج بالعلو والتمكين حتى إذا ما أفسدوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر مستئصلهم ولم يبقى منهم شئ، وهذا الأمر يجب أن تدركه الفئة المؤمنة أن سنة الله ماضية في هذا الكون، وأنه لا يحابي بها أحداً فلتحذر الجماعة المسلمة إذا ما قدر الله لها التمكين أن تنزلق في الفساد من حيث تدري أولا تدري، وعليها أن تأخذ بالأسباب حتى لا تصيبها ما أصاب الأمم التي سبقتها من زوال واستئصال، ممن سار في طريق الفساد والإفساد فإن نهايته محتومة فهو يسير نحو نهاية محتومة فهو يسير نحو الهاوية.[3]

---

(1) أنظر(التحرير والتنوير (ج2/ ص29)، الفتوحات الإلهية (ج3/ ص308- 309)، مختصر تفسير ابن كثير (ج2/ ص169)

(2) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية، كان يهودياً وأظهر الإسلام، رحل إلى الحجاز وإلى دمشق أيام عثمان، وكان يقال له ابن السوداء لسواد أمه، وقال ابن حجر العسقلاني: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، ت 40هـ/660م. الأعلام للزركلي (ج4/ص88).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (ج5/ص571)، التحرير والتنوير(ج6/ص52)، صفوة التفاسير(ج2/ص144).

2- قال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ [الإسراء:27]

يبين تعالى في هذه الآية أحد وسائل هلاك الأمم بتبذير الأموال في غير مكانها، حتى وأن كانت في المباحات، وهذا من تلبيس إبليس، وقد وصف الله تعالى المبذرين بأنهم أخوان الشياطين أخوانهم في التخطيط واختراع وسائل لتبذير الأموال في أمور لا تنفع الأمة، فعلى سبيل المثال لو أحصينا الأموال التي تنفق سنوياً على الدوريات العالمية وكأس العالم ستجد أنها تكفي لإزالة الفقر في العالم، والأموال التي تنفق على الدعاية للسجائر تصل إلى مليارات تكفي لحل مشكلة السكن في العالم، ولذلك نجد الأمم الفاسدة تبذر الأموال في غير مكانها حتى إذا ما أخذه الله بالسنين انهارت وأنذرت.[1]

المطلب العاشر: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن ترك الأمر بالمعروف يترك مجالا للمفسدين في الأرض أن يزدادوا فسادا، وترك الأمر بالمعروف يجعل من الفساد ظاهرة مقبولة عند المجتمع فيستوي عندهم الخير والشر فلا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، كما أخبر ﷺ بذلك: "...**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا**".[2]

1-قال تعالى:﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[النمل:48]

تبين هذه الآية أن الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل ماضٍ إلى يوم القيامة، ودائماً في المجتمعات الفاسدة تجد زمرة المنتفعين وهم لا يهمهم مصلحة الأمة بل يهمه مصلحتهم الشخصية، فهم يخطوون وثيقاً سمون الأدوار في الفساد والإفساد في عصر ومِصر مثل هذا الرهط الذين لا يسمعوا النصيحة وكلمة الحق من الآخرين ولربما زجوا بأصحاب النصيحة في السجون بحجج واهية يخترعها لهم الشيطان ويستخدمون كل الوسائل المتاحة من أجل قلب الحقائق والتغرير بالناس حتى يستمروا في عنيهم.[3]

---

(1)انظر:جامع البيان للطبري(ج7/ص378)، تفسير السمرقندي(ج2/266)، تفسير الخازن(ج3/ص128).

(2) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في خروج الدجال (ج4/ص2258) حديث رقم: 2940.

(3)انظر:لمحرر الوجيز(ج4/ص262)، في ظلال القرآن (ج5/ص2645).

2- قال تعالى:﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ *كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة78-79]

هذه الآية تبين سبب استحقاق بني إسرائيل اللعنة من الله حيث أنهم ارتكبوا المعاصي واستمرءوها فنصحوهم علمائهم فلم يستجيبوا لهم، ولكن علمائهم لم يعتزلوا أصحاب المعاصي بل جالسوهم وأكالوهم، وكأنه لم يكن شيء وهذا الأمر يجري على كل من شاكلهم بالفعل، فأنه سيستحق لعنة الله والملعون مطرود من رحمة الله والمطرود من رحمة الله لن يفلح في الدنيا والآخرة.[1]

(1)انظر:جامع البيان للطبري(ج4/ص627)، تفسير ابن كثير(ج2/ص82)، إعراب القرآن الكريم(ج2/ص278).

الفصل الثالث

مبشـــرات الفـــلاح مـــن القـــرآن والسنـــة

ومبشرات تاريخية وواقعية

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: مبشرات من القرآن والسنة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما جاء به القرآن وتحقق في عهد رسول الله ﷺ .

المطلب الثاني: آيات تحققت في عهد الصحابة.

المطلب الثالث: ما كان مشترك في كل الأزمنة.

المطلب الرابع: مبشرات من سورة الإسراء.

المبحث الثاني: مبشرات تاريخية وواقعية.

أن القرآن الكريم هو كتاب هداية ورشاد وبشرى لقوله تعالى :﴿ **إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ [الإسراء: 9] ولأن الرعيل الأول من الصحابة الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ وساروا على دربه ووصلوا إلى الفلاح، وقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول ﷺ قال: **(خير الناس قرني)** [1] فكانوا خير أمة وأقاموا خير حكم وعاشوا ملوكاً تحت أسنة الرماح ونشروا الأرض عدلاً ورحمة بالإسلام، ونحن إذا أردنا أن نصل إلى الفلاح في الدنيا والآخرة فعلينا أن نتتبع أثارهم وخطواتهم حتى نصل إلى ما وصلوا إليه، والتاريخ زاخر بخلافات إسلامية قامت على أسس سليمة من الإسلام، خلافة الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والدولة العباسية، والدولة العثمانية التي حكمت من المشرق إلى المغرب، وعمرت سنين طويلة، حتى إذا أصابها الضعف وتراخت سقطت منها الراية قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾ [الرعد: 11]، وهكذا هي سنة الله في خلقه وهناك بشائر لفلاح الأمة من الواقع الذي نحياه الآن بعد زوال بعض الأنظمة الجبرية التي جثمت على صدر الأمة سنين طويلة، ولكن الله أراد بالأمة الإسلامية خيراً فأيقظ فيها روح الشجاعة والكرامة والبذل والتضحية، وها نحنُ نرى في مطلع عام 1432هـ انتفاضة الشعوب الإسلامية على الطواغيت مثل تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا ،فهذه مبشرات من الواقع على أن الأمة بخير وبدأت في التخلص من أنظمة الفساد قال تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ** ﴾ [البقرة: 243]، وأن سنة الله في هذا الكون التغيير قال تعالى: ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: 29]. وجاء في معناها (يعز أقواماً ويذل آخرين)[2] أي بمعنى آخر يرفع أقواماً ويخفض آخرين، وسأخصص في المبحث الثاني مطلباً حول مبشرات سورة الإسراء التي تبشر بعودة فلسطين تحت راية الإسلام وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

---

(1) صحيح البخاري – كتاب الشهادات –باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد– حديث رقم(2652) – 171/3.

(2) أنظر: الخازن (ج 4/ ص 228)، فتح القدير (ج5/ ص162)

المبحث الأول

مبشـــرات قـــرآنـــــيـــــة

إن من كرم الله على عباده أن أنزل القرآن الكريم على قلب رسوله ﷺ ليجعله كتاب هداية ورشاد، هداية للبشر ومنارة يهتدي إليها التائهون، ورشاداً يرشد الناس إلى طريق الحق الطريق المستقيم، والسائر إلى الله يحتاج إلى شمعات مضيئة لتملأ عليه وحشة الطريق وطمأنينة في النفس بأنه على الحق، والقرآن الكريم كتاب معجز بلفظه ونظمه وبيانه، ومن وجوده إعجازه أنه أخبر عن أمور غيبية من أجل أن تكون دلالة واضحة على صدق الوحي والنبوة، ومن الأمور الغيبية التي تحدث عنها القرآن منها ما وقعت ومنها ما هو على وجه العموم حدث في عهد النبي ﷺ ومنها ما ينتظر تحقيقه، ولهذا فالمؤمن يصدق هذا الكتاب ويستأنس بهذه المبشرات لتكون دافعاً له على الجد والاجتهاد من أجل العمل لنصرة هذا الدين، وقد وعد الله ﷻ المؤمنين بالنصر والتمكين لهذا الدين، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[النساء:87] وكذلك أخبرنا الصادق المصدوق حيث قال الله تعالى في حقه﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. ﴾ [النجم:3-4].

عن أمور ستحدث إلى آخر الزمان لقد كان الرسول ﷺ معلم الحكمة والقدوة الحسنة في تربية الرعيل الأول يزودهم بالأمل في لحظات العمل، لكي يتزودوا بالعزيمة لمواصلة الطريق الطويل التي تحتاج إلى أمل بالنصر وثقة باستقامة الطريق، وزيادة أجر في الآخرة حتى يبلغوا غايتهم ويرفعوا رايتهم ويسلموا زمام أمرهم إلى إخوانهم من بعدهم لكي يواصلوا الطريق ويستمروا في حمل مشعل الهداية لإنارة الطريق إلى التائهين، ويشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب.

مبشرات من القرآن.

المطلب الأول: ما جاء به القرآن وتحقق في عهد رسول الله ﷺ.

1- قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم:2-3]

هذه الآيات تخبر عن قصة حصلت بين أبي بكر الصديق ﷺ وأُبي بن خلف قبل الهجرة حيث حدثت حربٌ بين فارس والروم، وكانت فارس تعبد النار وكانت الروم أهل كتاب من النصارى، فغلب الفرس الروم وكان المسلمون يودون أن تنتصر الروم، فتراهن أبو بكر الصديق مع أبي بن خلف على من ستكون له الجولة القادمة، فقال أبو بكر: الروم، فنزلت هذه الآية لتبشر المؤمنين بأن الروم ستَغْلِبُ في بضع سنين، وهذا من شأنه أن يثبت قلوب المسلمين وهذا من المبشرات المعجزة في القرآن الكريم.(1)

(1) انظر: تفسير الخازن (ج3/ص 387)، فتح القدير(ج4/ص257)، المحرر الوجيز(ج4/ ص327).

2- قال تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:27].

بشر رسول الله ﷺ أصحابه بأنهم سيدخلون مكة وهم يؤدون شعائر العمرة، وعندما خرج رسول الله ﷺ لأداء العمرة وحُبس بالحديبية وكان صلح الحديبية وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وتطاولت ألسنة المنافقين فأنزل الله ﷻ هذه الآية ليؤكد على صدق قول الرسول ﷺ وعلى دخول المسلمين المسجد الحرام محلقين ومقصرين وكان ذلك في العام الذي يليه.(1)

المطلب الثاني: آيات تحققت في عهد الصحابة.

1- قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33]

جاءت هذه الآية فاصلة للآيات التي سبقتها والتي كانت تتحدث عن الولاء والبراء وعن بعض المنافقين الذين كانوا يوالون الكفار بسبب ضعف إيمانهم من ظهور الإسلام ويظنون أن الكرّة ستكون للكافرين، فأنزل الله هذه الآية تثبيتاً لقلوب المسلمين المؤمنين ورداً على ضعاف النفوس من المسلمين، ليؤكد لهم على ظهور الإسلام على كل الأديان وبلوغه على الأرض، وقد تحقق جزء من هذه البشارة في عهد الرسول ﷺ ومن بعده في عهد الصحابة والتابعين من المغرب العربي إلى ما بعد بلاد الهند شرقاً.(2)

وقال الألباني: "تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق"(3).

---

(1) انظر- في ظلال القرآن (ج6/ص3329)، تفسير كلام المنان (ج7/ص109)، تفسير السمرقندي (ج3/ص285).

(2) أنظر- الجامع لأحكام القرآن(ج4-ص463)، صفوة التفاسير(ج1-ص491). الأساس في التفسير(ج4/ص2275).

(3) السلسلة الصحيحة، 31/1.

2- قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [النور:55]

هذه الآية وعد من الله للمسلمين على مر العصور وقد تحققت للرعيل الأول والوعد قائم إلى يوم القيامة فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والتمكين قائم للأمة الإسلامية ما أقامت شروطه، والتمكين لا بد أن يسبقه جهاد وابتلاء، ويبقى التمكين قائماً ما تمسكت الأمة بشروطه، فإذا تراخت وتقاعست ذهب منها التمكين وبقيت في ذيل الأمم وسلط الله عليهم أعداء الإسلام يسومونهم سوء العذاب.[1]

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسُئل أي المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً، أقسطنطينية أو رومية، فقال رسول الله ﷺ **(مدينة هرقل تفتح أولا. يعني قسطنطينية.)**[2]

قال الشيخ الألباني: (ولا شك أيضاً أن تحقق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا ما يبشرنا به ﷺ [3].

وقد تحقق الفتح الأول على يد السلطان العثماني البطل: محمد الفاتح وهو ابن ثلاث وعشرين سنة في يوم الثلاثاء 20 من جمادى الأولى سنة 857هـ، 29مايو سنة 1453م، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ وسيتحقق الثاني بإذن الله ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين.[4]

---

(1) أنظر: في ظلال القرآن (ج4/ص2528)، الأساس في التفسير (ج7/ص4819)، تفسير كلام المنان(ج5/4402).

(2) مسند أحمد 225/11، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 33/1 ح4.

(3) السلسلة الصحيحة 33/1 ح4.

(4) مبشرات النصر والتمكين من القرآن الكريم- ص94.

المطلب الثالث: ما كان مشترك في كل الأزمنة

1- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ *وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصّافّات:171-173].

" الوعد واقع وكلمة الله قائمة، ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض، وقام بناء الإيمان، على الرغم من جميع العوائق، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين، وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة أتباعهم، ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار، وذهبت سطوتهم ودولتهم؛ وبقيت العقائد التي جاء بها الرسل تسيطر على قلوب الناس وعقولهم، وتكيّف تصوراتهم وأفهامهم، وما تزال على الرغم من كل شئ هي أظهر وأبقى ما يسيطر على البشر في أنحاء الأرض، وكل المحاولات التي بُذلت لمحو العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل، وتغليب الفكرة التي نبعت منها، وحقت كلمة الله لعباده المرسلين ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ *وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[الصافات172-173]. ".(1)

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر 51-52]

إن المتدبر لهذه الآية يعتقد أن النصر الذي يتحدث عنه الله ﷻ النصر المادي، وقد يقول بعض الناس كيف ينصر الله بعض الأنبياء وأتباعهم من الدعاة وهم يُقتلون ويُسجنون ويُبعدون ويُلاحقون فأين النصر؟. فالله ﷻ إذا أراد أن يكرم الأنبياء والدعاة فإنه يجعل من نهايتهم مثل أصحاب الأُخدود دليلاً على ذلك، فالغلام الذي صُلب وقُتل انتصرت دعوته بعد موته، وسيد قطب في العام الذي قُتل فيه تم طباعة كتابه في ظلال القرآن ست مرات، والإمام حسن البنا بعد اغتياله انتشرت دعوته في ربوع الأرض.

وروى أحمد في مسنده عن تميم الداري رضي الله عنه **قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعزّ عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعزّ الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر)**(2)

---

(1) مبشرات النصر والتمكين من القرآن الكريم للعفاني / ص 41 - 42

(2) مسند أحمد 156/28 ح16958، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة 32/1 ح3).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله زوى[1] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها)**[2]

في هذا الحديث أيضاً يبشر رسولنا الحبيب محمد ﷺ، كما بشر في الحديث السابق، وهو منهج نبوة، لكي يبقى أبناء الإسلام على تواصل مع الأمل اللازم بالعمل، حتى تتحقق هذه البشارة، وقد تحققت، ولكننا نطمح أن يعم الإسلام كل الأرض لكي ينعم العالم بالأمن والعدل والسلام.

هذا الحديث يبشر أن الإسلام سينتشر في ربوع الأرض كلها، وقد توفي رسول الله ﷺ والإسلام في الجزيرة العربية، وقد انتشر في عهد الصحابة والتابعين والسلف، حتى بلغ حدود الصين شرقاً والمغرب والأندلس غرباً، ولا زال الإسلام ينتشر يوماً بعد يومٍ في دول الغرب، وفي كل يوم يدخل الإسلام المئات حتى يبلغ هذا الدين كل الأرض بالكلمة الطيبة من أبناء الإسلام، وبتحريض من أعداء الإسلام الذين يستفزون المسلمين بالإساءة للنبي ﷺ، فتكون ردة فعل من العجم بمطالعة الكتب عن الإسلام، فيكون ذلك سبباً في إسلامهم، حيث نفذت كل الكتب الإسلامية من المكتبات الإسلامية في أوروبا، عندما أساءت الدنمارك بالرسومات إلى الرسول محمد ﷺ، وكذلك قد أسلم الآلاف من الأمريكان في العام 2001م الذي ضُربت فيه الأبراج التجارية العالمية في نيويورك بأمريكا.

واليهود أعداء الله عندما أبعدوا أربعمائة من قادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى مرج الزهور عام 1992م كانوا سفراء لنشر دعوتهم إلى كل العالم عبر الفضائيات، والشيخ أحمد ياسين عندما اغتيل في شهر مارس من عام 2004م عمت المسيرات والاحتجاجات مؤيدة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) من اندونيسيا إلى المغرب وموريتانيا غرباً.[3]

المطلب الرابع: مبشرات من سورة الإسراء.

سورة الإسراء نزلت بعد حادثة الإسراء قبل الهجرة بسنة تقريباً وهي تسمى أيضاً بسورة بني إسرائيل وهي مكية بإجماع وقد تحدّثت عن الأحداث التي أصابت بني إسرائيل في الماضي وما سيحصل لهم في المستقبل، فلهذا فهي جاءت لتضع الخطوط العريضة للتعامل مع اليهود ليكون المسلمون على بينة من بني إسرائيل ومكائدهم قبل أن يجتمعوا بهم في المدينة، فسورة الإسراء هي من المبشرات التي تبشر المسلمين بالهجرة إلى المدينة، حيث يكون لهم النصر والتمكين والفلاح[4].

---

(1) زوى: أي جمع وضمّ، النهاية في غريب الحديث والأثر 320/2.

(2) صحيح مسلم كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض 2215/4 ح 2889.

(3) انظر: مرجع سابق/ ص43-46.

(4) انظر: التحرير والتنوير ، مج 6/ ج 5/ ص6.

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد[1] ؛ فإنه من شجرا اليهود)**[2]

هذا الحديث يبين لنا واقع اليهود الحقيقي الذين صبوا جُل غضبهم على البشر والحجر والشجر في انتفاضة الأقصى الثانية ، فدمروا الآلاف من البيوت واقتلعوا مئات الآلاف من الأشجار المثمرة، وقتلوا البشر بلا رحمة، ولذلك فإن الشجر والحجر سينتقم لنفسه من اليهود حتى ينطق بإذن ربه ليخبر المجاهد المسلم عن اليهودي المختبئ خلفه وهذه هي الملحمة الكبرى التي ننتظرها قريباً إن شاء الله على أرض فلسطين، والملاحظ أن اليهود يكثرون من زرع شجر الغرقد من الجهة الشرقية من صحراء النقب، وهذا تمهيدٌ لقرب وقوع بشارة الرسول ﷺ.

والله ﷻ بين في سورة آل عمران أن اليهود ضُربت عليهم الذلة والمسكنة على الدوام وهناك استثناء لهذه القاعدة كما قال تعالى: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران:112]

فأما حبل الله فهو الكيان اليهودي الذي أقيم في عهد داوود وابنه سليمان فكان حبل رباني لأنهم أنبياء كانوا يستحقون ذلك، وما إن مات سليمان حتى انقطع حبل الله بتعديهم على حقوق الله وقتلهم الأنبياء كما وصفت الآية، وحبل الناس هو الكيان الذي أقيم في عام 1948م بتأييد من دول العالم حيث اعترفت أكثر من 56 دولة في الأسبوع الأول الذي أقيمت فيه ويؤكد هذا القول ما يقوله الأستاذ سعيد حوى في تفسير هذه الآية حيث يقول: "﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا** ﴾ هذا الكلام خاص باليهود، بدليل ما يأتي من صفاتهم التي هي عَلم عليهم، والآية تفيد أن اليهود قد ألزموا الذِلّة أينما وجدوا، وذلك بدفعهم الجزية لكل دولة يعيشون في ظلها، وخوفهم الدائم أينما كانوا، مما يضطرهم لفعل الذليل من الأعمال، نفاقاً واتقاء شر، ثم استثنى الله حالة عرفناها في عصرنا إذ قامت لهم الدولة في فلسطين، قال تعالى ﴿ **إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ** ﴾ أي :إلا بإمداد من الله، وإمداد من الناس، أي إلا بسبب يعطيهم الله إياه وسبب من الناس يكون لهم دولة وسلطان، وهذا

(1) الغرقد: نوع من شجر يهود (لسان العرب- ج10/ ص58).

(2) صحيح مسلم (2239/4) (ح 2922) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

ما حدث الآن إذ أمدهم الله بذلك، وسخر لهم وسلطهم علينا بظلمنا، وإذ تمالأ العالم كله لصالحهم يمدهم ويحميهم، ويكيد لهم، ويخدمهم، فكان ما نعلمه"[1].

1- قال تعالى﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:4]

قضى الله في كتابه أن يكون لليهود كيانان مع إفسادتين في الأرض وقد اختلف بعض العلماء حول الإفساد ومكانه ولكن القول الراجح أن الكيان مع العلو والإفساد مرتبط بأرض الإسراء، فاليهود يفسدون في كل الأرض، ولكن العلو لم يكن إلا على أرض فلسطين، ولذلك فالإفساد الأول كان بعد عهد سليمان وساق الله عليهم (نوبخذ نصر) البابلي فقتل من قتل وسبى من بقي إلى بابل، والمرة الثانية عام 1948م كما قال تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾ [الإسراء:104] فاليهود جاءوا من كل أصقاع الأرض فالمرة الأولى قال تعالى﴿ **فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا** ﴾ [الإسراء:5] أما في المرة الثانية فقال] **وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾[الإسراء:7] وهذا دليل أنه في المرة الأولى لم يكن الإسلام قد جاء فذكر الديار أما في المرة الثانية فجاء بلفظ المسجد دليل على وجود الإسلام.[2]

والمبشرات في سورة الإسراء هي عامة لكل المسلمين وخاصة لأهل فلسطين أرض الإسراء والمعراج.

2- وقد ذكر الأستاذ بسام جرار في كتابه (زوال إسرائيل2022م نبوءة قرآنية أم صدف رقمية) ما يستحق أن يؤخذ بعين الاعتبار للاستئناس ومن المبشرات القرآنية في سورة الإسراء ما يلي:-

أ. تدوم إسرائيل وفق النبوءة الغامضة (76) سنة، أي 19×4. ويفترض أن تكون الـ(76) سنة هي سنين قمرية، لأن اليهود يتعاملون بالشهر القمري، ويضيفون كل ثلاث سنوات شهراً للتوفيق بين السنة القمرية والشمسية.

---

(1) الأساس في التفسير (ج2/ص285)

(2) أنظر: تفسير الخازن(ج3/ص117)، تفسير السمرقندي(ج2/ص259)، الأساس في التفسير(ج6/ص3036)، صفوة التفاسير(ج2/ص 140).

عام1948م هي 1367هـ، على ضوء ذلك إذا صحت النبوءة فإن إسرائيل ستدوم حتى (1367+76)=(1443).

ب. والملاحظ أن تعبير (وعد الآخرة) لم يرد في القرآن الكريم إلا مرتين: الأولي أيضاً في الكلام عن الإفسادة الثانية في بداية السورة، والثانية أيضاً في الكلام عن المرة الثانية قبل نهاية سورة الإسراء الآية (104).

إذا قمنا بإحصاء الكلمات من بداية الكلام عن النبوءة ــ واتينا موسى الكتاب ــ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ــ فسوف نجد أن عدد الكلمات هو 1443كلمة، وهو رقم يطابق الرقم الذي حصلنا عليه في البند رقم 1 أي 1367هـ+76=1443هـ.

ج. منذ أن بدأت سورة الإسراء تتحدث عن بني إسرائيل في قوله تعالى:﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[الإسراء:4] إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء:76] 1444كلمة مقابل كل كلمة سنة قمرية والآية 76عمر دولة إسرائيل وتنتهي بكلمة قليلاً، وإن كان الخطاب موجه للرسول ﷺ فهو لأمته من بعده.[1]

د. قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ [الإسراء:5]

فجاسوا أي ترددوا ذهاباً وإياباً، وهذا تعبير في غاية الدقة، إذ لاحظنا أنه وبعد وفاة سليمان ﷺ، انقسمت الدولة وبدأ الفساد، فكان أن جاء المصريّون، ولم يزيلوا الملوك، بل أبقوهم على عروشهم، وفي العام 700ق.م قام الأشوريون بتدمير الدولة الشمالية إسرائيل واستمر الجوس في الدولة الجنوبية، يهوذا حتى جاء (نبوخذ نصر) [2] وألقى القبض على الملك التاسع عشر المسمى(صدقيا) وقتل الكثيرين، وأسر الكثيرين، ودمر دولة يهوذا عام 586 ق.م وبذلك انتهى الجوس في المرة الأولى، واللافت للنظر أن الجوس استمر باستمرار الفساد، والجوس كانا متلازمين، أمّا في المرة الثانية والأخيرة فقد بدأ الفساد عام1948م في جزء من الأرض المباركة وقد اكتمل فيها بعد 19 عاماً، أي عام 1967م،

---

(1) انظر: البند 10 – كتاب زوال إسرائيل2022م نبوءة قرآنية أم صدف رقمية/ ص70.

(2) نبوخذ نصر: ثاني ملوك السلالة الكلدية التي حكمت بلاد، اشتهر بقوته العسكرية، حاصر القدس وفتحها عام 597 ق. م ، ت 561 ق م (موسوعة الحضارة القدمية والحديثة، ص 140).

أي أن الفساد شمل الأرض المباركة على مرحلتين، أما الوعد الأول فقد تلازم فيه الفساد والقوة، وهذا الفارق العام722ق.م هو عام تدمير إسرائيل الأولى، والتي هي أولى الدولتين وأولى المرتين، وهي التي بدأت الانفصال، وهي التي زالت أولاً، وبالتالي ينطبق عليها لفظ أولاهما.[1]

ومما تقدم من كلام الأستاذ بسام جرار أن نهاية دولة إسرائيل ستكون عام 2022م، ونحن الآن في عام 2011م، أي لم يبقَ إلا أحد عشر عاماً، وكنت أرى أن الموعد قد اقترب وليس هناك إرهاصات لهذه البشارة.

ولهذا يجب علينا أن نكون واثقين، بل على يقين أن تحرير فلسطين قادم، وأن المسألة مسألة وقت، علينا أن نأخذ بالأسباب ونعد العدة لكي نكون قدر الله في إزالة دولة إسرائيل، ونفوز بلقب العبودية التي جاء ذكرها في سورة الإسراء.

---

(1) انظر: البند رقم (11)، كتاب زوال إسرائيل 2022م أم صدف رقمية، (ص74).

المبحث الثاني

مبشـــرات تاريخيـــة وواقعيـــة

ويشتمل على قسمين:

القسم الأول: المبشرات التاريخية، ويشتمل على خمسة مطالب

المطلب الأول: في عهد النبوة. (1هــ/9هــ)

المطلب الثاني: عهد الخلفاء الراشدين.(10هــ/40هــ)

المطلب الثالث: الخلافة الأموية.(40هــ/132هــ)

المطلب الرابع: الخلافة العباسية. (132هــ/656هــ)

المطلب الخامس: الخلافة العثمانية. (699هــ/1318هــ)

القسم الثاني: المبشرات الواقعية، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سقوط الشيوعية وفشل الرأسمالية.

المطلب الثاني: الصحوة الإسلامية.

المطلب الثالث: الوحدة الإسلامية.

المطلب الرابع: الثورات الشعبية (الشبابية).

المطلب الخامس: معوقات في طريق التمكين.

المبحث الثاني

المبشرات التاريخية والواقعية

من فضل الله على عباده أنه أنزل القرآن كتاب هداية ورشاد وهذا الكتاب احتوى على ما يرشد به في كل أمور الحياة، العبادات، والعقائد، والمعاملات، وأخبار الأمم السابقة، وقد جاء ثلث القرآن قصص وأخبار، ولم يكن هذا للتسلية إنما للعبرة والعظة كما قال تعالى:﴿ **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ** ﴾ [الحشر:2] وقال تعالى:﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ** ﴾[يوسف:111] وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف:109] ، والتاريخ خير شاهدٍ ودليل على صحة المنهج الإسلامي من خلال الاستقراء والبحث، فكان العهد النبوي، ثم الخلافة الراشدة، ثم الخلافة الأموية، ثم الخلافة العباسية، ثم الدويلات الإسلامية في المشرق والمغرب، ثم الخلافة العثمانية، ولكل منها كان أسباب القوة والتمكين، ولكن عندما تراخت ولم تأخذ بالأسباب هرمت وانتهت، والمسلم مطالب بالأخذ بالأسباب واقتفاء أثر الصالحين الذين بلغوا مرتبة الفلاح، حتى يختصر على نفسه الجهد والمال ويتعلم من دروس السابقين فينمي الإيجابيات ويبتعد عن السلبيات "لما كانت (القدوة الصالحة) خير حافز للإنسان على الالتزام بالأوامر الدينية، والابتعاد عن المنهيات الشرعية، والتحلي بالأخلاق السوية، فرض الله ﷻ على الإنسان أن ينظر في أخبار الأمم السابقة؛ وأن يطلع أحوال القرى السالفة ؛ ليعلم عاقبة الحسنى لمن كان له خير ورشاد، والعاقبة السوء لمن أضاع عمره في اللهو والفساد.وقال تعالى: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [القصص:58] ". (1)

وسنقف إن شاء الله على بعض الجوانب المضيئة من التاريخ الإسلامي الذي سطر بجهد السابقين ونسأل الله أن يكون في ميزان حسناتهم وإن شاء الله هم السابقون ونحن اللاحقون على درب الفلاح.

---

(1) صفوة الصفوة ، (ج1، ص 3-4).

القسم الأول: المبشرات التاريخية

المطلب الأول: العهد النبوي

لقد جاء الإسلام على الجزيرة العربية وهم أهل كفر وجاهلية يعبدون الأوثان ويأكلون الميتة ويقطعون الرحم ويقطعون الطريق ويأكل القوي حق الضعيف يئدون البنات وتنشب بينهم الحروب لأبسط الأسباب فجاء الإسلام فارتقى بهم إلى مكارم الأخلاق فوحّد الكلمة ووحد القلوب وأزال الفوارق القبلية وجعل من رعاة الغنم قادة ساسوا العالم وانتقل بهم من الجوع والحرمان إلى خير نعيم الدنيا، ولذا كما قالوا فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ستظل سيرة الرسول ﷺ هي الرصيد التاريخي الأول الذي يستمد منه الأجيال المتلاحقة من ورثة النبوة وحملة مشاعل العقيدة زاد مسيرها، وعناصر بقائها، وأصول امتدادها.

"ومن درس تاريخه ﷺ وأعطاه حقه في النظر والفكر والتحقيق رأى نسقا من التاريخ العجيب، استعلى به الرسول ﷺ والفئة المؤمنة معه على عناصر المادة وعوامل الجذب الأرضي، وارتقوا بالإنسانية إلى درجات لم تشهدها على امتداد عصورها وأزمانها. ومن يعمق النظر في سيرته ﷺ، محاولا أن يتتبع السر الذي وقع في التاريخ القفر المجدب فأخصب به، وأنبتت الدنيا أزهارها الإنسانية الجميلة".[1]

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]

ويقول الأستاذ عبد الله عمر نصيف في مقدمة كتاب الرحيق المختوم " فلا ريب إذن أنه لابد لمن أراد النجاة من هذه الدنيا باتباع المنهج الرباني في جميع شئون آخرته ودنياه وأن يتأسى بالرسول الأعظم ﷺ واقعاً عملياً في جميع شئون الحياة، ففيها الهدى والرشاد للقادة والمقودين والحكام والمحكومين والمرشدين والموجهين والمجاهدين، وفيها الأسوة الحسنة في جميع المجالات: في السياسة والحكم والاقتصاد والمال والاجتماع والعلاقات الإنسانية والأخلاق الفاضلة والعلاقات الدولية، فما أحرى المسلمين اليوم – وقد انحدروا في مهاوي الجهالة والتخلف لابتعادهم عن المنهج– أن يعودوا إلى صوابهم وأن يقدموا السيرة النبوية في مناهجهم الدراسية ومنتدياتهم المختلفة على أنها ليست للمتعة الفكرية وحسب، بل فيها طريق العودة إلى الله، وفيها إصلاح الناس وفلاحهم".[2]

---

(1) الرحيق المختوم / ص5.

(2) المرجع السابق/ ص11-12.

"إن سيرة رسولنا ﷺ تجربة غنية بأحداثها، زاخرة بدلالاتها، متنوعة بمعطياتها، وما كان بباحث يسعى إلى إيفائها حقها من البحث والتحليل إلا أن يوسع نطاق رؤياه ويصبّ اهتماماته على هذه الجوانب جميعاً؛ حركية وسياسية وعسكرية وشخصية وفقهية وروحية وواقعية وغيبية وعقائدية وحضارية".(1)

"إن من أعظم ما يبث في الأمة روح النشاط والاجتهاد في أن تعكف على دراسة تاريخ كبارها حتى تعرف كيف تغلبوا على المصاعب الجمة التي كادت تحول بينهم وبين أمانيهم العظيمة وتعرف النتيجة التي تعود من اتباع الدين والسير على نظاماته".(2)

"إن التاريخ الإسلامي ينبغي أن يدرس دراسة تحقيق وتمحيص لا أن يقرأ قراءة سرد للأحداث ومتابعة للوقائع، لأن التاريخ الإسلامي صورة حية للأمة الإسلامية ترى فيها ملامح الأمة الحقيقية، ومعالمها الخاصة المميزة لها على سائر الأمم.

وتلك الدراسة لا تتأتي لكل إنسان يقرأ التاريخ بل تحتاج إلى إنسان ذي خصائص عملية معينة تؤهله لأن يقف أمام الأحداث متمعناً، ويدرسها دراسة الخبير الممارس، فيحلل الوقائع، ويردها إلى الأسباب التي هي أجدر بأن ترد إليها، ويستنتج منها الدوافع التي أدت إلى فعلها".(3)

المطلب الثاني: في عهد الصحابة والخلفاء الراشدين.

الصحابة هم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وهم الذين عاصروا نزول الوحي، وهم أكثر الناس إقتداء برسول الله ﷺ، وهم الذين تحملوا مع رسول الله ﷺ أعباء الدعوة وإنشاء الدولة قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة10-11]. وكانوا سفراء الإسلام أينما حلوا وارتحلوا كما قال ﷺ: (خير الناس قرني) (4) فشهد لهم الصادق المصدوق بالخيرية وأكملوا بعد رسول الله ﷺ الخلافة الراشدة، التي كانت نموذجاً مضيئاً يحتذى به في كل الأزمان، وقد فتح الله على أيديهم بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى بلاد المغرب غرباً، وقد رسّخوا جذور الحكم الإسلامي على الأرض حتى أصبحت صفحة ناصعة ويشهد لها العدو قبل الصديق، حتى عندما كانوا يختلفون في أمرٍ ما تكون لكل طرف منهم مصوغاته الشرعية، ونصيبه من الحق، وإن وقع بينهم الاختلاف

---

(1) عماد الدين خليل / دراسة في السيرة/ ص 6.

(2) إتمام الوفاء/ ص 3.

(3) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين/ ص 5.

(4) صحيح البخاري – كتاب الشهادات – باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد– حديث رقم(2652) – 3/171– تحقيق: محمد الناصر– دار الطوق– بدون رقم وسنة طبعة.

فهو خلاف ظاهري لا يتعدى اللسان وكان هدفهم الوحيد رفعة الإسلام والإرتقاء به إلى مرتبة الفلاح.

المطلب الثالث: في عهد الخلافة الأموية

أول خليفة أموي هو معاوية بن أبي سفيانﷺ، ولاه عمر بن الخطاب ﷺ على الشام، ثم أقره من بعده عثمان بن عفان، وبعد وفاة عثمان وقع بينه وبين علي خلاف، وبقى الخلاف حتى وفاته، ومن بعده ابنه الحسن حتى عام 40هـ حيث تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية وسمي هذا العام بعام الجماعة، وأستتب الأمر لمعاوية وكان ذو حكمة وسياسة حتى أحبه كل أهل الشام، وقد استحدث معاوية أمراً جديداً في الحكم لم يسبقه إليه أحد، وهذا الأمر له وعليه، وهو أن يعهد للخلافة من بعده لإبنه قبل وفاته، ولهذا الأمر أثار حفيظة بعض الرعية، ولكن كان أكثر ما ميز صدر الخلافة الأموية كثرة الفتوحات وانتشار الأموال حتى عاش الناس في ترف وكذلك الخلفاء الذين عاشوا في ترف كبير بعيداً عن الرعية، ولكن هذا الأمر لم يوقف من الفتوحات الإسلامية، رغم وجود بعض الخارجين على الخليفة من الولاة، ومن ميزات الخلافة الأموية وجود الخليفة عمر بن عبد العزيز[(1)] الذي سمي فيما بعد الخليفة الراشد الخامس لما كان في عهده رخاء وعدل وأمان لحسن تزيده وحكمته وتطبيقه لمنهج الإسلام الذي فرط فيه من قبله، وقد بقيت الخلافة الأموية صامدة أمام المؤامرات حتى ظهر الخلاف بين صفوف العائلة الحاكمة على من يتولى خلافة العهد،وظهور العصبية الجاهلية في القيادة العسكرية والأمصار ولم تدم هذه الخلافة طويلة بعد أن بدأت عام 40 هـ وأنتهت 132هـ حيث وجد العباسيون الفرصة سانحة فثاروا عليهم، ولكن هذه الخلافة كانت لها جوانب إيجابية كثيرة ولكن عندما دبت العصبية والخلاف ضعفت شيئاً فشيئاً وانتهت، ونحن في هذا المقام يهمنا الدراسة التاريخية بما فيها من إيجابيات لنستفيد منها ونترك السلبيات لأننا لا نحكم على رجال سبقونا وهذا رأي كثير من المؤرخين.[(2)]

على أن الخبرة والممارسة وحدهما لا يكفيان لدراسة التاريخ تلك الدراسة العلمية الملهمة دون أن يراعي الدارس ما يأتي.

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، عالم وفقيه، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين، تشبيهاً له بهم، وهو من ملوك الدولة الأموية، ت سنة 103هـ، الأعلام للزركلي، (ج4/ص50).

(2) انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) / (ج2،ص4)

1- "يجب أن نعلم أن الذين صنعوا هذا التاريخ من البشر يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان وإن كانوا من كبار الصحابة وأجلائهم، وإن إدراك هذه الحقيقة يخفف عنا كثيراً من الصدمات التي قد يصاب بها الدارس الذي يخفي عليه إدراكها.

2- ينبغي أن نعلم أن أحداث التاريخ ووقائعه قد كتبت في ظروف تختلف تماماً عن الظروف التي ندرسه فيها فبينما تلقى المؤرخون الأحداث تلقياً عن طريق الرواة ؛ بينما نحن لا نقبلها إلا بعد أن تمر بفحص دقيق، وتجارب عديدة، وتجتاز الاختبار بنجاح.

3- إن كثيراً من الأحداث التاريخية كان لها من الظروف ما يبرر فعلها في نظر المؤرخين فأثبتوها تقديراً لتلك الظروف، وإن لم يذكروا تلك المبررات فخفيت على الدارسين فردوها أو تشككوا في صحتها، ونحن لا نستطيع النجاة مما وقع فيه هؤلاء حتى ندرك تلك الظروف ونقدرها قدرها.

لهذا كان لزاماً على دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه والحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي اكتنفت تلك الأحداث قبل أن يحكم عليها حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب في تلك الظروف الجزئية التاريخية".(1)

المطلب الرابع: الخلافة العباسية.

كان بنو العباس ابن عبد المطلب يروا في أنفسهم أولوية في الحكم من بني أمية وعندما دبّ الضعف في بني أمية ثار عليهم بنو العباس وتسلموا زمام الحكم وبدأت الخلافة العباسية بالخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح، وقد حكمها 37 خليفة خلال 424عام كان أخرهم عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بن الظاهر الذي قتل على يد التتار وكانت نهاية الخلافة العباسية وكان أهم ما يميز الخلافة العباسية تقريبهم للعلماء والحث على العلم وتشجيعه حتى أصبحت بغداد مقر الخلافة منارة للعلم في بلاد الإسلام، فقد خرجت الكثير من العلماء في هذه الفترة، وظهرت المذاهب الفقهية وهو دليل على التطور الفكري الذي كان من شأنه أن يرتقي بالدولة إلى صدارة العالم وأن تبسط الخلافة نفوذها من حدود الصين شرقاً إلى المغرب والأندلس غرباً في فترة ازدهرت فيها الدولة كان العجم يحسبون لها الحساب، ولله سنة في خلقه لا يحابي بها أحد، حتى لو أدعى لنفسه القرابة من رسول الله ﷺ فعندما ظهرت فيها الأمراض وذب فيها الضعف وتخلفوا عن الأخذ بالأسباب سلط الله عليهم كفار العجم من التتار فاستأصلوهم وأزالوا من التاريخ خلافة إسلامية كانت لها صولة وجولة، ولكن ما يهمنا من هذا الموضوع أن نقف على الإيجابيات لنستفيد منها في عصرنا الحاضر، وأن نقف على السلبيات لكي نحذر من الوقوع فيها.

---

(1) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين/ ص5-6.

ومن أهم إنجازات الخلافة العباسية:

1. اهتمامها بالعلم الديني وتأليف الكتب الدينية.
2. حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية مما ساعد على تداخل الثقافات.
3. الاهتمام بالصناعات المدنية والعسكرية.
4. الحرص على حسن الجوار مع الشعوب المجاورة وتبادل الهدايا.
5. الحرص على وحدة الصف الداخلي والتصدي للمؤامرات. (1)

أسباب ضعف الدولة العباسية :

1. ظهور النزعة القبلية والعصبية.
2. الاعتماد على فئات معينة في الوزارات مثل البرامكة والسلاجقة.
3. التساهل والسماح في ظهور بعض الفرق الباطنية مثل القرامطة.
4. منافسة العلويين للعباسين لكونهم من أل البيت فهم يروا أنفسهم أحق بالخلافة. (2)

المطلب الخامس: الخلافة العثمانية

منذ أن سقطت الخلافة العباسية على يد التتار لم تستسلم الأمة الإسلامية بل بقيت تحاول أن تنهض بنفسها لاستعادة الخلافة ولم توفق قي ذلك الحين ولكنه برز عهد الدويلات الإسلامية المتناثرة في أنحاء الوطن الإسلامي كجسد بلا رأس حتى نشأت الخلافة العثمانية على يد (عثمان بن أردغون) عام (699هـ /1280 م)، وترعرعت وقويت حتى أصبح البحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين والبحر الأحمر بحيرات إسلامية لا يدخلها أحد من الإفرنج حتى يدفع الجزية وقد تكالب عليها الصليبيون من شرق أوروبا ومن شمال أفريقيا وخاضت هذه الخلافة حرباً مع الصليبين بمعدل مرة كل 3سنوات، حيث أثقلت هذه الحروب على خزينة الدولة واشتدت عليهم المؤامرة لإسقاط الخلافة من الدول الصليبية الذين يرون أن الخلافة العثمانية صخرة تَحول دون التوسع الاستعماري للدول الصليبية، مما أدى إلى هزيمتها بالحرب العالمية الأولى (من 1914م إلى 1919م) حيث حكمت الخلافة العثمانية ما يقرب من 600 (3) عام، وتوارث الصليبون جزءاً

---

(1) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)/ ص 118، 297.

(2) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)/ ص 489، 497.

(3) من سنة 699هـ / 1300م - 1318هـ/ 1909م، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ص19.

كبيراً من أراضي هذه الخلافة، وكان أخر هؤلاء الخلفاء السلطان عبد الحميد الثاني الذي أقصي عن الحكم عام (1327هـ/1909م).

"**ولقد كان من أسباب فلاح الخلافة العثمانية ما يلي:-**

1. دولة يقوم نظامها السياسي على عقيدة التوحيد، وتطبيق شريعة الله.
2. تقوم على الشورى.
3. دولة يقوم نظامها الاقتصادي على التعامل بالذهب والفضة. وعدم التعامل بالربا.
4. دولة يقوم نظامها التعليمي والإعلامي على قاعدة من العلوم الشرعية.
5. دولة تقوم علاقتها الدولية على أساس الإسلام التي وضعها الله ﷻ حيث قال :﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**[٩:]**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الممتحنة8-9] الدولة العثمانية كانت تطبق شريعة الله في غالب عهدها، وتقيم الحدود، وتحرم ما حرم الله، ولا تستحل إلا ما أحل الله.
6. شق الطرق وسكك الحديد لربط أطراف الدولة بالعاصمة وتسهيل نقل الحجاج والنشاط التجاري".[(1)]

"الدولة العثمانية ظلت تنازل أوروبا الصليبية وتجاهدها على مدار ستمائة عام (منذ القرن السابع الهجري وحتى القرن الثالث عشر) لقد كانت سداً منيعاً في وجه الأطماع الأوربية (التي حملت لواء الصليب) في العالم العربي الإسلامي، كانت ثروات العالم الإسلامي وخيراته للعالم الإسلامي، كانت (مصر) على سبيل المثال إحدى ولايات الدولة العلية (العثمانية) مصدراً للغلال ومصدراً للسلاح، وكانت أوروبا تتسول سلاحها ورغيف الخبز من على موائد المسلمين!" [(2)]

وقد اعتمدت الخلافة العثمانية على نشر روح الجهاد وعسكرة الدولة وفتحت بلاد جديدة لم تكن من قبل حتى وصلت إلى حدود ألمانيا والمجر والبوسنة والهرسك ولا زالت الجاليات الإسلامية من أصول تركيا موجودة هناك حتى الآن.

---

(1) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ (الدولة العثمانية) / ص 3.

(2) المرجع السابق/ ص 5.

عوامل ضعف الخلافة العثمانية:

1. كثرة الحروب الذي خاضتها الدولة مع الدول الصليبية.
2. المؤامرات الخارجية من الدول الصليبية.
3. ظهور النعرات القومية في الدولة العثمانية.
4. بروز عنصر الشباب الثوري في الحلبة السياسية الذي لا يملك الخبرة.
5. تسلق بعض العملاء من يهود الدونمة في سلم القيادة.
6. الضعف الاقتصادي عند الدولة وكثرة الديون وتخلي الأفراد عن دفع الزكاة.
7. نقض العهود من الولاة وتخلصهم من السيادة العثمانية.
8. تفشي الرشوة وقطاع الطرق.
9. كثرة الأعداء من كل جانب حتى أصبحوا يعيشون في محيط من أعداء.(1)

"ولكي نعلم كم هي قوة السلاطين العثمانيين حتى في حالة الضعف الموقف التاريخي للسلطان عبد الحميد الثاني(2) يجب أن يكتب بمداد الذهب وأن يحفر في عقول الرجال للأجيال القادمة تمسكه بأرض فلسطين عندما جاء الزعيم الصهيوني(ثيودر هرتزل) والحاخام (موسى ليفي) يعرض عليه تسديد كل ديون الدولة العثمانية وأمداد الخزينة بأربعة ملايين ليرة ذهبية من أجل السماح لليهود بالأقامة في فلسطين، فكان رده الصارخ في وجوههم حيث قال:"(إن أراضي الوطن لا تباع لأن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه)"(3)

المؤامرة الصهيونية على الخلافة العثمانية.

"لقد علم اليهود أنه لا يمكن أن يكون لهم موطأ قدم في فلسطين فخططوا لتدمير الخلافة العثمانية بعد أن رفض السلطان عبد الحميد الثاني إعطاءهم إذناً بالإقامة في فلسطين وساعدهم على ذلك التواطؤ العالمي من الثورة الشيوعية والانجليزية والأمريكية وقد التقت المصالح الأوروبية بالتخلص من اليهود وشرورهم مع مصلحة اليهود في إقامة وطن قومي على فلسطين.

---

(1) انظر: السلطان عبد الحميد الثاني ، آخر سلاطين الخلافة العثمانية، تآمر عليه اليهود والاتحاديون، فخُلع عن العرش في نيسان 1909م، بسبب موقفه الرافض لتوطين اليهود في فلسطين. جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين، ص14.

(2) آخر الخلفاء العثمانيين، بويع للخلافة عام 1876م/ 1909م، مرجع سابق، ص11.

(3) السلطان عبد الحميد الثاني/ مرجع سابق/ ص 7.

واقتنع وايزمن بالفكرة وقال للينين: فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود الامبراطورية العثمانية، وبتدميرها تزول الحواجز والعقبات التي تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد عمرها أصبح محدودا وانهيارها وشيكا".[1]

وقد قال هرتزل[2] في أحد اجتماعاته مع الصهيونية العالمية: "وقد نشر هذا التقرير بعد عشرين عاماً في صحيفة فلسطين الصادرة في القدس في 1921/8/24. (أقرر على ضوء حديثي مع السلطان عبد الحميد الثاني أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية، أما على طريق الزج بها في حروب تنهزم فيها، أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية، أو بالطريقين معا في آن واحد".[3]

"ومن المؤامرات الصهيونية على الخلافة العثمانية: ولعل أخطر دور لعبته الدعاية الإعلامية اليهودية من خلال الصحف التي كانت تسيطر عليها في أوروبا وفي تركيا نفسها. ومن خلال الجمعيات الماسونية التي فرختها الصهيوينة، هو ذلك النشاط الذي لعب دوراً كبيراً في تنفيذ مؤامرة الردة الكافرة في تركيا، وأدى إلى إبطال مفعول الخلافة الإسلامية، والقضاء على الكيان الإسلامي لتركيا."[4]

ومما تقدم يتبين لنا الكنز الكبير الموروث التاريخي للأمة الإسلامية، بما يكفي أن يكون قاعدة أساسية للإنطلاق منه في رفع شأن الأمة، والاستفادة من حضارة السابقين وتجربتهم. بما يكفي سلامة الطريق ووضوح الرؤية وفلاح العاقبة، ولهذا فالأمة الإسلامية تحتاج إلى محرك يدفعها إلى الأمام لحمل الراية والانطلاق نحو الفلاح بكل ما تحمله من ميزات دينية واقتصادية وجغرافية واجتماعية ونسأل الله أن يكون قريباً.

ثانياً: مبشرات واقعية

إن الله ﷻ إذا أراد أمراً هيئ له الأسباب وجعل له مقدمات فكان ميلاد يحيى عليه السلام مقدمة لميلاد عيسى عليه السلام، ومقتل أبرهة الحبشي مقدمة لميلاد الرسول ﷺ، ولأن سنة هذا الكون التدرج في الإعداد حتى ينضج الثمر ويستفيد منه الإنسان والدعوة الإسلامية في بداية العهد المكي كانت سرية ثم ظهرت مستضعفة، وهاجرت إلى الحبشة حماية لأفرادها ثم هاجرت إلى المدينة حفاظاً على

---

(1) السرطان الأحمر/ ص 89. ط1.

(2) ثودور هرتزل: مؤسس الصهيونية الحديثة، وصاحب فكرة إقامة دولة إسرائيل (1860- 1904م). المتـديون في المجتمع الإسرائيلي ، ص 149.

(3) جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك / ص46-47.

(4) المرجع السابق/ ص 49.

دعوتها، ثم انتشرت في أنحاء الجزيرة العربية ثم في جزء كبير من الكرة الأرضية، والله ﷻ يوجد بذور الخير من قلب محيـــط الشر، فموسى ؑ تربى في بيت فرعون وكان سبب في هلاكه، ومحمد ؑ وجد في مكة دار الكفر والجاهلية وكان سبب في هدايتها.

وأن المقاومة الفلسطينية التي ولدت في حجر الاحتلال ستكون سبباً في هلاكه إن شاء الله. وأن البلاد العربية والإسلامية تحمل مقومات الفلاح واتساع بلادها وتواصلها الجغرافي والطاقات البشرية والفكرية، والموارد الاقتصادية الهائلة والدين الواحد، والقبلة الواحدة والهدف المشترك، ولهذا فإن الدول الصليبية تعلم جيداً هذه الحقيقة وتضع العراقيل أمام وحدة الشعوب الإسلامية بالتفرقة تارةً أو تذكية الخلافات فيما بينهما تارةً أخرى، "ويقول محمد الغزالي: إن الغرب الصليبي يَعُدُّ الأمة الإسلامية تركة لا صاحب لها، وهو يتحكم في علاقتها بيديه، ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعه، وإخفاء ما يكره من شعائره!

وهو يعطي نفسه حق محو الإسلام من أي بلد وتنكيس لوائه في أي أرض. وهو قد يعامل بعض الحكومات الإسلامية برفق في نطاق ما يصون منفعته فحسب فإذا غاضت هذه المنفعة بدا ما كان مستخفياً من عداء.(1)" ولكن الله متم أمره ولو كره الكافرون قال تعالى ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**﴾ [التوبة:32] " إن الإسلام نمط في الحياة متميز بعقائده وشرائعه وفضائله

"ونحن مستعدون أن نعلم الجاهلين بالإسلام، ومستعدون كذلك لمقاومة الجاحدين المرتدين، وإن الدنيا انخفاض وارتفاع، وتقدم وتقهقر وقد هبطنا حيناً، ونوشك أن نأخذ طريقنا مصعدين. وفي طريق الصعود نريد أن نزداد علماً بما لدينا وما لدى غيرنا من مبادئ."(2) ومن الأمور التي تبشر بقرب أجل قيام المارد الإسلامي ما يلي:-

المطلب الأول: سقوط الشيوعية.

لقد قامت الشيوعية على فكرة محاربة الدين ونشر الأفكار والأكاذيب وفساد الأخلاق وتفكك المجتمع حتى يسهل عليها السيطرة على عقول الناس قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ**

---

(1) الإسلام في وجه الزحف الأحمر/ ص8-9.

(2) المصدر السابق/ ط6- ص1-18.

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:64] ولذلك فإن الشيوعية صبت جام غضبها على الأديان وحاربت الإسلام والمسيحية وهادنت اليهودية لأن قادتها كانوا من اليهود، ومن أقوالهم في الأديان :-

1. يقول ماركس[(1)]:(الدين أفيون الشعوب)، ويقول:(إن الله لم يخلق الجنس البشري بل الإنسان هو الذي خلق الله)
2. يقول لينين[(2)]: (الدين خرافة وجهل). (وفي المؤتمر الثالث للشباب يقول لينين: (إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا استغلالا).
3. يقول ستالين[(3)]: سنة 1937 (يجب أن يكون مفهوماً أن الدين خرافة وإن الإلحاد مذهبناً).
4. تقول برافدا السوفيتية[(4)]: (نحن نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة.[5]).

"ولكن الفكرة الشيوعية فكرة فاشلة من الناحية الاقتصادية والفكرية والاجتماعية وقد أثبتت فشلها إذ أنها هزمت في عقر دارها، لأنها فكرة تصطدم مع فطرة الإنسان السليم، وقد تنبأ بعض المفكرين بسقوطها وهي في أوج قوتها قبل أربعين عاماً من سقوطها لأنها فكرة تصطدم مع فطرة الإنسان، مع العلم أنها انتشرت بقوة الحديد والنار، وهكذا منهج الشيوعية بتسلطه على الشعوب[(6)]"

يقول سيد قطب :" فأما المنهج الإسلامي فيسير هيناً ليناً ــــ مع الفطرة ــــ بوجهها من هنا، ويدودها من هناك؛ ويقوّمها حين تميل. ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها ولا يجهدها كذلك. إنه يصبر عليها صبر العار البصير، الواثق من الغاية البعيدة المدى، الأكيدة التحقيق." [(7)]

---

(1) كارل ماركس: هو مؤسس الاشتراكية العلمية ، ولد في مدينة ترير في ألمانيا 1818م، كان والده محامٍ ، أعظم شخصيات بالتاريخ، ص (481).

(2) لينين في آي، مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا، منشئاً بذلك أول ديكتاتورية للحزب الشيوعي في العالم، وقد قاد ثورة أكتوبر 1917م، التي مكنت الشيوعيون من السيطرة على مقاليد الحكم في روسيا، ت1924م. الموسوعة العربية العالمية ، (ج12/ص316).

(3) ستالين جوزيف: رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية السابق، من عام 1929م، وحتى عام 1953م. الموسوعة العربية العالمية (ج12/ص152).

(4) من أبرز الصحف الرسمية في روسيا.

(5) السرطان الأحمر/ ص 72.

(6) الاتجاهات الفكرية المعاصرة/ ص153

(7) هذا الدين / ص 35.

والفكر الشيوعي لم يفرق بين الرجل والمرأة في العمل، فاستعمل المرأة في الأعمال الشاقة مثل البناء والزراعة وترك الرجال للمناجم والعسكرية ومع هذا فإن شأن الشيوعية لم تنصف المرأة استغلتها أسوء استغلال، ولم تعطها أبسط الحقوق الحياتية وحرمانها من ممارسة دور الأمومة حيث كان يأخذ الأطفال منذ الولادة بسبب عجز أبويهم عن تربيتهم.

" ومن أخطر ما تقرره هذه الحقوق هو رعاية الفطرة التي فطر الله الناس عليها رعاية الإيمان المغروس فيه والتوحيد الثابت في طاقاته وقدراته. من هنا تبدأ حقوق الإنسان ومن هنا تبدأ مسئولياته، ومن هنا ينشأ الخطر الحقيقي عند الإساءة إلي هذه الفطرة أو التشويه لها. ولا شيء يفسد الفطرة ويغلق منافذ السمع والبصر والفؤاد إليها مثل العمل الفاسد، العمل السيء الآثام كلها، بمختلف صورها وأشكالها."(1)

المطلب الثاني: الصحوة والحركات الإسلامية.

لقد جثم الاستعمار على الأمة الإسلامية سنين طويلة وأبعدها عن مصدر عزتها – الإسلام- وحارب الإسلام بتجفيف منابعه العلمية، فأصبح في كل بلد علماء يعدون على أصابع اليد الواحدة لا شغل لهم إلا الحديث عن أمور الطهارة والحيض والنفاس، وقدر الله أن ينفخ روح الحياة في الأمة الإسلامية فقال تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ {البقرة:243}، فأقيمت الجامعات والكليات الشرعية ووجدت نواة صلبة من العلماء المخلصين وحملوا هم الإسلام والمسلمين، وبارك الله في جهدهم، وبدأت تبرز في المجتمعات الإسلامية والعربية مظاهر من الصحوة الإسلامية كبناء المساجد والمؤسسات الإسلامية، وأصبحت ترى في الشارع رجالاً ونساء بالمظهر الإسلامي، ونمت هذه البذرة الصالحة حتى أصبحت بلدان إسلامية تظهر بالصبغة الإسلامية، حتى تجاوزت هذه الصحوة الإسلامية البلاد الإسلامية إلى الدول المجاورة ووصلت أوروبا والأمريكتين مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [إبراهيم:24] " وحول المعنى والتصور فسنجد الأدلة الكثيرة علي ما يؤيدها في واقعنا اليوم ويمكن أن نعدد نماذج من ذلك لتطمئن النفوس، إسلام عدد من أهل الغرب ومفكريه، ومن بينهم الطبيب موريس بوكاى والفيلسوف الشيوعي روجيه جار ودي، الفرنسيان، والدكتور عبد الرحمن آرنور جوستان، وقيام مراكز وهيئات وجمعيات إسلامية في بلاد

(1) الصحوة الإسلامية إلى أين..؟ / ص 146.

كثيرة من العالم مثل: انجلترا، وألمانيا، وأسبانيا، البرتغال، فرنسا، أمريكيا، وفي قارتي أسيا وأفريقيا، بالإضافة إلي المراكز والجمعيات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي.(1)" وتطور مظهر الصحوة الإسلامية إلى النضوج الحركي والسياسي حيث أصبح هناك أحزاب سياسية تمثل الجماعات الإسلامية، وكلها تحاول الوصول إلى الحكم بطريقة الوعي والانتشار للحصول على نسبة برلمانية تمكنها من تنفيذ برنامجها الديني والسياسي.

ومن فضل الله ﷻ في مطلع عام 2011 برز الحراك الشعبي الذي أطاح ببعض الأنظمة الجبرية التي تسلطت على الحركات الإسلامية وضعت الموانع والعراقيل أمامها لتحد من نشاطها، وكذلك كان الاعتقال والإبعاد لقادة الحركات الإسلامية، وفي النهاية ظهر قول الله عليهم قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:21] ومن مظاهر الصحوة الإسلامية كذلك انتشار الكتب الإسلامية والصحف والمجلات والمواقع الإسلامية على الشبكة العنكبوتية والمرئيات الفضائية، ووجود وسائل الاتصال الحديثة داخل القطر الواحد وخارجه سهل الاتصال، والتنسيق بين الأفراد والجماعات على تبادل الخبرات والمشاريع الدعوية الناجحة، وكذلك عملت بعض الحركات والجماعات الإسلامية مؤسسات اجتماعية ترتقي بالمستوى الاجتماعي، والذي من شأنه أن يساعد في انتشار الصحوة الإسلامية ومن مظاهر الصحوة الإسلامية وجود حركات ومؤسسات إسلامية تدعو إلى الوسطية في الفكر والاعتقاد بعيداً عن الجمود والجحود يعني بعيداً على التفريط أو التكفير، فكلاهما يسئ للإسلام ووجدنا في أيامنا هذه دعاة ينشرون فكرة الوسطية الذي جاء به محمد ﷺ ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: " إن أول ما يجب على شبابنا أن يصنعوه هو تصحيح نظرتهم، وتقويم أفكارهم حتى يعرفوا دينهم على بصيرة ويفقهوه عن بينة.

ونقطة البداية في هذا الفقه المشدود هي سلامة المنهج الذي يجب أن يسلكوه في فهم الإسلام والتعامل، مع أنفسهم ومع الناس والحياة على أساسه.(2)" وإذا وقفنا على كل ما تقدم نجد أن فلاح الأمة الإسلامية قريب جداً لانتشار الرغبة في الوصول إلى الفلاح ونسأل الله أن يكون قريباً.

المطلب الثالث: الوحدة العربية والإسلامية.

كانت الدول العربية والإسلامية مفككة ومع مرور الزمن بدأت تبحث عن مصلحتها في وحدتها وبرزت في الآونة الأخيرة مؤسسات تساعد على تمهيد الطريق للوحدة العربية الإسلامية

(1) الصحوة الإسلامية إلى أين..؟ / ص 17 -18

(2) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف/ ص150.

فهناك منظمة obec أوبك[1].تنظم علاقة الإنتاج، ومجلس التعاون الخليجي[2] ينظم العلاقات السياسية والتجارية، إتحاد المغرب العربي[3] وأهم من ذلك منظمة المؤتمر الإسلامي[4]، وجامعة الدول العربية[5]، إذ هناك ميزات تساعد على الوحدة.

1. الترابط الجغرافي، بنغلادش شرقاً حتى المغرب غرباً ومن السودان ونيجيريا جنوباً حتى أوزبكستان وطاجكستان شمالاً.
2. وحدة الدين.
3. غزارة الموارد الطبيعية.
4. وجود الطاقات البشرية المفكرة والعاملة.
5. المركز الجغرافي في وسط العالم.
6. تحكمها في المداخل الإستراتيجية مثل باب المندب مدخل البحر الأحمر، وجبل طارق مدخل للبحر المتوسط والخليج العربي.

ووجود تكتلات سياسية واقتصادية في العالم مثل الإتحاد الأوروبي[6] كوحدة اقتصادية، والولايات المتحدة كوحدة سياسية واقتصادية،وشرق آسيا كتلة اقتصادية، كل هذا يوجب على العرب والمسلمين أن يكونوا وحدة سياسية واقتصادية، وإذا وصلوا لهذه الحالة فإنهم سيحكمون العالم سياسياً واقتصادياً ولكن الإخطبوط العالمي من الدول الصليبية سيعملون كل جهدهم من أجل الحيلولة إلى بلوغ العرب والمسلمين هذه المكانة، " فلابد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها ليحقق المسلمون لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة. السعادة في الدنيا باجتماع

---

(1) هي منظّمة عالمية تضم إثناعشرة دولة تعتمد على صادراتها النفطية اعتمادا كبيرا لتحقيق مدخولها. ar.wikipedia.org

(2) هو منظمة إقليمية عربية مكونة من ست دول أعضاء تطل على الخليج العربي هي الإمارات والبحرين والسعودية وسلطنة عمان وقطر والكويت واليمن. ar.wikipedia.org

(3) اتحاد المغرب العربي(ا م ع)(UMA) ، اتحاد المغرب العربي تأسس بتاريخ 17فبراير 1989L م بمدينة مراكش بالمغرب، ويتألف من خمس دول.ar.wikipedia.org

(4) منظمة المؤتمر الإسلامي تجمع سبعا وخمسين دولة، لدمج الجهود والتكلم بصوت واحد لحماية وضمان تقدم مواطنيهم وجميع مسلمي العالم.ar.wikipedia.org

(5) جامعة الدول العربية هي منظمة تضم دولاً من الوطن العربي ويشترط أعضاؤها دولاً عربية. ar.wikipedia.org

(6) الاتحاد الأوروبي هو جمعية دولية للدول الأوروبية يضم 27 دولة.

الكلمة ووحدة الأمة، وطمأنينة النفس، واستقامة الحياة.. وهي آمال يحلم بها جميع شعوب العالم. ولكنهم لم يهتدوا إلى أسبابها ووسائلها.

ولكن تعدد الغايات وتنوعها يفتت الأمة، ويشتت كلمتها، ويجعل كل فئة من الأمة لها غاية تخالف غاية الفئة الأخرى نسعى لتحقيقها والوصول إليها، فغاية اقتصادية.. وغاية سياسية.. وغاية شهوانية.. وهكذا غايات متعددة تنتهي بهم إلى فئات متصارعة وسبل متفرقة.(1)"

ويجب على المسلمين أن لا ييأسوا من بلوغ هذه الغاية وقد حباهم الله بكل المميزات التي سبق ذكرها.

"لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض.. وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعة، وأعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياما رضية كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون. (2)"

وإن كان العالم الإسلامي يمتد عبر ألاف الكيلو مترات فإن وسائل المواصلات الحديثة كالطائرات والسفن تقرب المسافة، وكذلك وسائل الاتصال الحديثة باستخدام الشبكة العنكبوتية تجعل مع العالم كله وحدة متقاربة فلم يعد هناك شئ بعيداً أو صعباً، فحين ندعو إلي استئناف حياة إسلامية حقيقية، يقوم عليها مجتمع إسلامي متكامل، تقوده دولة إسلامية معاصرة، "تتعامل مع عالم متشابك العلاقات، متعدد المذاهب، تقاربت فيه المسافات والحواجز، حتى أصبح كأنه بلد واحد.. يجب علينا أن ندرك أن المجتمع القوي والضعيف، والرجل والمرأة، والشيخ، والطفل، وفيه الظالم لنفسه بجوار المقتصد والسابق بالخيرات، فيلزمنا أن نراعي هؤلاء في التوجيه والإفتاء والتشريع.(3) "

إن الوحدة إذا وجدت النية الصادقة من قيادتها رغم وجود بعض العوائق البسيطة من اللغة والعادات والتقاليد بسبب الأتساع الجغرافي، فلقد كانت الخلافة العباسية والخلافة العثمانية تحكم بتلك البلاد لعدة قرون، وإذا كان قيام الأمة المسلمة الواحدة أمراً من عند الله، وقاعدة من قواعد هذا الدين، فقد هيأ الله له الأسباب، وقد وضع في دينه الأسس التي يجب أن يلتقي عليها المؤمنون، وكذلك الأسس التي تلتقي عليها الحركات الإسلامية ،" لتتجمع الجهود المؤمنة الصادقة كلها في مجري خيرٍ واحد، حتى لا تتبدد وتتمزق، وإن السعي الجاد إلي بناء الأمة المسلمة الواحدة علي

(1) الوحدة الإسلامية أسسها، وسائل تحقيقها/ ص 36.

(2) مذاهب فكرية معاصرة/ ص 645

(3) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف/ ص 157

جوهر التوحيد وقواعد الإيمان، علي كتاب الله وسنة رسوله، علي الحق الذي تقوم عليه السموات والأرض، إن هذا السعي الجاد هو حقيقة الصحوة الإسلامية وجوهرها.

إن التوحيد بكل صفائه وجلائه هو جوهر قيام الأمة المسلمة الواحدة، وهو جوهر لقاء المؤمنين. ويحمل التوحيد ذاته أقوى إشارة إلى البعد الإنساني في قيام الأمة الواحدة، حيث يكون التوحيد جوهر وجوده ماضيه وحاضره ومستقبله، جوهر دنياه وآخرته.(1) "، ومما تقدم يتبين لنا أن الأمة الإسلامية بإمكانها أن تصل إلى تلك الغاية السامية ولابد لدولة إسلامية أن تقوم بتبني فكرة المشروع الحضاري الإسلامي الكبير والذي يجب أن يضم إليه أغلب الدول الإسلامية أن لم يكن كلها وهذا المشروع يبدأ بالفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة التي ترتبط بالدولة الأم سياسياً واقتصادياً وعقائدياً والولاء التام لتلك الدولة الأم، وأنا أظن أن الدولة الأم المرشحة لهذا الدور هي تركيا لما تملكه من ميزات جغرافية واقتصادية وعسكرية وتاريخية، فجغرافياً توسطها من العالم الإسلامي واقتصادياً فهي تملك اقتصاداً قوياً، وعقائدياً فهي تدين بمذهب أهل السنة والجماعة وعسكرياً فهي عضو في حلف الناتو(2) أقوى حلف عسكري في العالم ونسأل الله أن يوفق المسلمين لذلك.

المطلب الرابع: الثورات الشعبية (الشبابية)

وها نحنُ نرى في مطلع عام 1432هـ انتفاضة الشعوب الإسلامية على الطواغيت مثل تونس ومصر وليبيا واليمن فهذه مبشرات من الواقع على أن الأمة بخير وبدأت في التخلص من أنظمة الفساد قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: 243]، وأن سنة الله في هذا الكون التغيير قال تعالى :- ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]. وجاء في معناها (يعز أقواماً ويذل آخرين)(3)

وفوجئنا في مطلع عام 2011م بالثورات الشعبية في تونس ومصر واليمن، وليبيا وسوريا خلال أشهر قليلة، وهذا التغيير يبشر بميلاد عهد جديد، يكون للإسلام فيه صولة وجولة، وأن الله ﷻ إذا قدر أمراً هيأ له الأسباب بأضعف جنده، فقد رأينا هلاك فرعون عندما تبع موسى عليه السلام في

---

(1) الصحوة الإسلامية إلى أين..؟ (ص117/ 118).

(2) هي منظمة تأسست عام 1949 بناءا علي معاهدة شمال الأطلسي.ar.wikipedia.org

(3) أنظر: الخازن (ج 4/ ص 228)، فتح القدير (ج5/ ص162)

البحر وهو يعلم أن موسى ساحرٌ وإذا تبعه فسيصاب بالسحر، إلا أنه تبعه تنفيذاً لقدر الله، وحضارة سبأ التي كانت في اليمن أرسل الله فأرة نقبت السد فتهدم وغرقت سبأ وذهبت حضارتها.

وإن عدو الله شارون دخل المستشفى وهو يجلس على النقالة بكامل وعيه، وقام طاقم أطباء متقدم جداً ومتخصص في الأمراض الدموية بإعطائه جرعة دواء لمنع تجلط الدم، إلا أن هذه الجرعة سببت له الجلطة والغيبوبة حتى يومنا هذا، وعجز الأطباء أن يقدموا له أي شيء، فها هو ما يقرب من ست سنوات في غيبوبة مستمرة ليلحق بأخيه فرعون، ولم يكن أحد يدري أن محمد بوعزيزي عندما أشعل النار في نفسه سيكون رمزاً للثورات الشعبية العربية التي اقتلعت عروش الطغاة.

وقد سميت هذه الثورات بثورة (face book) لأنها كانت وسيلة الاتصال بين الشباب عبر الشبكة العنكبوتية، وقد حاولت الحكومات الظالمة تعطيل عمل هذا الموقع ألا أن الشباب أستعملوا الرسائل بالهاتف المحمول، ووجود الفضائيات المستقلة التي كانت تنقل الأحداث من الساحة مباشرة ساهم في تزايد حدة الثورات في الوطن العربي.

أولاً: الثورة التونسية (17ديسمبر/ 2010 -14 يناير 2011).

والتي تعرف أيضًا **بثورة الكرامة** أو **ثورة الأحرار** أو **ثورة الياسمين** أو **ثورة 14 جانفي،** (هي ثورة شعبية اندلعت أحداثها في 18ديسمبر 2010 تضامنًا مع الشاب محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في جسده في 17ديسمبر 2010 تعبيرًا عن غضبه على بطالته ومصادرة العربة التي يبيع عليها من قبل الشرطية فادية حمدي) وقد توفي البوعزيزي بيوم الثلاثاء الموافق 4يناير 2011 نتيجة الحروق في مستشفى بن عروس للحروق البليغة[3])

أدى ذلك إلى اندلاع شرارة المظاهرات في يوم 18ديسمبر 2010 وخروج آلاف التونسيين الرافضين لما اعتبروه أوضاع البطالة وعدم وجود العدالة الاجتماعية وتفاقم الفساد داخل النظام الحاكم. ونتج عن هذه المظاهرات التي شملت مدن عديدة في تونس عن سقوط العديد من القتلى والجرحى من المتظاهرين نتيجة تصادمهم مع قوات الأمن، وأجبرت الرئيس زين العابدين بن علي على إقالة عدد من الوزراء بينهم وزير الداخلية وتقديم وعود لمعالجة المشاكل التي نادى بحلها المتظاهرون، كما أعلن عزمه على عدم الترشح لانتخابات الرئاسة عام 2014.[4] كما تم بعد خطابه فتح المواقع المحجوبة في تونس كاليوتيوب بعد 5 سنوات من الحجب، بالإضافة إلى تخفيض أسعار بعض المنتجات الغذائية تخفيضاً طفيفاً. لكن الاحتجاجات توسعت وازدادت شدتها حتى وصلت إلى المباني الحكومية مما أجبر الرئيس بن علي على التنحي عن السلطة ومغادرة البلاد بشكل مفاجئ بحماية أمنية ليبية إلى السعودية يوم الجمعة 14يناير فأعلن الوزير الأول محمد

الغنوشي في نفس اليوم عن توليه رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة وذلك بسبب تعثر أداء الرئيس لمهامه وذلك حسب الفصل 56 من الدستور، مع إعلان حالة الطوارئ وحظر التجول. لكن المجلس الدستوري قرر بعد ذلك بيوم اللجوء للفصل 57 من الدستور وإعلان شغور منصب الرئيس، وبناءً على ذلك أعلن في يوم السبت 15يناير 2011 عن تولي رئيس مجلس النواب فؤاد المبزع منصب رئيس الجمهورية بشكل مؤقت إلى حين إجراء انتخابات رئاسية مبكرة خلال فترة من 45 إلى 60 يومًا. وشكلت الثورة التونسية المفجر الرئيسي لسلسلة من الاحتجاجات والثورات في عدد من الدول العربية].(1)

ثانياً: الثورة في مصر (25 يناير 2011/ 11فبراير/ 2011 م،).

ثورة 25 يناير هي ثورة شعبية سلمية انطلقت يوم الثلاثاء 25 يناير 2011 الموافق 21 صفر 1432هـ .يوم 25يناير الذي اختير ليوافق عيد الشرطة حددته عدة جهات من المعارضة المصرية والمستقلين، من بينهم حركة شباب 6 أبريل[5] وحركة كفاية وكذلك مجموعات الشبان عبر موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك والتي من أشهرها مجموعة «كلنا خالد سعيد» و«شبكة رصد» وشبان الإخوان المسلمين برغم التصريحات الأولية التي أشارت إلى أن الجماعة لن تشارك كقوي سياسية أو هيئة سياسية لأن المشاركة تحتاج إلي تخطيط واتفاق بين كافة القوي السياسية قبل النزول إلي الشارع، كانت الجماعة قد حذرت إذا استمر الحال على ما هو عليه من حدوث ثورة شعبية، ولكن على حد وصفهم ("ليست من صنعنا، ولكن لا نستطيع أن نمنعها .(جاءت الدعوة لها احتجاجًا على الأوضاع المعيشية والسياسية والاقتصادية السيئة وكذلك على ما اعتبر فسادًا في ظل حكم الرئيس محمد حسني مبارك .قبل عامين قامت فتاة تدعى إسراء عبد الفتاح وكانت تبلغ حين ذاك من العمر 17عاماً، من خلال موقعها على "الفيسبوك"، بالدعوة إلى إضراب سلمي، في 6 أبريل/نيسان 2008، احتجاجا على تدهور الأوضاع المعيشية، وسرعان ما لقيت دعوتها استجابة من حوالي 70 ألفا من الجمهور. والنتيجة أن الإضراب نجح، وأطلق على إسراء في حينه لقب "فتاة الفيسبوك" و"القائدة الافتراضية، ومنذ عام ونصف قامت حركات المعارضة ببدء توعية أبناء المحافظات ليقوموا بعمل احتجاجات على سوء الأوضاع في مصر وكان أبرزها حركة شباب 6 أبريل وحركة كفاية وبعد حادثة خالد سعيد قام الناشط وائل غنيم والناشط السياسي عبد الرحمن منصور بإنشاء صفحة كلنا خالد سعيد على موقع فيس بوك ودعا المصريين إلى التخلص من النظام وسوء معاملة الشرطة للشعب.

---

(1) انظر: الموسوعة الحرة ويكبيديا(http://ar.wikipedia.org/wiki/)

وقد تجمع المتظاهرون في أكبر ميادين القاهرة ميدان التحرير وقد سميت هذه المظـــاهرات بالمظاهرات المليونية وكذلك عامة المظاهرات كل من الأســكندرية ،والإســماعيلية، والــسويس. وشارك فيها العنصر الشبابي من الجنسين وشلت الحركة المرورية في المــدن الكبــرى وهــاجم المتظاهرون مراكز الشرطة والآمن المركزي وأحرقوها وكذلك حطم أهــالي المعتقلــون أبــواب بعض السجون وأخرجوا أبنائهم وعمت الفوضى كل مصر، ولا زالت الاحتجاج والتجمع فــي كــل يوم جمعة في ميدان التحرير للمحافظة على إنجازات الثورة ومطالبها وتقويم المسيرة الإصلاحية.

أدت هذه الثورة إلى تنحي الرئيس محمد حسني مبارك عن الحكم فــي 11فبرايــر/شــباط 2011 م، 8ربيع الأول 1432 هــ، ففي السادسة من مساء الجمعة 11فبراير/شباط 2011 م أعلن نائب الرئيس عمر سليمان في بيان قصير عن تخلي الرئيس عن منصبه وأنه كلف المجلس الأعلــى للقوات المسلحة إدارة شؤون البلاد.، وقد طالب المتظاهرون بإنشاء حكومة جديدة مــستقلة برئاســة السيد عصام شرف لإدارة البلاد وقد شكلت الحكومة وقد شكلت الحكومة ولكن بعد ثلاثة أشهر مــن تشكيلها قامت مظاهرة تتطالب بتغير بعض الوزراء الذين كان لهم علاقة بالنظام السابق [1]

ثالثاً: الثورة في ليبيا(17 فبراير2011).

الثورة الليبية هي ثورة قامت أثر احتجاجات شعبية في بعض المدن الليبية ضد نظام العقيد معمر القذافي ، اندلعت شرارة تلك الاحتجاجات يوم الخميس 17فبراير/شباط عام 2011 م على شكل انتفاضة شعبية شملت بعض المدن الليبية. وقد تأثرت هذه الاحتجاجات بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام 2011 م وبخاصة الثورة التونسية وثورة 25 يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك .قاد هذه الثورة الشبان الليبيون الذين طالبوا بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. كانت الثورة في البداية عبارة عن مظاهرات واحتجاجات سلمية، لكن مع تطور الأحداث وقيام الكتائب التابعة لمعمر القذافي باستخدام الأسلحة النارية الثقيلة والقصف الجوي لقمع المتظاهرين العزّل، مما أجبر المتظاهرون على حمل السلاح للدفاع على أنفسهم وقد استخدم العقيد القذافي الطائرات والدبابات والمدافع لسحق الثورة، مما أطر بعد الدول الأوروبية والعربية بالتحرك العاجل لحماية المدنيين، وقد أجتمع التحالف العسكري الأوروبي (الناتو[2]) للتدخل عسكرياً لحماية المدنيين وجعل من ليبيا منطقة محظورة أمام الطيران العسكري والمدني الليبي، مما ساعد الثوار على صد هجمات العقيد معمر القذافي وقد استمرت الحرب ما يقرب من 5 شهور استطاع الثوار من

---

(1) انظر: الموسوعة الحرة ويكبيديا (http://ar.wikipedia.org/wiki/)

(2)هي منظمة تأسست عام 1949 بناءا علي معاهدة شمال الأطلسي، وتشمل أمريكا، بريطانيا، فرنــسا، إيطاليــا، تركيا.(ar.wikipedia.org)

خلالها التقدم ببطئ من بنغازي شرقاً إلى البريقة والجبل الغرب غرباً ولا زالت الحرب بينهم حتى يوماً هذا، وقد قدم الشعب الليبي والثوار ما يقرب من 10 ألاف شهيد من الثوار والمدنيين وهناك عدد كبير من المفقودين، ولم يبقى تحت سيطرة كتائب القذافي إلا طرابلس وهي العاصمة وأكبر المدن الليبية وفيها نص سكان ليبيا، وكان من أشعر شعارات العقيد القذافي (سنجعل من ليبيا نار حمرا، وسنزحف عليهم بالملايين ونبحث عنهم بيت بيت دار دار شارع شارع زنقة زنقة) تحولت إلى حرب تسعى للإطاحة بمعمر القذافي الذي قرر القتال حتى اللحظة الأخيرة. وبعد أن أتم المعارضون سيطرتهم على الشرق الليبي اعلنوا فيه قيام المجلس الوطني الانتقالي لتسهيل الوضع في البلاد واستقراره بعد تحرير الغرب الليبي[1].

رابعاً: ثورة الشباب اليمنية (11فبراير2011).

ثورة الشباب اليمنية أو ثورة التغيير السلمية :هي ثورة شعبية انطلقت شرارتها 3 فبراير وأشتعلت يوم الجمعة 11فبراير/شباط عام 2011 م الذي أطلق عليه اسم "جمعة الغضب" (وهو يوم سقوط نظام حسني مبارك في مصر (متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام 2011 م وبخاصة الثورة التونسية التي أطاحت بالرئيس زين العابدين بن علي وثورة 25 يناير المصرية التي أطاحت بالرئيس حسني مبارك .قاد هذه الثورة الشبان اليمنيون بالإضافة إلى أحزاب المعارضة للمطالبة بتغيير نظام الرئيس علي عبد الله صالح الذي يحكم البلاد منذ 33 عاماً، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. وكان لمواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت مثل فيسبوك مساهمة فعالة في الثورة إلى حد كبير، حيث ظهرت العديد من المجموعات المناوئة للنظام الحاكم بدأت بمطالب إصلاحية ثم ارتفع سقف المطالب إلى إسقاط النظام. ومنها مجموعة "ثورة الشباب اليمني لإسقاط النظام". ولعبت هذه المواقع دوراً كبيراً في تنظيم الاعتصامات واستمرارها، وفي الخروج بالمسيرات، وقد عمت المظاهرات كل من مدينة صنعاء وعدن والحديدية وآب وسائر محافظات اليمن، وقام الرئيس عبد صالح بإرسال جنوده لقنص المتظاهرين في ميادين الاحتجاج مما زاد من إصرار الشباب في المواجهة والتضحية ،وقد شاركت القبائل اليمنية الأحزاب اليمنية المعارضة في الاحتجاجات، ووقعت مواجهة مسلحة بين شيخ مشايخ قبيلة حاشد (الشيخ الأحمر) في وسط صنعاء ،وقد قام الحراك الشبابي والقوة المعارضة بالعصيان المدني الذي شل الحركة في اليمن، وقام أحد الجنود يوم الجمعة بتفجير نفسه في المسجد الذي يصلي فيه عبد الله صالح مما أدى إلى مقتل 7 من كبار ظباته وأصابة عبد الله صالح إصابة كبيرة، وقد نقل للسعودية لتلقى العلاج، وبعد هذه الحادثة قامت القوة المعارضة الحراك الشبابي بتشكيل مجلس إنتقالي لإدارة البلاد.

---

(1) انظر: الموسوعة الحرة ويكبيديا (http://ar.wikipedia.org/wiki/).

خامساً: الثورة في سوريا(26يناير 2011).

الانتفاضة السورية هي انتفاضة شعبية انطلقت يوم الثلاثاء 15آذار/مارس عام 2011 م ضد القمع والفساد وكبت الحريات بحسب منظميها وتلبية لصفحة على الفيسبوك في تحد غير مسبوق لحكم بشار الأسد متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام 2011م وبخاصة الثورة التونسية وثورة 25 يناير المصرية اللتين أطاحتا بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك .قاد هذه الثورة الشبان السوريون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ورفعوا شعار: "حرية... حرية"، لكن قوات الأمن والمخابرات السورية واجهتهم بالرصاص الحي فتحول الشعار إلى "إسقاط النظام". في حين أعلنت الحكومة السورية أن هذه الحوادث من تنفيذ متشددين وإرهابيين من شأنهم زعزعة الأمن القومي وإقامة إمارة إسلامية في بعض أجزاء البلاد، وقد بدأت هذه الاحتجاجات جنوب سوريا في وادي الدرعى إلى اللاذقية ودير الزور والقامشلي وحماه وحلب ثم وصلت أخيراً إلى ضواحي دمشق النائية ولكن بشار الأسد أراد قمعها بالدبابات فحاصر حماه وأراد أن يعيد فيها مجزرة سوداء مثل والده (مجزرة حماه1982) وكذلك وقد قدم الشعب السوري ما يقرب من 2000 شهيد حتى يومنا هذا وكانت المظاهرات في البداية تطالب بالإصلاح السياسي لكن بعد قمعها بالقتل والنار بدأت تطالب بإسقاط النظام وتغييره، ولا زلنا في أيامنا ننتظر نتائج التغيير على أرض الواقع.

الخـــاتـمـــة

إن بناء الأمم هو من أصعب وأهم المهام البشرية، ولهذا خص الله بها أفضل البشر من الأنبياء والرسل، وجعل أتباعهم من خير البشر كذلك، ليكونوا الرواحل والقواعد التي يرتفع عليها البنيان، والرسولﷺ ربى أصحابه طيلة العهد المكي ليكونوا له عوناً في حمل أمانة الدولة الجديدة في المدينة، فلولا العهد المكي وما كان عليه من إعداد النفوس لما أستطاع المسلمون أن يصمدوا أمام المؤامرات التي أحاطت بالدولة الفتية في بداية أمرها، ولهذا كان واجباً على المسلمين وقيادتهم أن يكونوا على بصيرة بما سيواجههم من صعاب عند تنفيذ المشروع، لأن الحاقدين والمنافقين والكفار لن يسمحوا بسهولة بإقامة هذا البنيان المرتفع والذي ستنتظر منه عليهم من علٍ، فعلى سبيل المثال عندما أعلنت جمهورية السودان رغبتها تطبيق الشريعة الإسلامية حاربها الكثير وفرض عليها الحصار، وكذلك أشغلها الكفار من اليهود والصليبيين بحروب داخلية لم تنتهِ إلى يومنا هذا.

فنصيحتي إلى أبناء الإسلام أن يدرسوا التاريخ وأن يأخذوا العبرة هل هناك خلافة أقيمت بدون ثمن، هل هناك خلافة أقيمت بدون ابتلاء وتمحيص؟ وهناك جماعات وأحزاب مكثت عشرات السنين دون أن تحقق أي خطوة للأمام، فيجب أن تقف وتفكر ما السبب في عدم التقدم؟ هل هي الفكرة أم الرجال الذين يحملون الفكرة؟ أم كلاهما معاً؟ أم عدم إخلاص النية؟ أم الوسيلة المتبعة؟ لأن قبول العمل له شرطان: حسن النية، وموافقة الشرع الإسلامي، فإذا كان العمل وفق شرع الله كتب الله له النجاح، وإذا كان العمل غير موافق لشرع الله مع سوء نيته كتب له الفشل، وكما تقدم في الفصل الأول فإن إعداد الخلافة يبدأ بالفرد الذي سيحتمل ثمن اعتقاده بالفكرة، ومن لا يحب فكرته ولم يقتنع بها فإنه لن يكون مهيئاً نفسياً لمواصلة الطريق، ومن فضل الله ﷻ أن هناك دولاً وجماعات تتبنى فكرة المشروع الإسلامي الحضاري الكبير والذي يبدأ بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ثم الدولة ثم الخلافة الكبيرة، فلابد للمسلمين أن يكونوا على قدرٍ كافٍ من المعرفة بالفكرة، والوسيلة والهدف، وطبيعة الأرض التي سيقام عليها المشروع والظروف المحيطة بكل هذه الأمور.

توصيات الباحث

1. يجب على المسلمين أن لا ييأسوا من طول الطريــق ووحـــشته وأن يتـــزودوا بطاعـــة الله لمواصلة الطريق حتى وإن فشلوا في المرة الأولى فيجب أن يكون هذا دافعاً لهم على إعادة الكرة حتى ينجحوا في بلوغ الغاية.
2. إعداد المتخصصين والأخذ بالأسباب لكل مرحلة والإعداد لها إعداداً جيداً.
3. دراسة التاريخ الإسلامي دراسة شاملة منهجية للاستفادة من تجارب الآخرين.
4. تغليب مصلحة الإسلام والمسلمين على المصالح الشخصية والعصبية والحرص على وحـــدة كلمة المسلمين.

5. إيجاد المؤسسات الكفيلة بوحدة المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية والمالية .
6. أن يكونوا على بصيرة بمخططات أعداء الإسلام وإيجاد الحلول المناسبة لها.
7. الأخذ بأسباب العلم والاستفادة من الخبرات العلمية للأمم الأخرى.
8. حسن الجوار والعلاقات الطيبة مع الجميع.
9. نشر منهج وسطية الإسلام بين المسلمين بعيداً عن الإفراط والتفريط.

النتائج الذي توصل إليها الباحث :

1. أن بلوغ مرحلة الفلاح أمراً غير مستحيل، فإن الله لا يكلف الإنسان أمراً مستحيلاً ولكن يجب على الإنسان المسلم أن يبذل كل جهده ويضحي بالغالي والنفيس من أجل رفعة الإسلام.
2. مما تقدم من استقراء للتاريخ الإسلامي تبين أن المسلمين كانوا على الدوام في رفعة ومناعة وفلاح إلا في حقبتين صغيرتين،الأولى: بعد غزة التتار لبغداد وإسقاط الخلافة العباسية سنة 656هـ / 669هـ، والثانية :بعد إسقاط الخلافة العثمانية سنة (1327هـ/1909م) إلى وقتنا الحاضر وهذا يعطينا الأمل على أن نعيد أمجاد الإسلام .
3. الثورات الشعبية الشبابية العربية تعطي الأمل على أن الأمة فيها خير، وأنها إذا أرادت أمراً في بإمكانها أن تناله.
4. وكذلك فإن المرحلة التي تمر بها الدول العربية من ثورات سلمية تدلل على أن التغيير يمكن أن يكون بالطرق السلمية، وهذه الثورات أسقطت فكرة تغيير الأنظمة بالقوة كما يتبناها بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وأن التغيير يبدأ من أسفل إلى أعلى، وهذا هو التغيير الصحيح، فعلى سبيل المثال عندما تسلم عمر بن عبد العزيز وجد أن الجيوش الإسلامية تفتح البلاد ويدخل أهلها في الإسلام ثم ينتقل المسلمون إلى جبهة قتال جديدة يفتحونها واحدة تلو الأخرى، فأوقف عمر بن عبد العزيز الفتوحات وأمر الجنود ببناء المساجد وأن يعلموا الناس الإسلام حتى أصبحت هذه المجتمعات مجتمعات إسلامية تلتحق بالمجتمعات السابقة.
5. أن هذا البحث يحتاج إلى مجلدات كبيرة، ولكني أكتفيت بهذا القدر المتواضع بما يناسب حجم رسالة الماجستير، ونوصي الباحثين ممن يريدون نيل درجة الدكتوراه أن يتوسعوا في مثل هذا البحث، فلو أردنا أن نعطي هذا البحث حقه لكان كل مطلب بحاجة إلى مجلد، والله المستعان وعليه التكلان.
6. سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك والحمد لله رب العالمين.

الفـــهـــارس

أولاً : فهـــرس الآيــــات القرآنيـــة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فــــهــــــرس الأعـــــــلام.

رابعاً: فــــهــرس المــــــــراجـــع.

خامساً: فهـــرس المحـــتـــويـــات.

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ .... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	4-5	86
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	40	66
وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ	102	95
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ	114	106
وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ	132	55
وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	135	35
وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	148	27
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	153	67
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	256	72
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ	228	57
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي ...	275	104
يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ	276	104
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ	277	104
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	278	104
﴿آل عمران﴾		
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ	14	87
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ	21	108
لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ	28	76
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ	103	101

الآية	رقمها	الصفحة
وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ	104	101
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ	105	101
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	110	27
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ ...	112	120
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	114	12
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً	130	105
بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ	159	89
﴿النساء﴾		
يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	1	51
وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا	5	48
الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ	34	47
إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم	58	78
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	59	71
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ	135	76
وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ	159	65
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا	167	106
المائدة		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ	1	32
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ	35	63
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ	51	75
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ	55	76
قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ	100	35

الآية	رقمها	الصفحة
وقَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ	119	24
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ	78	83
كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ	79	83
﴿الأنعام﴾		
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ	21	88
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ	130	91
﴿الأعراف﴾		
أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ	69	65
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ	96	12
أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ	97	138
أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ	98	34
أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ	99	34
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ	165	80
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	172	10
﴿الأنفال﴾		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ	24	72
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	34	107
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ	46	102
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ	65	62
﴿التوبة ﴾		
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً	8	74
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ	33	115

الآية	رقمها	الصفحة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا	38	88
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ	107	109
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ	109	10
﴿ يونس﴾		
يقول تعالى قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ	69	23
قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَـذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ	77	95
فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ	80	95
فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ	81	95
﴿يوسف﴾		
وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ	57	13
﴿الرعد﴾		
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا	17	36
﴿إبراهيم﴾		
الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ	3	107
﴿النحل﴾		
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ	72	50
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى	90	79
وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ	116	23
وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً	112	129
﴿الإسراء﴾		
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ	4	121
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ	5	122
وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا	23	44

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	34	31
﴿طه﴾		
وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ	69	89
﴿الأنبياء﴾		
حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ	96	119
﴿الحج﴾		
الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ	41	63
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ	40	100
فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ	45	127
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ	46	127
وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ	78	103
﴿ المؤمنون﴾		
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	1	17
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ	2	17
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ	3	17
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ	57	17
وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ	117	91
﴿النور﴾		
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ	30	26
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ	31	26
وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا	22	30

الآية	رقمها	الصفحة
وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ	55	110
﴿الفرقان﴾		
وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا	72	20
﴿النمل﴾		
قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ	32	84
وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ	82	115
﴿القصص﴾		
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى	37	97
فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ	50	97
وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ	55	18
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا	58	86
ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا	77	86
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ	82	91
﴿العنكبوت﴾		
وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا	8	41
﴿الروم﴾		
غُلِبَتِ الرُّومُ	2	112
فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ	3	112
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا	21	376
فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ	38	76
﴿لقمان﴾		
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ	13	52

الآية	رقمها	الصفحة
يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ	17	53
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا	18	53
وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ	19	53
﴿الأحزاب﴾		
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	21	125
﴿الشورى﴾		
فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	36	85
وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ	37	31
و الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ	38	87
﴿الأحقاف﴾		
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا	15	41
﴿الفتح﴾		
لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ	27	113
﴿الحجرات﴾		
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ	10	83
﴿الممتحنة﴾		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ	1	129
﴿التحريم﴾		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا	6	52
﴿الأعلى﴾		
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى	14	1

الآية	رقمها	الصفحة
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى	15	20
﴿الشمس﴾		
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا	9	20
﴿الملك﴾		
أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	14	46

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث
ج	(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)
8	(قال خير الناس قرني)
9	(الإيمان أن تؤمن بالله)
12	(إنما الأعمال بالنيات)
13	(الدعاء هو العبادة)
14	(ما من أمرئ مسلم تحضره صلاته)
21	(إن الصدق يهدي إلى البر)
23	(من عاد لي ولياً)
25	(أي الأعمال أفضل)
29	(آية المنافق ثلاث)
31	(كل ابن آدم خطاء)
41	(من أحق الناس بصحبتي)
41	(تنكح المرأة لأربع)
43	(هلا جارية تداعبها وتداعبك)
44	(استوصوا بالنساء خيراً)
47	(استووا ولا تختلفوا)
51	(إذا خطب إليكم من ترضون)
53	(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله)
58	(ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم العذاب)
58	(مثل المجاهد في سبيل الله)
59	(أي الأعمال أحب إلى الله؟قال (الصلاة في وقتها)

الحديث	الصفحة
(يا أيها الناس لا تتمنوا القتال)	**60**
(أي الهجرة أفضل)	**61**
(أعطيت خمس لم يعطهن أحد من قبلي)	**63**
(عجباً لأمر المسلم)	**66**
(إذا تبايعتم بالعينة)	**68**
(ثلاثاً منكن فيه وجد حلاوة الإيمان)	**72**
(يحشر المرء مع من أحب)	**73**
(وكالقائم الذي لا يفتر)	**76**
(إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا)	**78**
(ومن رأى منكم منكراً)	**80**
(تبسمك في وجه أخيك صدقة)	**84**
(الدين نصيحة)	**84**
(اجتبوا السبع الموبقات)	**92**
(أحفت الجنة بالمكاره)	**95**
(إذا بويع لخليفتين)	**99**
(المسلم أخو المسلم)	**103**
(فيبقى شرارة الناس في خفة)	**108**

ثالثاً : فهرس الأعلام

الاســـــم	الصفحة
ابن الأعرابي	2
ابن عطية	11
ابن عطية الغرناطي	11
ابن كثير	11
أبو إسحاق	1
أبو هلال العسكري	93
الألوسي	12
ثيودور هرتزل	131
الخازن	100
داروين	108
ستالين جوزيف	133
السلطان عبد الحميد الثاني	132
السمرقندي	10
السيوطي	46
الشوكاني	10
عبد الله بن سبأ	108
العجيلي	19
العجيلي الشهير بالجمل	19
الطبري	10
عُمر بن عبد العزيز	126
فرويد	16

الاســـــم	الصفحة
ابن الأعرابي	2
القرطبي	100
كارل ماركس	134
اللحياني	2
لينين في . آي.	133
نبوخذ نصر	120
فردريك	108
نيتشه	108

رابعاً: فهرس المراجع

1. الأساس في التفسير، سعيد حوى، الطبعة الأولـــى (140هـــــ/ 1985م)، دار الـــسلام للنـــشر والتوزيع.

2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ، مكتبة العلوم والحكم.

3. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ، مكنة العلوم والحكم المدينة المنورة

4. التحرير والتنوير، محمد الطاهر عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع

5. تفسير ابن كثير،إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ، دار الفكر للنشر والتوزيع.

6. تفسير الخازن، علاد الدين البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت.

7. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر الدين أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ، دار الكتـــب العلمية بيروت.

8. تيسير تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصـــر الـــسعدي، المؤســـسة السعدية بالرياض.

9. جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري/لأبي جعفر بن محمد الطبـــري/دار الحـــديث القاهرة.

10. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبـــي، دار الحـــديث، القـــاهرة صـــفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبو البحوث والدراسات.

11. الدر المنثور في تفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، مطبعة الأنوار المحمدية.

12. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمد الألوسي البغـــدادي، ، دار إحيـــاء التراث العربي

13. فتح القدير، محمد الشوكاني، دار الحديث، القاهرة.

14. الفتوحات الألهية، سليمان الشافعي، دار الكتب العلمية.

15. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.

16. المحرر الوجيز، أبو عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية.

17. معاني القرآن، أبي زكريا يحيى الفراء، الطبعة الأولى ، (1423هـ–2002م)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.

18. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، 1422هـ، تحقيق: محمد الناصر– دار الطوق.

19. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.المعجم الوسيط.

20. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993، مؤسسة الرسالة – بيروت.

21. للطبراني، سليمان بن أحمد بن الطبراني أبو القاسم، دار الحرمين للنشر والتوزيع – القاهرة

22. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي الثانية، 1395 هـ – 1975 م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

23. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

24. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا

25. شرح الأربعين حديثاً النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، الأمام يحيى بن شرف الدين النووي، الطبعة الأولى، مكتبة دنديس الاتجاهات الفكرية المعاصرة، علي جريشة، الطبعة الثالثة، دار الوفاء.

26. إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري بكِ، المكتبة التجارية الكبرى.

27. أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية، على أحمد لبن وآخرون، الطبعة الأولـــى، الوفاء للنشر والطباعة.

28. الإسلام في مواجهة تيارات الفكر المعاصر، محمد علي أبو ريان، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجماعية.

29. الإسلام في وجه الزحف الأحمر، محمد الغزالي ، الطبعة السادسة، دار المختار الإسلامي.

30. أعظم شخصيات بالتاريخ، عيسى الحسن، الطبعة الأولى، 2010، الأردن – عمـــان – الـــدار الأهلية للنشر والتوزيع .

31. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمـــستعربين والمستـــشرقين، خيـــر الدين الزركلي، ، دار العلم للملايين.

32. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد محمد الصلابي، الطبعة الأولى2002م، دار الفجر للتراث – القاهرة.

33. البوسنة والهرسك حقائق وأرقام، خالد الأصور، كتاب شـــهري يـــصدر عـــن رابطـــة العـــالم الإسلامي.

34. تاج العروس من جواهرالقاموس، محمد بن محمد أبو الفيض، ، بيروت دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع.

35. تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناهج علوان، المجلد الأول، دار السلام للطباعـــة والنـــشر عمان – الطبعة الأولى.

36. تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد الحليم إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية.

37. تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار البحوث العلمية.

38. تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد/للإمام أحمد بن إبـــراهيم ابن النحاس الدمشقي الدمياطي / دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن.

39. جمهرة الأمثال، الشيخ الأديب أبي هلال العسكري، الطبعة الثانية، (1988)، بيروت – لبنـــان ، دار الجبل.

40.جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، بدون طبعة، 1979، دار الكتب العلمية لبنان – بيروت.

41.جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، زياد أبو غنيمة، الطبعة الأولى، 1983، دار الفرقان.

42.جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجتمع للنشر والتوزيع.

43.خطر التبرج والأختلاط/ عبد الباقي رضوان/ مؤسسة الرسالة.

44.دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، دار النفائس .

45.ديوان حافظ إبراهيم،الجزء الأول، القاهرة الهنية المصرية العامة للكتاب،1980

46.رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر للتوزيع والنشر.

47.الرحيق المختوم، صيفي الرحمن المباركفوري، دار الحديث، دار الوفاء.

48. .

49.زوال إسرائيل 2022 نبوءة قرآنية أم صدف رقمية، بسام جرار، الطبعة الثانية، مكتبة البقاع الحديثة – لبنان.

50.السرطان الأحمر، عبد الله عزام، الطبعة الأولى، مكتبة الأقصى.

51.السلطان عبد الحميد الثاني – مذكراتي السياسية 1891-1908، (كتاب مترجم)، 1979، بيروت – لبنان – مؤسسة الرسالة.

52. شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج ناصر الدين الألباني، دار السلام الطبعة الأولى 2005م.

53.الصحوة الإسلامية إلى أين، عدنان على رضا النحوي، طبعة عام 1992، دار النحوي (الرياض- السعودية).

54.كتاب الفقه على المذاهب الأربعة/عبد الرحمن الجزيري/دار الكتب العلمية

55.الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي، طبعة عام 1984، قطر رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

56.صفوة الصفوة، الأمام ابن الجوزي، مكتبة الإيمان.

57.عظماء مشاهير وعباقرة معاقون، د. محمد قبيسي، نشر عام 1996، مؤسسة الرحاب الحديثة.

58.لسان العرب، الأمام العلامة ابن المنظور، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث الإسلامي.

59.ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، الطبعة السادسة، دار الكتاب العربي

60.مجمل اللغة، لأبي حسين بن زكريا اللغوي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.

61.محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، محمد الخضري بكٍ، المكتبة التجارية الكبرى.

62.محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، محمد الخضري بكٍ، المكتبة التجارية الكبرى.

63.مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، الطبعة الأولى، دار الحديث القاهرة.

.64

65.مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، الطبعة الأولى، دار الشروق.

66.المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الكتب العلمية.

67. معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، الطبعة الرابعة، دار الشروق، بيروت.

68.الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، أحمد مصطفى متولي، دار الجوزي.

69.الموسوعة العربية العالمية ، هيئة تأليف، ط 2 – مجلد 21، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، 1999، الرياض – السعودية .

70.نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، د. عبد الرحمن الصابوني، ط2001، دار الفكر ، لبنان، بيروت.

71.نهاية العالم، محمد العريفي، الطبعة الشرعية، دار التدمرية- الرياض- دار الأثار – القاهرة.

72.هذا الدين، سيد قطب، بدون طبعة، 1981، بيروت، لبنان- دار الشروق .

73. هدية العارفين أسماء من المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون، اسماعيل باشا البغـــدادي، ط1992م، دار الكتب العلمية.

74. واقعنا المعاصر والغزو الفكري، صالح الرقب، ط7.

75. الولاء والبراء في الإسلام ، محمد بن سعيد القحطاني، الفتح للإعـــلام العربـــي، القـــاهرة الطبعـــة الـــسابعة 1417هـ.

76. المستخلص في تزكية الأنفس/ سعيد حوى /دار الأرقم عمان

77. الوحدة الإسلامية أسسها ، ووسائل تحقيقها، أحمد بن سعد الغامدي، الطبعة الأولـــى، مؤســـسة الجريسي – السعودية.

78. اليهودية والمسيحية، د/ عماد الشنقيطي، الطبعة الأولى.

79. فقه السنةالعبادات/السيد سابق/دار الفكر.

80. ar.wikipedia.org

81. http://www.aawsat.com/details.asp?section=6&article=551461&issueno=11361

نبذة مختصرة عن الرسالة

هذا البحث هو بحث إستكمالي لنيل شهادة الماجستير من الجامعة الإسلامية ، كلية أصــول الدين الدراسات العليا قسم التفسير وعلوم القرآن بعنوان عوامل فلاح الأمة الإِسلامية فــي ضــوء القرآن الكريم دراسة موضوعية ، ويبين البحث التكامل والنضوج في الشريعة الإسلامية مــن كــل الجوانب ، وإهتمامها بالفرد والأسرة والمجتمع كأساس لأي دولة وأصل لقيام الحــضارة ، ويبــين البحث عدالة الإسلام لجميع أفراد المجتمع حيث يقسم أدوار المسئولية لكي ينهض الجميع كلُ حسب طاقته وقد ذكرت في البحث الجوانب الإيجابية التي تساعد على نهوض الأمة الإسلامية وذكرت في المقابل الأمور السلبية التي تمنع من فلاح المجتمع ، ووقفت على مبــشرات مــن القــرآن الكــريم وأحاديث محمد ﷺ والكنز الموروث من التاريخ الإسلامي والإشارات الواقعية و قد قسمت البحــث إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلى مبحثين إضافة إلى إهداء وشكر ومقدمــة وخاتمــة ونــسأل الله أن نكون قد وفقنا في ذلك.

الباحث : على محمد البغدادي

Abstract

This research is to examine the complete master's degree from the Islamic University, Faculty of Theology Graduate Studies Department of interpretation and Quranic sciences entitled factors Falah Islamic Ummah in the light of the Quran, objective study and research shows integration and maturity in Islamic law from all sides, and interest in the individual, family and society as a basis for any state and the origin of the civilization, and it shows the justice of Islam to all members of the community is divided, as the roles of responsibility in order to promote everyone, each according to his energy has been reported to Find the positive aspects that help the advancement of the Islamic nation and reported in the corresponding negative things that prevent the peasant community, and I stood by the missionaries of the Koran Quran) and the treasure of the heritage of Islamicρand sayings of Muhammad (history and factual references and research has been divided into three chapters each chapter into two sections in addition to courtesy and thanked the introduction and a conclusion and we ask God that we have been successful in it.

Researcher: Ali Mohammed al-Baghdadi

خامساً: فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
آية	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	هـ
أولاً: أهمية الموضوع	هـ
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع	و
ثالثاً: أهداف البحث	و
رابعاً: منهج البحث	ز
خامساً: الدراسات السابقة	ح
سادساً: خطة البحث	ح
التمهيد(وقفات لغوية وإسلامية حول لفظي الفلاح والأمة)	1
أولاً: تعريف الفلاح لغة واصطلاحاً.	1
ثانياً: تعريف الأمة لغة واصطلاحاً.	2
ثالثاً: العلو والهبوط في حياة الأمة الإسلامية.	3
سقوط الخلافة العثمانية	4
الفصل الأول **عوامل فلاح الأمة**	
المبحث الأول : عوامل فلاح الفرد.	7
المطلب الأول : الإيمان بالله وإتباع الرسل.	9
المطلب الثاني : المحافظة على الإيمان والإخلاص في العمل.	12
المطلب الثالث: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.	14
المطلب الرابع : تحقيق الخشوع والخشية من الله.	16

الموضوع	الصفحة
المطلب الخامس : الإعراض عن اللغو والبعد عن الجدال العقيم.	18
المطلب السادس : تزكية النفس من الموبقات.	20
المطلب السابع: تحري الصدق واجتناب الكذب.	21
المطلب الثامن : التوبة والإكثار من فعل الخيرات.	23
المطلب التاسع: الحفاظ على العفة وستر العورة.	26
المطلب العاشر : الوفاء بالعهود وأداء الأمانات.	29
المطلب الحادي عشر : العفو والصفح	31
المطلب الثاني عشر:تحقيق الإيمان الوعي الديني والفكر النقي عند الفرد المسلم	33
المبحث الثاني : عوامل فلاح الأسرة، ويشتمل على مقدمة وستة مطالب	37
إكرام الإسلام للمرأة	38
المرأة عند اليهود	40
المرأة عند النصارى	40
المرأة في الجاهلية الحديثة.	40
المطلب الأول : القيام بالحقوق والواجبات، وبر الوالدين.	42
أولاً: القوامة الإدارية	41
ثانياً : القوامة المالية	42
المطلب الثاني : حسن اختيار الزوج والزوجة.	44
المطلب الثالث : تحقيق القوامة للرجل.	46
المطلب الرابع : تربية الأولاد تربية إسلامية حسنة.	48
المطلب الخامس : التكافؤ الاجتماعي والعقدي.	50
المطلب السادس: تربية الأولاد تربية إسلامية حسنة.	53
الفصل الثاني **عوامل فلاح المجتمع ومعوقاته ، ويشتمل على عشرة مطالب.**	
المطلب الأول : رفع راية الجهاد في سبيل الله	61

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني : الإقرار بنعم الله.	66
المطلب الثالث : الصبر والثبات على الحق.	67
المطلب الرابع : الإنفاق في سبيل الله.	69
المطلب الخامس : تطبيق منهج الله في الإرض.	72
المطلب السادس : الولاء والبراء والتحرر من التبعية للكافرين.	74
المطلب السابع : إعطاء الحقوق ورد والأمانات.	79
المطلب الثامن: التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	82
المطلب التاسع: الألفة والتراحم والتكافل بين أفراد المجتمع.	85
المطلب العاشر: الأيمان بالبعث والزهد في الحياة الدنيا.	87
المطلب الحادي عشر:تطبيق منهج الشورى.	90
المبحث الثاني **معوقات الفلاح في المجتمع الإسلامي**	
المطلب الأول: انتشار مظاهر الكفر والشرك في المجتمع.	95
المطلب الثاني : انتشار البدع والمنكرات والسحر والشعوذة.	97
المطلب الثالث: التعلق بالدنيا والانغماس في الشهوات.	98
المطلب الرابع : انتشار الظلم والجور في المجتمع	100
المطلب الخامس: التفرق والتنازع واختلاف القلوب.	103
المطلب السادس : انتشار الربا والاحتكار في المجتمع.	105
المطلب السابع : الصد عن دين الله ومحاربته.	108
المطلب الثامن: التضييق على العلماء والدعاة إلى الله.	110
المطلب التاسع : الانغماس في الترف والإسراف.	112
المطلب العاشر: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	113

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث **مبشرات الفلاح في القرآن والسنة ومبشرات تاريخية وواقعية**	
المبحث الأول: مبشرات قرآنية:	117
المبشرات القرآنية:	117
المطلب الأول: ما جاء به القرآن وتحقق في عهد رسول الله ﷺ .	117
المطلب الثاني: آيات تحققت في عهد الصحابة.	118
المطلب الثالث: ما كان مشترك في كل الأزمنة.	120
المطلب الخامس: مبشرات من سورة الإسراء.	121
المبحث الثاني: المبشرات التاريخية وواقعية.	126
القسم الأول: المبشرات التاريخية، ويشتمل على خمسة مطالب	128
المطلب الأول : في عهد النبوة. (1هـ/9هـ)	128
المطلب الثاني : عهد الخلفاء الراشدين.(10هـ/40هـ)	129
المطلب الثالث : الخلافة الأموية.(40هـ/132هـ)	130
المطلب الرابع : الخلافة العباسية. (132هـ/656هـ)	131
أسباب ضعف الدولة العباسية	132
المطلب الخامس: الخلافة العثمانية.(699هـ/1280هـ)	132
أسباب فلاح الخلافة العثمانية	133
عوامل ضعف الخلافة العثمانية	139
المؤامرة الصهيونية على الخلافة العثمانية.	134
القسم الثاني: المبشرات الواقعية، ويشتمل على ثلاثة مطالب:	135
المطلب الأول: سقوط الشيوعية.	136
المطلب الثاني: الصحوة والحركات الإسلامية.	138
المطلب الثالث: الوحدة العربية والإسلامية.	139
المطلب الرابع: الثورات الشعبية (الشبابية) العربية	142
الخاتمة.	148

الموضوع	الصفحة
توصيات الباحث	148
الفهارس	150
فهرس الآيات.	151
فهرس الأحاديث.	159
فهرس الأعلام المترجم لهم.	161
فهرس المراجع.	163
ملخص الرسالة باللغة العربية.	169
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.	170
فهرس المحتويات.	171